عون القاري

بالتعليق على

شرح السنة للبربهاري

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٥٥)

عون القاري بالتعليق على شرح السنة للبربهاري

تأليف
عَبْدالعزيز بنِ عبْدالله الرَّاجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي ثم المدني، أشهد أنه رسول الله وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه من ربه اليقين، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وعلى أصحابه وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد: فإن من المؤلفات المهمة في الاعتقاد: «**شرح السنة**» من تأليف الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البَرْبهاريّ الحنبلي، وقد سُمي بالبَرْبهاريّ نسبة إلى الأدوية التي تجلب من الهند، وهو شيخ المذهب الحنبلي في العراق، وكان له أتباع وطلاب كثر، وكان رحمه الله شديداً على المبتدعة، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه، إلى أن نودي في بغداد أن لا يجتمع من أصحاب البَرْبهاريّ نفسان. فاختفى البَرْبهاريّ إلى أن توفّي مستتراً في رجب سنة (٣٢٩) هجرية، فهو من علماء القرن الثالث والرابع الهجريين(١).

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٨)، و«الأنساب» (٢/ ١٣٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٤/ ١٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٩٠)، و«البداية والنهاية» (١٥/ ١٣٧).

وهذه الرسالة هي «**شرح السنة**»[١]، والسنة هي ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي عن الله ﷻ، وهي الوحي الثاني، وتشمل: مسائل الاعتقاد، ومسائل الفقه، قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[٢]، فالسنة وحي ثانٍ، وقال الله ﷻ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: ٣-٤].

والسنة عند العلماء القدامى تشمل قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، وتشمل الواجب والمستحب، واصطلح المتأخرون من الفقهاء والأصوليين على إطلاق السنة على المندوب والمستحب[٣].

ومراد المؤلف رحمه الله بقوله: شرح السنة، ما جاء به الرسول ﷺ من مسائل الاعتقاد والإيمان والجنة والنار، ومسائل الفقه أيضاً، ويشمل ما ثبت عن النبي من قوله أو فعله أو تقريره، كما يبين المؤلف رحمه الله حيث يقول: السنة هي الإسلام والإسلام هو السنة، وقد قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧].

وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم[٤] عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ» فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ**

---

(١) تم إثبات نص هذه الرسالة من الطبعة التي حققها الشيخ/عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، الطبعة الرابعة، ١٤٣٤هـ، دار المنهاج - الرياض، والرسالة موجودة ضمن طبقات الحنابلة (٢/ ١٨-٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٤).

(٣) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» (٦/ ٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، رقم (٤٨٨٦)، ومُسْلِم، كِتَابُ اللباس والزينة، رقم (٢١٢٥).

كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النُّور: ٥٤]، ومن أنكر السنة وزعم أنه لا يعمل بها أو أنه لا حاجة إليها فهو كافر بإجماع المسلمين، وقد بين بعض السلف أن السنة هي التي توضح المشكل من القرآن وهي التي تقيد المطلق، وهي التي تخصص العام، ففي القرآن العظيم وجوب الصلاة، لكن ليس فيه بيان عدد الصلوات وأنها خمس صلوات في اليوم والليلة، وإن كان قد يؤخذ هذا من قوله تعالى إجمالاً: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وليس في القرآن بيان عدد ركعات صلاة الظهر، ولا عدد ركعات صلاة العصر، ولا عدد ركعات صلاة المغرب، ولا عدد ركعات صلاة العشاء أو صلاة الفجر.

وقد أوجب الله في القرآن الزكاة، ولكن ليس في القرآن بيان اشتراط وجوب النصاب وبيان اشتراط الحول.

وفي القرآن بيان وجوب الحج، وليس فيه تفصيل المناسك، وأنه يجب على الإنسان أن يقف بعرفة في اليوم التاسع وأنه ركن الحج الأعظم، ويجب عليه أن يبيت بمنى ومزدلفة وأن يرمي الجمار.

فمن يزعم أنه لا يحتاج إلى السنة فلا دين له، وكما سيأتي أن السنة تقضي على القرآن والقرآن لا يقضي على السنة، ولهذا ألف العلماء الكتب في العقائد وفي مسائل الإيمان ودخول الأعمال في مسمى الإيمان، وسموها كتب السنة؛ كما ألف الإمام أحمد رحمه الله

كتاب السنة، والسنة لابنه عبدالله، والسنة لابن أبي عاصم، ومنها هذا الكتاب.

فالمقصود أن السنة اسم عام يشمل مسائل الإيمان والتوحيد ويشمل الفروع والأصول، ولهذا فإن المؤلف ﷺ ذكر في هذا الكتاب جملاً كثيرة من مسائل التوحيد والإيمان، وجملاً كثيرة من مسائل الفقه، وهذه المسائل والموضوعات كثيرة جداً، ولو أردنا أن نتوقف طويلاً عند كل مسألة لما تجاوزنا الصفحة الأولى من الكتاب أو لما تجاوزنا مسألة أو مسألتين، ولكننا إن شاء الله نتكلم على كل مسألة بما يغلب على الظن أن فيه الفائدة.

وقد يسر الله أن أتيت على جميع المسائل ـ بحول الله وقوته ـ بيان وإيضاح المراد باختصار غير مخل،وتم العمل على مادة الشرح وإعداده ونشره لتعم الفائدة.

أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأعوذ بالله من فتنة القول كما أعوذ به من فتنة العمل، وأسأله أن يصلح القلوب والأعمال والنيات، وأسأله أن يتولانا برحمته، وأن يثبتنا على دينه القويم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمدُ للهِ الذي هَدَانَا للإسلامِ، ومنَّ علينا بهِ، وأَخْرَجَنَا في خيرِ أُمَّةٍ، فنسْألُهُ التَّوفِيقَ لما يحبُ ويَرْضَى، والحِفظَ مما يَكْرَهُ ويَسْخَطُ.

الشرح

ابتدأ المؤلف هذه الرسالة بالحمد لله اقتداء بالكتاب العزيز، فالله تعالى افتتح كتابه بالحمد، والحمد هو الثناء على المحمود بالصفات والنعم المتعدية مع حبه وإجلاله، بخلاف الثناء على المحمود بالصفات الثابتة الملازمة التي لا تتعدى فإنه يسمى مدحاً، ولا يسمى حمداً، فالثناء على المحمود بالصفات الاختيارية التي يفعلها باختياره يسمى ثناء.

والحمد أكمل من المدح، فأنت تمدح الأسد بأنه قوي، ولا يسمى هذا حمداً؛ وتمدح الرجل بالكرم والشجاعة والإحسان فيكون هذا حمداً؛ لأن هذه الصفة وقعت منه باختياره،والله تعالى له جميع المحامد، مُلكاً واستحقاقاً، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذو العبودية والألوهية على خلقه أجمعين كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اللهُ ذُو الإلهيةِ والعُبودية عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ**»[(١)].

وما في العباد من نعمة فمن الله، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ٥٤).

نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النّحل: ٥٣]، فالله تعالى هو المحمود؛ لما اتصف به من الصفات العظيمة وبما أنعم به على عباده ﷻ، فجميع أنواع المحامد لله مُلكاً واستحقاقاً، ولهذا استفتح الله تعالى كتابه العزيز بالحمد لله رب العالمين، ثم قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١] أي: ثناء بعد ثناء.

○ قوله: «**الحمدُ للهِ الذي هَدَانَا للإسلامِ، ومنَّ علينا بهِ**» وهذه من النعم المتعدية، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فهذه من النعم العظيمة التي لا يُحمد بها إلا الرب ﷻ، فلولا هداية الله لنا بالإسلام لما كنا مهتدين، لكنه هدانا ﷻ، فنحمده ﷻ على نعمة الإسلام ونسأله أن يثبتنا عليها حتى الممات.

والإسلام من معانيه الاستسلام لله بالتوحيد والخضوع والذل، وأداء الأوامر واجتناب النواهي؛ وسُمي الإسلام إسلاماً لما فيه من الاستسلام والانقياد لأوامر الله ﷻ والانتهاء عن نواهيه، فالمسلم منقاد مستسلم لأمر الله خاضع ذليل، فالإسلام هو: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص والبراءة من الشرك وأهله.

ولا شك أن الله تعالى هو الذي منَّ علينا، والعباد ليس لهم حق على الله، فالله هو الذي تفضل عليهم وأنعم عليهم، فله تعالى النعمة وله الفضل، فنحمده سبحانه أن هدانا للإسلام ومَنَّ علينا بالإيمان، كما قال الله ﷻ في ضعفاء الإيمان في سورة الحجرات: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحُجرَات: ١٧].

○ قوله: «وأَخْرَجَنَا في خيرِ أُمَّةٍ» نحمد الله على أن هدانا للإسلام وأخرجنا في خير أمة وهي أمة محمد ﷺ، كما قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠]، وهذه الخيرية إنما حصلت للأمة بالإيمان بالله ورسوله وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر، فمن حقق هذه الصفات حصلت له الخيرية، ومن ضيَّع هذه الصفات فاتته الخيرية.

والإيمان بالله هو أصل الدين وأساس الملة، ولكن قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية لأهميتهما وعظم شأنهما، ولأنهما قوام الدين، فالدين كله أمر ونهي، فأنت تأمر نفسك بالخير وتنهاها عن الشر، وتأمر غيرك بالخير وتنهاه عن الشر، فتأتمر بالأوامر، وتنتهي عن النواهي، ولهذا قدم الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الآية، وإن كان الإيمان بالله هو أصل الدين وأساس الملة.

○ قوله: «فنسْألُهُ التَّوفِيقَ لما يحبُ ويَرْضَى، والحِفظَ مما يَكْرَهُ ويَسْخَطُ» هذا دعاء من المؤلف ﵀ لطالب العلم، فهو يعلمك وينصحك ويدعو لك، فقد سأل لنفسه ولإخوانه وللطلبة، أن يوفقنا لما يحب ويرضى، والذي يحبه الله ويرضاه هو ما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فالله ﷻ يحب من عباده أن يعبدوه ويوحدوه ويخلصوا له العبادة ويمتثلوا الأوامر ويجتنبوا النواهي، والتوفيق يعني الإعانة الإلهية، وهو إعانة يخص الله بها المؤمن، والتوفيق من الله والإعانة من الله، فالإعانة نعمة جليلة خص الله بها المؤمن دون غيره، وحبب إليه الإيمان وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، كما

قال ﷻ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ﴾ [الحجرات: ٧-٨]، فالمؤمن أنعم الله عليه نعمة جلية وخصه بها دون الكافر، فلولا الإعانة من الله لما اهتدى المهتدون، ولهذا سأل المؤلف رحمه الله الإعانة والتوفيق من الله.

❍ قوله: «**فنسْألُهُ التَّوفِيقَ لما يحبُ ويَرْضَى**» أي: من الأقوال والأعمال، فيفعل المسلم ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ويترك ما يسخطه من الأقوال والأعمال.

❍ قوله: «**والحِفظَ مما يَكْرَهُ ويَسْخَطُ**» أي: نسأل الله أن يحفظنا مما يكره ويسخط وهي النواهي، وأعظمها الشرك بالله ﷻ، ثم العدوان على الناس في الدماء والأعراض والأموال، فهذا دعاء عظيم جعله المؤلف رحمه الله في مقدمة هذه الرسالة بعد حمد الله والثناء عليه، ثم بعد ذلك شرع المؤلف رحمه الله في تفاصيل مسائل السنة.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١] اعْلَمُوا أنَّ الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر.

الشرح

○ قوله: «اعْلَمُوا» يعني: أيها المخاطبون ومن يقرأ هذا الكتاب من طلبة العلم «**أن الإسلام هو السنة، والسنة هو الإسلام**»؛ لأن السنة هي التي جاء بها الرسول ﷺ، وهي وحي ثانٍ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النَّجم: ٣-٤]. إذاً فالسنة هي الإسلام، والإسلام: هو الاستسلام لله تعالى والخضوع والذل والانقياد وفعل الأوامر والنواهي، والرسول ﷺ جاء بالقرآن وبالسنة، فالإسلام هو السنة؛ لأن السنة توضح القرآن وتفسره وتبين المشكل وتقيد المطلق وتخصص العام، فهي مرتبطة بالقرآن ولا يمكن فصلها عنه أبداً، ومن ألغى السنة فقد ألغى الإسلام وبطل إسلامه، فمثلاً: لو أراد إنسان أن يفصل السنة عن الإسلام فكيف سيصلي؟ لا يستطيع أن يصلي، فهل في القرآن تحديد للأوقات؟ وذكر عدد الركعات؟ وكيف يزكي وكيف يصوم، وكيف يحج، وكيف يبيع ويشتري، وكيف يتعامل مع الناس؟ فالقرآن مجمل، والسنة هي التي فصلت ووضحت وقيدت.

والمراد بقولنا: الإسلام هو السنة، يعني: مع القرآن؛ لأنها

مرتبطة بالقرآن ولا يمكن فصلها عنه، والنبي ﷺ جاء بالقرآن وجاء بالسنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1]، فالإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام لا انفكاك لأحدهما عن الآخر.

والعلم هو أحد المدركات أربع، وهي: العلم، والظّن، والوهم، والشكُّ.

فالعلم: حكم الذهن الجازم بعد تصوره المطابق للواقع، ويُطلق على اليقين.

والظن: هو الراجح من الأمرين المتردد بينهما.

والوهم: المرجوح منهما.

والشكُّ: هو الأمر المساوي[2].

فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: اعلم، ولا تشك ولا تظن ولا تتوهم، بل تيقن أن السنة هي الإسلام، وأنه لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، وأن من ألغى السنة فلا إسلام له، ومن ألغى الإسلام فلا سنة له، فالإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام، فلا يقوم أحدهما إلا بالآخر، لا إسلام لمن ترك السنة ولا سنة لمن ترك الإسلام، وبهذا يتبين أن من زعم أنه لا يحتاج إلى السنة فهو كافر، وهناك طائفة يسمون أنفسهم القرآنيين، ويزعمون أنهم يعملون بالقرآن ولا يعملون بالسنة، وهذا كفر وضلال، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال:

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٦).

(٢) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» (١/٧٦)، و«التحبير شرح التحرير» (١/٢٢٨).

«لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»(١)، وقال النبي ﷺ: **«يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ﷻ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَّا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»**(٢)، وبهذا يتبين ارتباط الإسلام بالسنة وارتباط القرآن بالسنة وأنه لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، فمن زعم أنه يعمل بالقرآن ولا يحتاج إلى السنة فهو كافر.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٥)، والترمذي، كتاب العلم، بَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (٢٦٦٣)، وابنُ ماجَهْ، المقدمة، رقم (١٣)، رقم (٣٦٨)، وقال الحاكم في المستدرك (١/ ١٩٠/٣٦٨) صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (٢٦٦٤)، وابنُ ماجَهْ، المقدمة، رقم (١٢)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢] فَمِن السُّنَّةِ لُزُومُ الجمَاعَةِ، فمن رغِبَ عَنْ الجمَاعَةِ وَفَارَقَهَا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ، وكان ضالاً مضلاً.

الشرح

○ قوله: «**فَمِن السُّنَّةِ لُزُومُ الجمَاعَةِ**»، يعني: لزوم جماعة المسلمين، فيجب على المسلم أن يلزم جماعة المسلمين ولا يشذ عنهم في الاعتقادات وفي الأعمال وفي الأقوال، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٥]، ومن زعم أنه مخالف لجماعة المسلمين فهو متبع لغير سبيل المؤمنين وهو مُتوعد بأن يوليه الله ما تولى ويصليه جهنم.

وجماعة المسلمين هم الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم الذين يعملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي، ويحذرون من البدع في الأقوال والأعمال والاعتقادات والنيات، قال النبي ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً**»، **قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟**

قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[١]، وفي لفظ: «**وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[٢]. وروي هذا الحديث بألفاظ متعددة[٣]، وفيه: أنه يجب لزوم الجماعة، وهي الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة وهم أهل الحق، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»[٤].

إذاً من السنة لزوم الجماعة، ولزوم الجماعة هو العمل بالسنة، والعمل بما كان يعمل به جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهم أهل الحق، ولزوم طريقتهم في الاعتقادات والأعمال والأقوال.

○ قوله: «**فمن رغِبَ عَنْ الجمَاعَةِ وَفَارَقَهَا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ، وكان ضالاً مضلاً**» فمن رغب في غير جماعة

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي، كتاب الْأَيْمَانِ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤٠)، وابنُ ماجَهْ، كِتَابُ الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٧)، وابنُ ماجَهْ، كِتَابُ الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩٢)، وقال الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨/ ٤٤٣) هذه أسانيد تقوم بها الحجة، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: «مسند أحمد» رقم (١٢٢٠٨)، و«مسند البزار» (٤/ ٣٧)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٥٤)، و«البدع»، لابن وضاح (٢٥٠)، و«السنن الكبرى»، للبيهقي (١٠/ ٣٥١)، و«حلية الأولياء»، لأبي نعيم (٩/ ٢٣٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المَنَاقِبِ، رقم (٣٦٤١)، ومُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٩٢٠).

المسلمين وفارقها فهو كافر؛ لأنه خرج عن الطريق المستقيم الذي كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة، فالصحابة والتابعون والأئمة يعتقدون بما جاء في الكتاب والسنة من توحيد الله والإخلاص في الدين له، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، فيمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي، فمن رغب عن الجماعة وخالفهم في الاعتقاد والأعمال فقد خرج من الإسلام وكان ضالاً مضلاً.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣] والأساس الذي تبنى عليه الجماعة، وهم أصحاب محمد ورحمهم أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالةُ وأهلها في النار.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسِبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلَالَةً، فَقَدْ بُيِّنَتِ الْأُمُورُ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ».

وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلى الناس الاتباع.

الشرح

○ قوله: «والأساس الذي تبنى عليه الجماعة، وهم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة» أي: أن الجماعة هم المجتمعون على الحق، وأول المجتمعين على الحق في هذه الأمة الصحابة، فالمراد أن ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الاعتقادات والأعمال والأقوال هو الأساس الذي تبنى عليه الجماعة.

إذاً أهل السنة والجماعة هم الصحابة وهم الفرقة الناجية، ومن قال إن الفرقة الناجية طائفة وأهل السنة طائفة فقد أخطأ، وهم أهل الحق، فأهل السنة والجماعة هي الفرقة التي توصف بكل هذه الأوصاف؛ فتوصف بأنها الجماعة، وتوصف بأنها الفرقة الناجية،

وتوصف بأنها أهل الحق، ويدخل فيهم دخولاً أولياً الصحابة والتابعون ومن بعدهم.

○ قوله: «فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع»، بل قد يقال إنه يكفر؛ لأن الذي نقل إلينا الشريعة هم الصحابة والتابعون، فقد نقلوا إلينا القرآن ونقلوا إلينا السنة، فمن زعم أنه لا يؤخذ عن الصحابة فقد كفر، إذ ليس له طريق إلا طريق الصحابة؛ لأنهم نقلة الشريعة، ونقلة الدين، ولهذا فإن من طعن فيهم فقد طعن في الدين، كبعض الفرق الضالة كالرافضة يطعنون في الصحابة ويكفرونهم ويفسقونهم، وهذا كفر وضلال؛ لأن الطعن في الصحابة ﷺ طعن في الدين الذي حملوه، فالذي يقول إن الصحابة كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي فقد طعن في الدين الذي حملوه، ولهذا فإن من كفر الصحابة وفسقهم فهو كافر؛ لأنه مكذب لله، فقد زكاهم الله وعدلهم ووعدهم بالجنة، ومن كذب الله كفر، وكذلك إذا كانوا كفاراً فكيف يوثق في دين حمله كفار وفساق؟! فالطعن في الصحابة زندقة وكفر وضلال .

○ قوله: «قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بُينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر»[1] هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه إسناده منقطع ولكن معناه صحيح دلت عليه النصوص، وله شواهد عن بعض السلف، فعن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه قال: «لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ بَعْدَ السُّنَّةِ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا يَحْسَبُ أَنَّهَا هُدًى»[2]، وأيضاً معناه صحيح، فإن معناه أنه لا يُعذر الإنسان في الضلالة التي يرتكبها يظن

(١) أخرجه ابنُ بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٢٠/ ١٦٢)، وأبو نُعيم في الحلية (٥/ ٣٤٦)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٨٠٠).
(٢) أخرجه المروزي في السنة (١/ ٣١/ ٩٥).

أنها من الهدى، ولا في الهدى الذي يتركه يحسب أنه ضلالة؛ لأنه من الواجب على الإنسان أن يسأل عن دينه، وأن يسأل عما أشكل عليه ولاسيما بعد بعثة النبي ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فمن بلغه القرآن فقد قامت الحجة، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد بُعث الرسول ﷺ، وكما أن الإنسان يسأل عن دنياه إذا أراد أن يشتري سلعة فيسأل أهل الخبرة، فعليه أن يسأل عن دينه وعما أشكل عليه، فلا عذر له في العمل بما يخالف شرع الله وهو يستطيع أن يسأل أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «**فقد بُينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر**» أي: ببعثة الرسول ﷺ وبنزول القرآن، إنما يُعذر الذي لم يبلغه القرآن ومن كان قبل بعثة النبي ﷺ، فأهل الفترات هم الذين يُعذرون، ولهم أحكام خاصة جاءت بها النصوص، وهي أنهم يُمتحنون يوم القيامة[(١)]، وكذلك من لم يبلغه شيء من القرآن، أما من يعيش بين المسلمين ويسمع القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، فهنا قد بُينت الأمور وثبتت الحجة، فالقرآن يتلى والسنة موجودة بين الناس، فلا عذر في هذه الحالة، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد في المسند، رقم (١٦٣٠١)، وابن حبان (٧٣٥٧)، والاعتقاد للبيهقي، باب القول في الأطفال أنهم يولدون على فطرة الإسلام (١/ ١٦٩)، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٥٣).

❍ قوله: «**وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين للناس فعلى الناس الاتباع**»، فالسنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله ولم يبقى شيء إلا وقد بُين في الكتاب العزيز وفي السنة النبوية واجتمع المسلمون من الصحابة والتابعين على العمل بهذا الدين، فمن ترك السنة والجماعة بعد وضوح ذلك فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٤] واعلم ـ رحمك الله ـ أن الدين إنما جاء من قِبل الله تبارك وتعالى، لم يوضع على عقولِ الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئاً بِهواك، فَتَمْرُق من الدين، فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك، فقد بيَّن رسول الله ﷺ لأمته السنة، وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السوادُ الأعظمُ، والسوادُ الأعظمُ: الحقُّ وأَهلُهُ، فمن خالفَ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ في شيء من أمر الدين فَقَدْ كَفَرَ.

الشرح

○ قوله: «**واعلم**» هذا من باب التنبيه، يعني: اجزم وتيقن بهذا الأمر الذي سأبينه لك؛ لأن العلم هو حكم الذهن الجازم(١).

○ قوله: «**رحمك الله**» هذا خبر بمعنى الدعاء، أي: أسأل الله أن يرحمك، وهذا من نصح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فهو يعلمك ويدعو لك.

○ قوله: «**اعلم رحمك الله أن الدين، إنما جاء من قِبل الله تبارك وتعالى لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله**» يعني: تيقن واجزم أن الدين إنما جاء من الله؛ لأن الدين وحي الله إلى رسوله ﷺ، فقد أوحى إليه القرآن وأوحى إليه السنة، والدين هو ما جاء في القرآن والسنة، وهو من قبل الله لم

(١) تقدم قريباً.

يوضع على عقول الرجال وآرائهم، فعقول الرجال وآراؤهم لم يجعلها الله هي الميزان الذي يُرجع إليه، وإنما الميزان كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالدين إنما جاء من قِبل الله تعالى بالوحي المنزل على نبيِّه ﷺ قرآناً وسنة وعلمه عند الله وعند رسوله ﷺ.

○ قوله: «**فلا تتبع شيئاً بهواك فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك**»، أي: لا تتبع الهوى؛ لأن اتباع الهوى ضلال، ولهذا قال الله تعالى لنبيه داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦]، فمن اتبع شيئاً بهواه مرق من الدين، ومن مرق من الدين خرج من الإسلام، ولا حُجة له في هذه الحالة، وقد بين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ السبب بقوله: «**فقد بين رسول الله ﷺ لأمته السنة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة**» أي: ليس هناك حجة لمن خرج عن الدين؛ لأن الرسول ﷺ بين لأمته السنة وأوضحها لأصحابه، والرسول ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فقامت الحجة على الناس.

▪ **مسألة: ما هو ضابط الإطلاق الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «فلا تتبع شيئاً بهواك فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام»؟**

• **الجواب:** ضابطه النصوص، فما دلت عليه النصوص أنه مروق من الدين يكون مروقاً، وما لم تدل عليه النصوص أنه لا يكون مروقاً فلا يكون مروقاً.

○ قوله: «**وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله**»، أي: المراد بالسواد الأعظم الحق وأهله، فأهل الحق هم

السواد الأعظم، كما جاء في بعض الأحاديث: «**عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ**»[١]، وهو أمرٌ بلزوم السواد الأعظم، وهم من ثبت على الحق ولو كان واحداً، كما قال بعض السلف: «**إِنَّ جُمْهُورَ الْجَمَاعَةِ هِيَ الَّتِي تُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ، إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ**»[٢]، وليس المراد أن الحق يعرف بكثرة الناس، بل إن الكثرة في الغالب تكون هالكة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧]، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

والسواد الأعظم يكثرون ويقلون، ففي عهد النبي ﷺ كان الصحابة هم السواد الأعظم، وفي عهد التابعين كان التابعون هم السواد الأعظم، وفي عهد تابعيهم والأئمة وهكذا، وفي بعض الأزمنة يكون على الحق واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة، وقد يكون على الحق جماعة متفرقون قلة، فيكون في هذا البلد أفراد وفي هذا البلد أفراد، فهم الحق وهم السواد الأعظم، وفي آخر الزمان وفي وقت الفتن وقبيل خروج الدجال يجتمعون في الشام.

وأهل السواد الأعظم هم الطائفة المنصورة، وهم أهل الحق وهم أهل السنة وهم الجماعة، وقد يكون الإنسان من أهل السنة

---

(١) أخرجه ابنُ ماجَهْ، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، رقم (٣٩٥٠)، وأحمد في المسند: رقم (١٨٤٥٠)، ولفظه: «**إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ**».

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٢١/ ١٦٠)، من كلام عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

والجماعة وهو مزارع أو تاجر أو جزار أو سباك وقد يكون محدثاً وفقيهاً، ومقدم أهل السنة والجماعة أهل الحديث وأهل العلم وأهل الفقه وأهل البصيرة ومن كان على طريقتهم، ولهذا قال الإمام أحمد: «**إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ**»(١) فيكون في مقدمتهم أهل الحديث وكل من تبعهم فهو منهم، ومقدمتهم الأولى الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الأئمة.

○ قوله: «**فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من أمر الدين فقد كفر**» وهذا كلام مجمل من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، أن من خالف رسول الله ﷺ في أمر من أمور الدين فقد كفر؛ لأنه إذا خالف في أمر من الأمور الاعتقادية بأن فعل ناقضاً من نواقض الإسلام، أو أشرك في العبادة، أو أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة فقد كفر، وقد يكون كفره كفراً أصغر، كما لو حلف بغير الله أو طعن في النسب أو ناح على الميت؛ كما قال النبي ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»(٢)، وكذا من قال لأخيه: يا كافر، كما في الحديث: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»(٣) والقتال بين المسلمين،كما في الحديث: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٤) فكل هذه أعمال كفرية، لكنها لا تُخرج من الملة،

(١) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث بسند صحيح (١/ ٢).
(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٦٧).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ، رقم (٦١٠٤)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٦٠).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الْأَيْمَانِ، باب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، رقم (٤٨)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٦٤).

وقد يكون دون ذلك فيكون مخالفة، فكلام المؤلف مجمل ليس على إطلاقه وفيه تفصيل، فإن المخالفة قد تكون كفراً أكبر وقد تكون كفراً أصغر، وقد تكون بدعة، وقد تكون معصية.

فلا بد للمسلم أن يحفظ دينه من البدع والمحدثات صغيرها وكبيرها، فإنه لا يتم إسلام مسلم حتى يكون متبعاً مصدقاً مسلماً.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٥] واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها**» وهذا من باب التنبيه كي يجذب انتباه الذهن، ومعناه: اجزم وتيقن أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فكل بدعة تحدث يموت مثلها من السنة،كما جاء في الحديث عن النبي «مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ»(١) فالسنة تقابل البدعة والبدعة تقابل السنة، وإذا أحييت سنة ماتت البدعة المقابلة لها، وهذا شيء واضح لا شك فيه.

○ قوله: «**فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار**»، هذا مأخوذ من الأحاديث التي جاء فيها التحذير من البدع، قال عليه الصلاة والسلام: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٦٩٧٠)، وجود إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/٢٥٣).

ضَلَالَةٌ»[١]، وفي رواية النسائي: «**وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[٢].

وثبت في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[٣]، وفي لفظ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٤]، فكل عمل وكل حدث في الدين يخالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ فهو بدعة.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب فِي لُزُوم السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: أبواب العلم،بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، رقم (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه: المقدمة، باب اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، رقم(٤٢)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) أخرجه النسائي، كتاب صلاة العيدين، كَيْفَ الْخُطْبَةُ، رقم (١٥٧٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، رقم (٢٦٩٧)، ومُسْلِم، كتاب الأقضية، رقم(١٧١٨).

(٤) أخرجه مُسْلِم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦] واحذر صغار المحدثاتِ من الأمور؛ فإنَّ صغيرَ البدعِ يعود حتى يصيرَ كبيراً، وكذلك كلُّ بدعةٍ أُحْدِثَتْ في هذه الأمَّة، كان أوَّلُها صَغيراً يُشبِهُ الحقَّ، فاغترَّ بذلك من دخلَ فيها، ثُمَّ لم يستطعْ الخروجَ منها، فَعَظُمتْ وصارت ديناً يُدَانُ به، فخالف الصِّراط المستقيم فَخَرَجَ، من الإسلامِ، فانْظُر رحمكَ الله كُلَّ مَن سمِعتَ كلامه من أهلِ زمانك خاصَّة فلا تعجلنَّ، ولا تدخلنَّ في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم به أصحابُ رسولِ اللهِ أو أحدٌ من العلماء؟، فإن وجدت فيه أثراً عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار.

الشرح

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عليك أن تجتنب البدع حتى ولو كانت صغيرة، ولو كانت بدعة قولية، أي: ما يقوله بعض الناس، كأن ينطق بالنية حينما يصلي، فإذا صليت بجواره فإنه يقول: نويت أن أصلي فرض الظهر أربع ركعات خلف هذا الإمام، وإذا أراد أن يصوم، قال: نويت أن أصوم هذا اليوم من رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وإذا أراد أن يطوف بالبيت قال: نويت أن أطوف بالبيت سبعة أشواط طواف العمرة أو طواف الوداع، أو نويت أن أسعى بين الصفا والمروة مع الحج، وهذه بدعة ليس لهم عليها

دليل، ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو مكث أحدهم عمر نوح عليه السلام يفتش: هل فعل رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه شيئًا من ذلك، لما ظفر به، إلا أن يجاهر بالكذب البحت»[1]، فهذه بدعة صغيرة يتساهل بها بعض الناس، لكن قد تجره إلى البدع الكبار، وكذلك أيضاً بعض الناس إذا توضأ فإنه يأتي بأذكار لا أصل لها، فإذا غسل وجهه قال: اللهم بيض وجهي يوم تسود الوجوه، وإذا غسل يده اليمنى قال: اللهم أعطني كتابي بيميني وهذه بدعة لا أصل لها، فالصغير يجر إلى الكبير.

○ قوله: «**وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت وصارت ديناً يدان به**»، يعني: كل بدعة حينما تحدث تكون صغيرة تشبه الحق من وجه فيغتر بها بعض الناس فيدخلون فيها فإذا دخلوا ما استطاعوا الخروج منها، وهكذا ينتقل من بدعة إلى بدعة حتى يصل إلى الكفر نعوذ بالله، فتعظم بسبب الإلف والاعتياد، فهو يبتدع أولاً بدعة صغيرة ويغتر بها، ثم لا يستطيع الخروج منها، ثم تعظم وتصير ديناً فمخالف الصراط المستقيم ويخرج بذلك من الإسلام، فمثلاً بعض الناس في بعض المجتمعات اعتادوا أن المرأة لا تحتجب عن أقاربها من بني عمها وجيرانها، فالمرأة تسلم على ابن عمها وابن خالها وجارها وزوج أختها فتكشف لهم وجهها وتسافر معهم وقد تأكل معهم، لكن إذا خرجت للشارع تتحجب، فبعض الناس إذا نهيته قلت: يا فلان! لا يجوز لك أن تترك امرأتك تسلم على جارك أو تسلم على أخيك وتكشف له وجهها، فيقول:

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٣٨).

لا نستطيع تركه؛ فقد نشأنا عليه، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: «**إن البدعة تعظم وتصير ديناً يدان بها**» لا يستطيع الفكاك عنها، لكن لو جاهد نفسه وكان شجاعاً قوياً في الحق لنصح أهله وجاره وابنه وبني عمه وبني خاله ويقول: هذا محرم ولا يجوز للمرأة أن تكشف لهم وجهها، لكن هذا التساهل الذي نشأ عليه الصغير وهرم عليه الكبير جعل هذه البدعة أو هذه المعصية لا يستطيع الإنسان الفكاك عنها، وهذا هو معنى قول المؤلف رحمه الله: «**وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت وصارت ديناً يدان بها فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام**»، أي: أن هذه البدعة وإن كانت صغيرة فقد خالف صاحبها بها الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو العمل بالسنة وترك البدعة. وقد تجر هذه البدعة الصغيرة إلى ما هو أكبر منها، وصدق الشاعر حين قال:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَؤُهَا مِنَ النَّظَرِ　　　وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

فحينما ينظر الرجل الأجنبي إلى امرأة فيقول: السلام عليكم، تقول: عليك السلام، وما عندهم أحد، ثم يكلمها، ثم يلتقي بها حتى قد يصل إلى فعل الفاحشة والعياذ بالله، وأول شيء: نظرة، فسلام فكلام، ثم لقاء، وهكذا يتدرج الإنسان من المعصية إلى المعصية، فكذلك البدعة ينتقل من بدعة إلى بدعة حتى يصل إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ، فيخرج بذلك من الإسلام كله، ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

○ قوله: «**فانْظُر رحمكَ الله! كُلَّ مَن سمِعتَ كلامه من أهلِ زمانك خاصَّة فلا تعجلنَّ ولا تدخلنَّ شيء منه حتى تسأل وتنظر،**

هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء فإن وجدت فيه أثراً عنهم فتمسك به»، «**فانْظُر**» بمعنى تأمل، وليس المراد النظر بالعينين، وإنما المراد النظر بالقلب، كقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ [الروم: ٥٠]، وهذا من نصح المؤلف رحمه الله أن يسأل لك الرحمة، يعني اللهم ارحمه، ومعنى كلامه إذا رأيت أهل زمانك يتكلمون في شيء أو يعملون شيئاً فتأمل ولا تستعجل ولا تدخل في شيء من هذه الأمور، ولا تتكلم في هذا الشيء الذي تكلموه ولا تعمل هذا العمل الذي عملوه إلا بعد أن تتأمل، وتسأل وتنظر، وإذا كنت طالب علم فابحث في كتب العلم ومع أهل العلم، فانظر هذا الأمر الذي يعمله الناس مثل رفع اليدين في الدعاء أو الزيارة والصلاة في المقبرة، فإذا رأيت بعض الناس يصلي عند المقبرة وأنت لا تدري ما الحكم، فانظر وتأمل ولا تستعجل فتصلي عند القبر تقليداً لمن يفعل ذلك، حتى تنظر وتتأمل هل تكلم فيه أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء، فإن وجدت فيه أثراً فتمسك به، وإن وجدت أن هذا العمل مشروع فاعمل به، وإذا وجدتهم ينهون عنه ويحذرون منه فاتركه.

○ قوله: «**ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار**» يعني: أن المعاصي توصل إلى النار، فعلى الإنسان ألا يعمل شيئاً ولا يقل شيئاً إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله، فقد نهى النبي عن الصلاة إلى القبور بقوله: «**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**»(١)، ونهى النبي ﷺ عن الصلاة في المقبرة والحمام

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الجنائز، رقم (٩٧٢).

فقال «**الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا المَقْبَرَةَ وَالحَمَّامَ**»[(١)]، فالصلاة في المقبرة من وسائل الشرك وهذا حرام.

إذاً لا تفعل شيئاً تقليداً لمن فعله، فكل عمل لابد أن تنظر فيه وتتأمل وتعمل بالسنة ولا تجاوزه إلى غيرها فتسقط في النار، والمعنى: أن البدع والمعاصي توصل إلى النار وهي بريد الكفر.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصَّلَاةِ: بَابُ في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة، رقم (٤٩٢)، والترمذي، كتاب الصَّلَاةِ، باب مَا جَاءَ أَنَّ الأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا المَقْبَرَةَ وَالحَمَّامَ، رقم (٣١٧)، وابنُ ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة، رقم (٧٤٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧] واعلم أن الخروج من الطريقِ على وجهين؛ أما أحدهما: فرجل زل عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلتهِ، فإنَّه هالكٌ، وآخرُ عاندَ الحقَّ وخالفَ من كان قبله من المتقين، فهو ضالٌّ مُضِلٌّ، شيطانٌ مَريدٌ في هذه الأمة، حقيقٌ على من يعرفه أن يُحذِّرَ النَّاس منه، ويبين للناس قصته، لئلا يقع أحدٌ في بدعتهِ فيهلك.

الشرح

○ قوله: «**اعلم أن الخروج من الطريق يكون على وجهين**» يعني: تيقن أن الذي خرج عن الطريق المستقيم وخالف السنة له **حالتان:**

الحالة الأولى: «**رجل زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلته**»، هذا النوع من الناس هو من لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلته، أي أنه لم يتعمد ترك الحق ولكنه خالف الحق، فهذا لا يقتدى به ولو كان من الصحابة أو التابعين.

○ قوله: «**فإنَّه هالكٌ**» هذا اللفظ فيه تفصيل:

١- إن كان عالماً مجتهداً، وهذا هو الذي وصل إليه باجتهاده فهو مأجور على اجتهاده وخطؤه مغفور، ولكن لا نقتدي به وإنما نترحم عليه ما دام أننا عرفنا أنه مخالف للنص حتى ولو كان من

الصحابة، ومثال ذلك: أن أصحاب النبي ﷺ في حجة الوداع منهم من أحرم بحج فقط ومنهم من أحرم بعمرة وحج، ومنهم من أحرم بالحج مفرداً، ومنهم أحرم متمتعاً بالعمرة إلى الحج، ومنهم من أحرم بالعمرة مفرداً، فلما قربوا من مكة أمر النبي ﷺ الذين لم يسوقوا الهدي أن يقلبوا إحرامهم إلى عمرة، ثم لما طافوا وسعوا عند المروة حتَّم عليهم وألزمهم أن يتحللوا فتحللوا كلهم إلا من ساق الهدي؛ وذلك لإزالة اعتقاد الجاهلية؛ فقد كان أهل الجاهلية يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور، فأراد النبي أن يزيل اعتقاد أهل الجاهلية وأمرهم أن يجعلوها عمرة، حتى أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: يا رسول الله! أيذهب أحدنا إلى منى وذكره يقطر منياً، فخطبهم، وقال: «**لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ**»(١)، تطييباً لخواطرهم، لأنهم كانوا في الجاهلية لا يعتمرون في وقت الحج، فأخذ العلماء من هذا مشروعية فسخ الحج إلى العمرة لمن لم يسق الهدي، وقالوا: إن هذا هو الأفضل، وقد أفتى بذلك علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وابن عباس ﷺ، ثم اجتهد الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم وصاروا بعد وفاة النبي ﷺ يفتون الناس أن يحرموا بالحج مفردين، وقالوا إن العمرة يؤتى بها في وقت آخر حتى يستمر الإحرام ولا يزال هذا البيت يُحج ويُعتمر إليه، وقالوا إن اعتقاد أهل الجاهلية قد زال، فكانوا يفتون الناس بالحج مفردين،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحَجِّ، باب التَّمَتُّعِ وَالإِقْرَانِ وَالإِفْرَادِ بِالحَجِّ، وَفَسْخِ الحَجِّ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ، رقم (١٥٦٨)، ومُسْلِم، كتاب الحَجِّ، رقم (١٢١٦).

وبقي ابن عباس وعلي يفتيان بالتمتع.

ولما اختلف علي وعثمان رضي الله عنهما، قال علي لعثمان: «**مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ**»[(١)]، وكذلك أبو موسى الأشعري، حتى إن جماعة ناظروا ابن عباس، وقالوا له: كيف يا ابن عباس! تأمر بالعمرة وأبو بكر وعمر يأمران بالحج؟ فاشتد ابن عباس رضي الله عنهما في الإنكار عليهم؛ لأنهم خالفوا السنة، فقال: «**أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[(٢)].

فهذا قول للخلفاء الثلاثة وقد اجتهدوا رضي الله عنهم، لكن الصواب مع ابن عباس، ومع علي، ومع أبي موسى الأشعري، فمن خالف السنة باجتهاد فهذا له أجر على اجتهاده كالصحابة ومن بعدهم من العلماء، وقال ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[(٣)].

٢- إذا كان متعمداً تَرْك الحق فهذا هو الهالك، أما إذا كان عن اجتهاد فليس بهالك.

الحالة الثانية: «**وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهو ضال مضل، شيطان مريد في هذه الأمة**»، فإذا عاند وترك الحق عن هوى لا عن اجتهاد بل عن اتباع للهوى فهو ضال

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحَجِّ، باب التَّمَتُّعِ وَالإِقْرَانِ وَالإِفْرَادِ بِالحَجِّ، وَفَسْخِ الحَجِّ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ، رقم (١٥٦٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم (٣١٢١)، وابن حزم في حجته، رقم (٣٩١)، وأورده شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥) بلفظ: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكِتَابُ والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (٧٣٥٢)، ومُسْلِم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٦).

مضل، وهو شيطان مريد في هذه الأمة، هذا إذا كانت مخالفته كبيرة توصل إلى هذا الحد، أما إذا كانت مخالفة يسيرة فقد لا يكون بهذا الوصف، حيث إن هذا الوصف من قوة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وشدته على أهل البدع، وقوة الدفاع عن الحق، ولشدة تحذيره من أهل البدع وإلا هذا فيه تفصيل أيضاً، فالذي خالف الحق في بعض المسائل الواردة في السنة مثل رفع اليدين في الصلاة، أو جلسة الاستراحة وغيرها من المسائل التي لا توصل إلى هذا الوصف فيكون قد خالف السنة ولا يكون بهذا الوصف، وإن كان قد خالف الحق في المسائل التي خلافها مؤثر حتى يكون فاعلها ضالاً مضلاً فهو بهذا الوصف.

○ قوله: «**حقيقٌ على من يعرفه أن يُحذِّرَ النَّاس منه، ويبين للناس قصته، لئلا يقع أحدٌ في بدعتِهِ فيهلك**» فيجب على الإنسان أن يحذر من البدع ويحذر من أهل البدع وأهل الضلال حتى لا يقعوا في بدعته فيهلكون.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨] وَاعْلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لَا يَتِمُ إِسْلَامَ عَبدٍ حتى يكون مُتَّبِعاً مُصَدِّقاً مُسَلِّماً، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ بَقِي شَيء مِنْ أَمرِ الإسلام لم يَكْفُوناهُ أصحابُ محمدٍ فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وَكَفَى بِهِ فُرقَةً وَطَعْناً عَلَيهِم، وُهو مُبتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌ، محدثٌ في الإسلامِ ما ليسَ فيهِ.

الشرح

○ قوله: «وَاعْلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لَا يَتِمُ إِسْلَامَ عَبدٍ حتى يكون مُتَّبِعاً مُصَدِّقاً مُسَلِّماً» فلابد أن يكون مصدقاً أي: مقراً ومعترفاً بما جاء عن الله وجاء عن رسول الله ﷺ، فيكون لسان حاله ومقاله: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، وبذلك يتم إسلام العبد ويكون متبعًا للرسول ﷺ مصدقاً مسلمًا مسلِّمًا، فمن لم يصدق بالباطن يكون منافقاً، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البَقَرَة: ٨] فهم يقولون: آمنا بألسنتهم وما هم بمؤمنين بقلوبهم، وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنَافِقون: ١]، فلا يتم إسلام العبد حتى يكون مسلِّماً لأمر الله وأمر رسوله ولا يكون معترضاً على أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فمن اعترض على أمر الله وأمر رسوله ﷺ فهذا كفر وضلال، فإبليس قابل أمر الله بالاعتراض والرد وهو لم يكذب بل هو مصدق لكنه معترض على

الله ورد أمر الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، فهذا اعتراض ورد فإنه لما أمره الله بالسجود لآدم، هو لم ينكر أمر الله، لكنه اعترض ورد أمر الله لأن آدم مخلوق من الطين وهو مخلوق من النار، والنار أحسن من الطين وأفضل بزعمه ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعرَاف: ١٢]، فكفر وطُرد من رحمة الله بالرفض والرد والاعتراض على الله.

○ قوله: «**فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ بَقِي شَيء مِنْ أَمرِ الإسلام لم يَكْفُوناهُ أصحابُ محمدٍ ﷺ فَقَدْ كَذَّبَهُمْ**» أي: من زعم أن هناك شيئاً ما نقله الصحابة ولا وصل إلى أيدينا من الدين فقد كذب الصحابة.

○ قوله: «**وَكَفَى بِهِ فُرقَةً وَطَعْناً عَلَيهِم وُهو مُبتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌ محدثٌ في الإسلامِ ما ليسَ فيهِ**» من كذَّب الصحابة رضوان الله عليهم فقد أعظم الطعن عليهم، ومن كذَّب الصحابة رضوان الله عليهم فهو مبتدعٌ ضال مضل محدث في الإسلام ما ليس منه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٩] وَاعْلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لَيْسَ في السُّنةِ قِياسٌ، وَلَا يُضْرَبُ لَهاَ الأمثالُ، ولا تُتَّبعُ فيها الأَهْواءُ، وهو التَّصْدِيقُ بآثارِ رسول اللهِ ﷺ بلا كيفٍ ولا شرحٍ، لا يُقَالُ: لم وكيف؟.

الشرح

○ قوله: «**وَاعْلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لَيْسَ في السُّنةِ قِياسٌ**» يعني: المراد بالقياس هنا القياس الفاسد وهو الذي يُعارض به النصوص، مثل قياس إبليس، فهو أول من قاس القياس الفاسد، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢]، ولهذا قال محمد ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ، وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَايِيسِ»(١)، والقياس الفاسد هو أن يُستعمل القياس مقابل النص، فإذا جاءك نص فلا تقس، ومثال ذلك: حرم الله تعالى الربا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البقرة: ٢٧٨]، فالمشركون قاسوا وقالوا: إن البيع مثل الربا، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وهذا القياس فاسد مقابل النص، فالنص هو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البقرة: ٢٧٨]، فالقياس الفاسد هو الذي

(١) أخرجه الدارمي: بَابُ تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، رقم (١٩٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٥٣/ ٣٥٨٠٦)، وذم الكلام وأهله (٢/ ٢٠٠/ ٣٥٦).

يكون في مقابلة النصوص، فإبليس كان عنده نص وهو: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، فقام بالقياس الفاسد وهو: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝١٢﴾ [الأعرَاف: ١٢].

○ قوله: «وَلَا يُضْرَبُ لَهاَ الأمثالُ»، يعني: لا يضرب لكلام الله وكلام رسوله ﷺ الأشباه والنظائر، فيقول: إن هذا مثل كذا وهذا مثل كذا فيكون حكمه كذا، فأمرُ اللهِ وأمر رسوله يُتلقى بالتصديق والقبول والامتثال.

○ قوله: «ولا تُتَّبَعُ فيها الأَهْواءُ، وهو التَّصْدِيقُ بآثارِ رسول اللهِ ﷺ بلا كيفٍ ولا شرحٍ لا يُقَالُ: لم وكيف؟» فالله تعالى حرم عليك الربا، لكن الإنسان يهوى أن يتعامل بالربا حتى يحصل له ربح، فهذه شهوة وهوى فاترك الهوى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [صٓ: ٢٦]، وقدم أمر الله وأمر رسوله ﷺ على الهوى، فإذا جاءتك النصوص فلا تعترض، بأن تقول: «لم؟»، وهي في الأفعال، و«كيف؟»، وهي في الصفات، كأن تقول: لماذا أوجب الله علينا الصلوات الخمس، لماذا لم يجعلها ست صلوات؟! لماذا جعل الله هذا فقيراً وهذا غنياً، وهذا طويلاً وهذا قصيراً، وهذا ملكاً وهذا مملوكاً؟!

الجواب: لأن الله حكيم: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبيَاء: ٢٣]؛ لكمال حكمته ولا تقل: كيف استوى الله على العرش؟ كيف ينزل؟ كيف يتكلم؟ فهو ﷻ ينزل بلا كيف، ويتكلم بلا كيف، كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء: **«الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، والكَيْفُ مَجْهُولٌ، والإيمانُ بِهِ وَاجِبٌ، والسُّؤَالُ**

عَنْهُ بِدْعَةٌ»[(١)]، أي: معلوم في اللغة العربية، فالواجب على المسلم التصديق بآثار الرسول ﷺ بلا كيف ولا شرح يخالف النصوص، أو يكون فيه اعتراض على أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٤٠/ ٦٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٥/ ٨٦٧)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١/ ٦٦/ ١٠٤)، وقد صححه الذهبي في «العلو» (ص ١٠٣)، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧): إسناده جيد.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠] والكَلَامُ والخُصُومةُ والجِدَالُ والمِرَاءُ مُحْدَثٌ يَقْدَحُ الشَّكَّ في القلبِ، وإنْ أَصَابَ صاحبُهُ الحقَّ والسُّنَّةَ.

الشرح

○ قوله: «والكَلَامُ والخُصُومةُ والجِدَالُ والمِرَاءُ مُحْدَثٌ يَقْدَحُ الشَّكَّ في القلبِ، وإنْ أَصَابَ صاحبُهُ الحقَّ والسُّنَّةَ» يعني: الخصام والنزاع والجدال في أمور الدين وفي مسائل الاعتقاد بدعة محدثة(١)، حتى ولو أصاب صاحبه الحق فلا ينبغي للإنسان أن يتكلم في الصفات وفي مسائل الدين بالشبهة التي توقع الشك، ولهذا كان السلف رحمهم الله يكرهون الكلام في الصفات وفي الأفعال، وكانوا لا يودون الكلام فيها، لكن لما تكلم أهل الباطل وأهل البدع بالباطل اضطر العلماء إلى الرد عليهم، وإلا فالأصل أنه لا يُتكلم فيها، فقد كان أحد الصحابة إذا وقع في نفسه الشك كتم، واستعظم الكلام فيه وحاربه، ولهذا لما جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ

---

(١) قال العمراني في الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ١٢٩): «صرح العلماء من أهل الحديث والفقهاء المشهورون بتحريم الكلام، وقالوا: هو محدث وبدعة في الدين، وقالوا: لو كان طريقاً صحيحاً لمعرفة الله سبحانه لنبه الله سبحانه عليه في القرآن ولأمر النبي ﷺ به وتكلمت به الصحابة رضي الله عنهم، وقد علَّم النبي ﷺ أصحابه الاستنجاء ودلهم على جميع الأحكام فلو كان الكلام من مهمات الدين لنبه النبي ﷺ عليه».

ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» **قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ:** «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»(١)؛ فهو يود أن يسقط من السماء ولا يتكلم بالوساوس؛ لخبثها، وفي لفظ: «**لَأَنْ أَكُونَ حُمَمًا**» يعني: فَحْمَةً، «**أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:** «**اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ**»(٢)؛ والمعنى: كَتْم الوَسْوسة، ومحاربتها، ودفعها، واستعظام التكلُّم بها صريح الإيمان، لكن المتأخرين صاروا يتكلمون بالوساوس وكتبوها وألِفوها فحصلت الشكوك والبدع، فاضطر العلماء إلى الرد عليها.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٣٢).
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٩٦/٦٥٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠/٣٨/١٠٨٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (٩/٢٤٨/١٠٤٣٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١] وَاعْلَم - رَحِمَكَ اللهُ - أنَّ الكلامَ في الربِّ تعالى محدثٌ، وهو بدعةٌ وضلالةٌ، ولا يُتكلَّم في الرَّبِّ إلا بما وصف به نُفْسَهُ في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه، وهو - جلَّ ثَنَاؤهُ - واحدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، رَبُّنَا أولٌ بِلَا متى، وآخرٌ بِلَا منتهى، يعلم السِّرَ وأخفى، وعلى عرشِهِ استوى، وَعِلمُهُ بكلِّ مكانٍ، لا يخلو من عِلمِهِ مكانٌ.

الشرح

○ قوله: «**وَاعْلَم رَحِمَكَ اللهُ**»، هذه عادة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول في أول كل فقرة جديدة «**اعْلَم**» يعني: تيقن تيقناً جازماً، وهو يدعو ويسأل من الله عَزَّ وَجَلَّ الرحمة لطالب العلم.

○ قوله: «**أنَّ الكلامَ في الربِّ تعالى محدثٌ**» أي: ما يتكلم به أهل الكلام في الخوض في الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله بغير علم، فمنهم من تكلم في الرب فقال: إنه ليس فوق العرش والعياذ بالله، ومنهم من قال: أنه في كل مكان، فهذا كله محدث، وهو كفر وردة والعياذ بالله، فالجهمية الذين يقولون: إن الرب ليس فوق العرش وإنما هو في كل مكان، وكذلك من ينفي النقيضين عن الله، يقول: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايد له، ولا متصل به ولا منفصل عنه، هذا الكلام في الرب كفرٌ وضلال، بل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق العرش، مستوٍ على عرشه، بائن من

خلقه، فكلام الجهمية في هذه المسألة محدث، وكذلك كلام المعتزلة في نفي الأسماء والصفات، وكذلك كلام الأشاعرة في نفي الصفات ما عدا الصفات السبع، وكذلك نفيهم للإرادة الدينية، ونفي المعتزلة للإرادة الكونية، كل هذا محدث، وهذا المحدث منه ما هو كفر ومنه ما هو دون الكفر، فلم يكن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم يتكلمون في الرب بما تكلم به هؤلاء، فالرب ﷻ أثبت لنفسه الأسماء والصفات، وأثبت أنه فوق العرش، فالواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، فهؤلاء المبتدعة تجاوزوا ما وصف به الرب نفسه، ووصفه به رسولهﷺ، فكان كلامهم محدثاً، فهو بدعة، وهذه البدعة إما أن تكون مكفرة، كبدعة الجهمية الذين يقولون: إنه ليس فوق العرش، وإنما هو في كل مكان، وإما أن تكون بدعة غير مكفرة كبدعة الأشاعرة الذين يتأولون بقية الصفات ما عدا الصفات السبع.

○ قوله: «**وهو بدعة وضلالة، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه**»، وهذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف به نفسه من الصفات ونفي مماثلته بشيء من المخلوقات»[(١)]، فلا يتجاوز القرآن والحديث.

○ قوله: «**وهوجلَّ ثَنَاؤهُ واحدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾** [الشورى: ١١]» فهو واحدٌ في ذاته، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١-٢]، واحدٌ في أسمائه وصفاته أي: ليس له مثيل، ولا يشبه أحداً من خلقه في ذاته

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٧٤)، و«الصفدية» (١/ ١٠٣)، و«التدمرية» (١/ ١٢٤).

ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهو واحدٌ في ألوهيته، فلا يستحق العبادة أحد غيره. فهو سبحانه واحد، وهو الأحد، وهو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، فهو صمد في نفسه، ولا نظير ولا مثيل ولا سمي ولا نِدَّ له، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

○ قوله: «رَبُّنَا أولٌ بِلَا متى»، يعني: لا يوجه إليه هذا السؤال، فلا يقال: متى كان؟ فهو ﷻ الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، فهو ﷻ واجب الوجود بذاته، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، كما قال الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]. فهذان اسمان متقابلان لأوليته وأبديّته: ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾، وهذان اسمان متقابلان لفوقيته وعلوه: ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ وهو سبحانه لا يشبهه شيء من خلقه. وقد فسر النبي هذه الأسماء الأربعة، حيث قال ﷺ: «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»[١].

○ قوله: «وآخرٌ بِلَا منتهى» كما ورد في الحديث الذي قدمناه آنفاً.

○ قوله: «يعلم السِّرَ وأخفى» فصفة العلم من صفاته ﷻ،

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، رقم (٢٧١٣).

والذي أخفى من السر هو حديث النفس، فهو سبحانه يعلم الكلام الذي تتكلم به سراً، ويعلم ما هو أخفى من ذلك، وهو ما تحدث به نفسك، كما قال ﷻ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]. وكما أخبر الله ﷻ في خطابه لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥].

○ قوله: «**وعلى عرشهِ استوى**» أي: أن الله سبحانه استوى على العرش، والاستواء ذُكر في سبعة مواضع من كتاب الله ﷻ، وكلها جاءت بلفظ الاستواء، وتعدت بعلى التي تفيد العلو والارتفاع، وهذه المواضع جاء ذكرها في سورة الأعراف(١) وفي سورة يونس(٢) وفي سورة الرعد(٣) وفي سورة طه(٤) وفي سورة الفرقان(٥) وفي سورة السجدة(٦)، وفي سورة الحديد(٧)، وكلها فيها التصريح بأنه سبحانه استوى على العرش، ومع ذلك أنكر الاستواء أهل البدع من الجهمية والأشاعرة والمعتزلة، وقالوا معنى استوى: استولى، وهذا لا شك أنه تحريف لمعنى استوى، فإن الله تعالى لو أراد بمعنى استوى: استولى فليس عاجزاً أن يقول: الرحمن على العرش استولى، فلو أراد هذا المعنى لبين ذلك، فاستوى يختلف معناها عن استولى، فمعنى استوى: استقر وارتفع وصعد، واستولى

---

(١) آية رقم (٥٤).
(٢) آية رقم (٣).
(٣) آية رقم (٢).
(٤) آية رقم (٥).
(٥) آية رقم (٥٩).
(٦) آية رقم (٤).
(٧) آية رقم (٤).

تتضمن نقصاً في حق الرب، وذلك أنه لا يقال للشيء استولى إلا بعد أن كان عاجزاً ثم غلب غيره واستولى عليه.

وأما استدلالهم بقول الشاعر:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

فالجواب: أنه لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة، وإنما قيل هذا البيت إن صح في بشر بن مروان لما دخل العراق واستوى على كرسي ملكها. فقيل هذا كما يقال: جلس على سرير الملك.

ولم يرد بذلك مجرد الاستيلاء؛ بل استواء منه عليها؛ إذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة قد استوى أيضا على العراق وعلى سائر مملكة الإسلام ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه. ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا.

وأيضا فإنما تحرف عن هذا عند أهل البدع، وقد جاء عن أهل اللغة أن الاستيلاء لا يوصف به إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه، والله تعالى لم يزل قادرا على الأشياء ومستوليًا عليها، فامتنع أن يكون بمعنى استولى[1].

(١) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٢/ ٩٧)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٢٨٩)، (٨/ ٢٩٩)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٦)، (١٦/ ٣٩٧)، (١٧/ ٣٧٥)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٨١)، (٢/ ٣٠٠).

وأيضا فتحريفهم هذا يعتبر زيادة في كلام الله، ولهذا قال العلماء: إن لام الجهمية كنون اليهود، حين قال الله لهم: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البَقَرَة: ٥٨]، أي: قولوا: حط عنا يا الله ذنوبنا واغفرها لنا، فزادوا في كلام الله واستهزؤوا، فقالوا: حنطة، فزادوا نوناً، وكذلك أخبر الله عن نفسه أنه استوى على العرش، فزادوا لاماً وقالوا: استوى بمعنى استولى ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله تعالى استوى فوق العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، فهو فوق العرش ﷻ، فله علو القدر وعلو القهر وعلو الذات

❍ قوله: «**وَعِلمُهُ بكلِّ مكانٍ، لا يخلو من عِلمِهِ مكانٌ**» المعنى: أن علمه كل مكان، يعلم ما في لجة البحار، وما في ظلمات البر والبحر، ويعلم السر، ويعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فهو سبحانه فوق العرش وعلمه في كل مكان.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٢] ولا يقولُ في صفاتِ الربِّ: كيف؟ ولِمَ؟ إلا شاكٌّ في اللهِ.

الشرح

أي: لا يقال في صفات الرب كيف، كأن يقول: كيف استوى؟ أو كيف ينزل؟ أو كيف يعلم؟ أو كيف يسمع؟ أو كيف يبصر؟ فلا يوجه هذا السؤال إلى الرب إلا شاكٌّ في الله.

وكذلك لا يوجه لأفعال الله هذا السؤال: لم فعل كذا؟ لم قال كذا؟ لم شرع كذا؟ لم أغنى هذا، ولم أفقر هذا؟ فهذا السؤال باطل.

فالسؤال بلِمَ لا يُوجه إلى أفعال الله، والسؤال بكيف لا يوجه إلى صفات الله، فالذي يوجه هذا السؤال: كيف ولم، يقول عنه المؤلف إنه شاكٌّ في الله تبارك وتعالى، أما المؤمن المتيقن فلا يوجه هذا السؤال في صفات الله، بل يقول: آمنت بالله وبما جاء عن الله على لسان رسول الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣] والقُرآنُ كلامُ اللهِ وتنزيلُهُ وَنُورُهُ، لَيس بمخلوقٍ؛ لأنَّ القرآنَ مِن اللهِ، وما كانَ من اللهِ فليس بمخلوقٍ، وَهَكَذَا قال مالكُ بنُ أنسٍ وأحمدُ بن حنبلٍ والفُقهاءُ قبلهُما وبعدهُما، والمراءُ فيهِ كُفرٌ.

الشرح

○ قوله: «القرآن كلام الله وتنزيله ونوره، ليس بمخلوق»، وهو صفة من صفاته جل وعلا، وهذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة، أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. فالقرآن كلامه وتنزيله، أنزله على نبيه ﷺ وحياً بواسطة جبرائيل، كما قال ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥]. فالقرآن كلام الله وتنزيله قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر: ٩]، وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السَّجدَة: ١٣]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النّحل: ١٠٢]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المَائدة: ٤٨]، وقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [الأحقاف: ١-٢]، وقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فُصّلَت: ١-٢]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القَدر: ١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدّخان: ٣]. إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي فيها بيان أن القرآن كلام الله وتنزيله، نزل به جبريل عليه الصلاة والسلام على قلب محمد ﷺ،

قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥]، فمن قال: إنه مخلوق فقد كفر، وهذا هو قول الأئمة كلهم؛ لأن القرآن الكريم صفة من صفات الله تعالى هو من الله وما كان من الله فليس بمخلوق، فإذا قال: إن القرآن جعل صفات الله من جنس المخلوقات، وهذا كفر والعياذ بالله، كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الْقُرْآنُ كَلَامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ**»[(١)]، وهذا على وجه العموم، أما الشخص بعينه فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة.

○ قوله: «**وَهَكَذَا قال مالكُ بنُ أنسٍ و أحمدُ بن حنبلٍ والفُقهاءُ قبلهُما وبعدهُما**» يعني: كلهم قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكلهم قالوا: من قال: القرآن مخلوق فقد كفر.

○ قوله: «**والمراءُ فيهِ كُفرٌ**»، يعني: الجدال في القرآن كفر؛ لأنه يوقع في الضلال وفي البدعة.

وهذا قد جاء في حديث مرفوع من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**»[(٢)]، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/٥٠٨/١٧٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/٢٧٨/٤١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن، رقم: (٤٦٠٣)، والنسائي في الكبرى، رقم: (٨٠٣٩)، وأحمد (٧٦٢٤)، وصححه ابن حبان (٧٤)، والحاكم (٢٩٠٠).

وله شواهد من حديث أبي جهيم بن الحارث بن الصمة أحمد (١٧٨١٤)، وحديث عمرو بن العاص أحمد (١٨٠٩٨)، وحديث عبدالله بن عمرو ابن أبي شيبة (٣٠٧٩٢)، وحديث سعد مولى عمرو بن العاص ابن أبي شيبة (٣٠٧٩١)، وحديث زيد بن ثابت الأنصاري الطبراني في الكبير (٤٩١٦).

ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

والجدال والمراء في القرآن قد يكون كفرًا أكبر، وقد يكون كفرًا أصغر:

- فإن جادل في آيات الله على وجه التعنت والعناد والإنكار لما دلت عليه، وكان يؤدي إلى إنكار آيات الله وجحدها وعدم الإيمان بها، فيكون كفرًا أكبر.

- وإن كان جداله مع الإيمان لكن دون ذلك، فيكون كفرًا أصغر.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٤] والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله بأبصار رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان.

الشرح

يعني: يجب على المسلم أن يؤمن برؤية الله تعالى يوم القيامة، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصار رؤوسهم، والنصوص في إثبات الرؤية كثيرة من القرآن العزيز ومن السنة المطهرة:

أولًا: القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، فالأولى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، من النضارة والبهاء والحسن، بالضاد أخت الصاد، والثانية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، بالظاء يعني: تنظر إلى ربها، قال العلماء: إن هذه الآية صريحة في أن الرؤية تكون بالعين التي في الوجه؛ لأن الله تعالى أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله، أي: أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محل العين، وتعديته بأداة صريحة وهي ﴿إِلَىٰ﴾ وإخلاء الكلام من قرينة تدل على معنى آخر يتبين أن المراد: النظر المضاف إلى الوجه، فالأمر صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين إلى الرَّبِّ جلَّ جلاله، ولم يرد الانتظار.

ثم إن اطراد النصوص بالنظر إلى الله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ولم

يجيء في موضع واحد ترون ثواب ربكم، فتأويله بذلك عين المحال والباطل(١).

وأهل البدع يؤولون قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ بتأويلات باطلة، فبعضهم يقول: ناظرة إلى ثواب ربها، وبعضهم فسرها بالنضرة والنعيم، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ يَعْنِي «**حُسْنَهَا**» ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قَالَ: «**نَظَرَتْ إِلَى الْخَالِقِ** ﷻ»(٢)، فكمل ظواهرهم بالنضرة وبواطنهم بالنظر إليه(٣).

٢- قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: ١٥]، فدل على أن المؤمنين ليسوا بمحجوبين، قال الإمام أحمد رحمه الله: «فَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا أَنَّ اللهَ ﷻ يُرَى»(٤)، وأراد رحمه الله أن كون الكفار يُحجبُون دليل على أن المؤمنين لا يُحجبُون.

٣- قوله سبحانه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، جاء في تفسير ﴿مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ أي: النظر إلى وجه الله الكريم(٥).

---

(١) انظر: «اعتقاد الإمام أحمد برواية الخلال» (ص١١١)، و«الإبانة عن أصول الديانة» (ص٣٧)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥١٢/ ٧٩٥)، و«مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٩)، و«حادي الأرواح» (ص ٢٠٤)، و«الصواعق المرسلة» (١/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٩٩٠/ ٥٨٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٢٦)، ونحوه عن مجاهد، كما أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥١٥/ ٨٠٢).

(٣) «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (١/ ٣٨٦)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٢٨١).

(٤) «الشريعة» للآجري (٢/ ٩٨٦/ ٥٧٨).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٣٦٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٣١٠/ ١٨٦٤٣)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٣٦٣).

٤- قوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، جاء تفسير هذه الآية بهذا في صحيح مسلم، من حديث صهيب رضي الله عنه[(١)].

ثانيًا: السنة:

جاءت السنة بإثبات رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة، والنصوص في هذا متواترة في الصحاح والسنن والمسانيد، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة»[(٢)] وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين» ثم قال رحمه الله: «إن أهل السنة والجماعة يتلون هذه النصوص ولا شيء أقر لأعينهم من ذلك»[(٣)] فهم يتلونها ويستدلون بها، ويُورِّثها السابق للاحق، ويرويها المتأخر عن المتقدم.

○ قوله: **«وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان»** يعني: أن الله تعالى يحاسب خلقه بلا حجاب، لا يحجبه أحد من خلقه، **«ولا ترجمان»** يعني: ولا واسطة، والتُرجمان ـ بالضم والفتح ـ هو الذي يُترجِم الكلام، أي: ينقله من لغة إلى لغة أخرى[(٤)]، والمعنى: أن الإنسان سيكلمه رَبُّهُ ولا يحتاج إلى واسطة.

فالله تعالى يحاسب الخلائق يوم القيامة ليس بينه وبين خلقه أحد، لا ترجمان ولا حجاب؛ كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَا وَسَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ عز وجل لَيْسَ بَيْنَهُ**

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٨١).
(٢) انظر: «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢٩٦).
(٣) انظر: «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٣٠٤).
(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ١٨٦).

وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَمَامَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» رواه الشيخان(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «من نُوقِش الحساب عُذِّبَ»، رقم (٦٥٣٩)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠١٦) من طريق الأعمش به.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٥] والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كفتان ولسان.

الشرح

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، فهم يؤمنون بالميزان يوم القيامة، أي أن هناك ميزاناً توزن فيه أعمال العباد وأقوالهم، والله تعالى قادر على أن يزنها، فهي توزن ولو كانت أعراضاً، فإن الله تعالى يجعلها أجساماً، وتكون الخفة والثقل على حسب صلاح العمل، فالذي أعماله صالحة فإنها تثقل ميزانه، والذي أعماله غير صالحة فإنها تخف ميزانه.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الميزان له لسان وله كفتان، كما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ، فَيُؤْتَى بِالْحَسَنَاتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَثْقُلُ عَلَى السَّيِّئَاتِ**»[(١)]، وجاء في بعض الأحاديث أن كفتي الميزان كأطباق السماوات والأرض، كما جاء عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «**يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ**»[(٢)]، فهو ميزان

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٤٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦/ ١٢٤٥/ ٢٢١٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وابن المبارك في الزهد ص (٤٧٨) =

حسي، له كفتان ولسان، توزن فيه الأعمال[(١)]، ويوزن فيه الأشخاص من الجن والإنس على حسب العمل كما جاء عن عَبْدِاللهِ ابْن سَلَام رضي الله عنه أنه قال: «**إِنَّ مِيزَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُنْصَبُ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ، يُسْتَقْبَلُ بِهِ الْعَرْشُ، إِحْدَى كِفَّتَيْهِ عَلَى الْجَنَّةِ، وَالْأُخْرَى عَلَى جَهَنَّمَ، لَوْ وُضِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي إِحْدَاهُمَا لَوَ سِعَتْهُنَّ، وَجِبْرِيلُ آخِذٌ بِعَمُودِهِ يَنْظُرُ إِلَى لِسَانِهِ**»[(٢)]، كما قال الله تعالى عن الكفرة: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]، وفي الحديث: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾**»[(٣)].

وثبت في الحديث الصحيح أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كشفت الريح عن ساقيه، وكَانَ رضي الله عنه دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُد**»[(٤)].

■ **مسألة: اختلف العلماء هل هو ميزان واحد، أو أن هناك**

= والآجري في الشريعة (٣/ ١٣٢٩/ ٨٩٥) موقوفا على سلمان رضي الله عنه.

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٣٨): قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ وَيَمِيلُ بِالْأَعْمَالِ.

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، باب ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥] الْآيَةَ، رقم (٤٧٢٩)، ومُسْلِم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم (٢٧٨٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: رقم (٣٩٩١)، وابن حبان: (٧٠٦٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥٨/ ٥٣٨٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

موازين متعددة؟

• **الجواب:** من العلماء من قال: إنه ميزان واحد، ومنهم من قال: هي موازين متعددة، لكل شخص ميزان، ولكل أمة ميزان، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ومن قال إنه ميزان واحد أجاب عن ذلك بأنها جُمعت باعتبار الموزون، وإلا فهو ميزان واحد.

وتوزن صحائف الأعمال أيضًا؛ كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟»، فَيَقُولُ: «لَا يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «أَفَلَكَ عُذْرٌ؟»، فَيَقُولُ: «لَا يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ»، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، فَيَقُولُ: «احْضُرْ وَزْنَكَ»، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟!»، فَقَالَ: «إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»(١).

فالمقصود: أنه ميزان حسي، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك أهل البدع كالمعتزلة، فقالوا: ليس

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب «ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله»، رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة»، رقم (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٧١٠).

هناك ميزان حسي وإنما هو ميزان معنوي، وحجتهم في ذلك قالوا: الرب لا يحتاج إلى الميزان؛ لأنه ليس عاجزاً، والميزان لا يحتاج إليه إلا البقال والفوال، أما الرب فلا يحتاج إلى الميزان، فأنكروا الميزان، وهذا من جهلهم وضلالهم؛ لأنهم يُعْمِلون عقولهم في النصوص، وهذا من أبطل الباطل.

فالحق أن هناك ميزانًا حسيًا توزن فيه الأعمال والأشخاص، فمن ثقلت موازينه فهو من السعداء، ومن خفت موازينه فهو من الأشقياء، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦-١١].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يُلْتَفَتُ إلى ملحد معاند يقول: «الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام»؛ فإن الله يقلب الأعراض أجسامًا....

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله «لا يحتاج إلى الميزان إلَّا البقَّال والفوَّال»، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلَّا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرُّسُل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحِكَم ما لا اطلاع لنا عليه؟!»[١].

---

(١) شرح «العقيدة الطحاوية» (ص ٤٧٤، ٤٧٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٦] والإيمانُ بعذابِ القبرِ، ومنكرٍ ونكيرٍ.

الشرح

○ قوله: «والإيمانُ بعذابِ القبرِ» من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر، وكان ينبغي للمؤلف أن يقول الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، ولكنه لم ينص على النعيم رغم أنه يقابل العذاب، وإذا ثبت العذاب ثبت النعيم، قال الله تعالى في شأن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، فقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، دل على أن العرض الأول في القبر، وهو قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي: قبل يوم القيامة؛ لأنه قال بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]، فهذا عذاب القبر. وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]، فيضربون وجوههم وأدبارهم أي: عند التوفي، فهذا من عذاب القبر ونعيمه.

ومن السنة نصوص كثيرة، بل إنها قد تبلغ حد التواتر، من ذلك ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»(٢)، وثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مَرَّ بقبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» **ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»**(٣).

وكذلك أيضاً ما جاء في حديث البراء وغيره وفيه: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ**»، **فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ»، فَيَقُولُ لَهُ: «مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟»**،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجَنَائِزِ، باب التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، رقم (١٣٧٧)، ومُسْلِم، كتاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم (٥٨٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، والترمذي، كتاب الدَّعَوَاتِ، باب مَا جَاءَ إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ، رقم (٣٦٠٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوُضُوءِ، باب مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ، رقم (٢١٨)، ومُسْلِم، كتاب الطَّهَارَةِ، رقم (٢٩٢).

فَيَقُولُ: «أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»، فَيَقُولُ: «رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ... فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: «أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ»، فَيَقُولُ: «مَنْ أَنْتَ؛ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟»، فَيَقُولُ: «أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ»، فَيَقُولُ: «رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ»(١)، كل هذا يدل على إثبات عذاب القبر ونعيمه، فهو حق.

■ **مسألة: الفرق بين عذاب القبر وفتنة القبر**

العذاب: أن يُعذب الإنسان، ويُفتح له باب من النار.

والفتنة: الاختبار والامتحان، فيأتي منكر ونكير يبتليانه ويختبرانه بالسؤال: من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟ ثم تأتي العقوبة بعد ذلك.

فالعذاب نتيجة الفتنة فبعد أن يفتتن يعذب، والفتنة هي الاختبار، فتكون للمؤمن وللكافر، فالمؤمن يُفتن فَينجو ويسلمه الله ويجيب، والكافر يفتتن فيهلك، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]، نسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد في «المسند»: رقم (١٨٥٥٧) ـ واللفظ له ـ، قال البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٥٧): «هذا حديث صحيح الإسناد»، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٥٠): «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

■ **مسألة: هل هذه الفتنة خاصة بأمة محمد ﷺ؟**

• **الجواب:** لا، بل هي عامة في كل أحد، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥].

○ قوله: «**ومنكر ونكير**»، يعني: يجب الإيمان بمنكر ونكير، وهما ملكان يسألان الإنسان في القبر، كما جاء في بعض الأحاديث: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ ـ أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ ـ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ**»[(١)]، وجاء في حديث أنس رضي الله عنه: «**ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا**

---

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الْجَنَائِزِ، باب مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ، رقم (١٠٧١)، وابن حبان: رقم (٣١١٧)، والبزار (١٥/ ١٤٢)، وقال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

الثَّقَلَيْنِ»[١]، فلا بد من الإيمان بمنكر ونكير، وأنهما فتانا القبر كما جاء هذا اللفظ في حديث عطاء بن يسار وفيه: «**فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْكَ أَتَاكَ فَتَّانَا الْقَبْرِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ**»[٢].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجَنَائِزِ، باب: المَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ، رقم (١٣٣٨).

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد: بَابُ الإيمان بعذاب القبر نعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب النار (١/ ٢٢٢)، وقال ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً، وقال الحافظ في المطالب العالية «رِجَالُهُ ثِقَاتٌ مَعَ إِرْسَالِهِ» (١٨/ ٤٧١/ ٤٥٣١).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٧] والإيمان بحوض رسول الله، ولكل نبي حوض، إلا صالح النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإن حوضه ضرع ناقته.

الشرح

○ قوله: «والإيمان بحوض رسول الله ﷺ» من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بحوض النبي ﷺ، فقد جاء في كثير من الأحاديث إثبات حوض النبي ﷺ، وأنه حوض عظيم، يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر من الجنة، وورد أن طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر، والآنية التي يشرب فيها عدد نجوم السماء، وهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة، كما قال النبي ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(١) ـ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الواردين على حوض نبينا ـ.

والأحاديث التي جاءت في إثبات الحوض كثيرة تبلغ حد التواتر، وأنكرها أهل البدع من المعتزلة وأشباههم، وهذا من جهلهم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، رقم(٢٢٩٢).

وضلالهم.

ونحن نعلم أن الأحاديث المتواترة قليلة ـ التواتر اللفظي ـ تقارب أربعة عشر حديثاً[(١)]، أما أكثر السُّنة فقد ثبتت بخبر الآحاد؛ لأن خبر الواحد إذا صح سنده واتصل وعدل رواته وجب العمل به في العقائد والأحكام جميعاً، وأكثر ما في الصحيحين ـ صحيح البخاري وصحيح مسلم ـ أخبار آحاد، فالمتواتر هو الذي يرويه جماعة كثيرون يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، عن جماعة آخرين، من أول السند إلى منتهاه ويسندونه إلى محسوس، وما كان دون ذلك فهو خبر الواحد، حيث رواه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو ما دون التواتر.

ومن الأحاديث المتواترة حديث الحوض، وحديث الشفاعة، ومنها حديث: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا للهِ بَنَى اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ**»[(٢)]، ومنها حديث: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[(٣)]، ومنها حديث «**نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَعَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ**»[(٤)].

○ قوله: «**ولكل نبي حوض**» في حديث سمرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي**

---

(١) انظر: «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث»، للنووي (ص٨٥)، و«المنهل الروي»، للكناني (ص٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصَّلَاةِ، باب مَنْ بَنَى مَسْجِدًا، رقم (٤٥٠)، ومُسْلِم، كتاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم (٥٣٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العِلْم، باب إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١١٠)، ومُسْلِم، المقدمة، رقم (٣).

(٤) أخرجه مُسْلِم، كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم (٨٢٥).

أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»[(١)].

○ قوله: «**إلا صالح النبي ﷺ فإن حوضه ضرع ناقته**» يعني: أن نبي الله صالحاً ليس له حوض، اكتفاء بالناقة التي أعطيها في الدنيا، فقد كانت تشرب المياه يوماً وتعطيهم من اللبن بقدر ما شربت، وفي اليوم التالي تترك الماء لهم، قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ١٥٥﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥٥]، وجاء في الحديث: «**وَيَبْعَثُ اللهُ نَاقَةَ ثَمُودَ لِصَالِحٍ فَيَحْلُبُهَا فَيَشْرَبُهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ حَتَّى تُوَافِيَ بِهَا الْمَوْقِفَ مَعَهُ وَلَهَا رُغَاءٌ**»[(٢)]، وهذا الحديث لم يصح عن النبي ﷺ وعلى هذا فيكون نبي الله صالح له حوض كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكأن المؤلف رحمه الله لم يعتن بالبحث عن سند هذا الحديث، إما لأنه لم يتيسر له مراجعة الحديث، أو لغير ذلك من الأسباب.

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الحَوْضِ، رقم (٢٤٤٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ».

(٢) انظر: «الضعفاء»، للعقيلي (٣/ ٦٤)، و«الموضوعات»، لابن الجوزي (٣/ ٢٤٤)، وضعفه - أيضا - ابن حجر في «لسان الميزان» (٥/ ٢٤٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٨] والإيمانُ بشفاعةِ رسولِ اللهِ ﷺ للمذنبينَ الخاطئينَ؛ في القيامةِ، وعلى الصراط، ويخرجهم من جوف جهنم، وما من نبي إلا له شفاعة، وكذلك الصديقون والشهداء والصالحون، ولله بعد ذلك تفضل كثير فيمن يشاء، والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً.

الشرح

○ قوله: «**والإيمانُ بشفاعةِ رسولِ اللهِ ﷺ للمذنبينَ الخاطئينَ؛ في القيامةِ، وعلى الصراط ويخرجهم من جوف جهنم**» يجب على المسلم أن يؤمن بشفاعة نبينا ﷺ للمذنبين الخاطئين، والخاطئون بمعنى المذنبين، لكن الخاطئ غير المخطئ؛ لأن **المخطئ** هو الذي فعل الشيء من غير تعمد، وهو مغفور له، بخلاف الخاطئ، فإن المراد به: المذنب العاصي المتعمد، ففرق بين الخاطئ والمخطئ، ولهذا قال الله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧] أي: المذنبون، وإذا ضرب الصراط على جهنم حلت الشفاعة، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»[١] وكذا تحل الشفاعة على أناس دخلوا النار وهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم (٢٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٣).

في جوفها ؛ كما في الصحيحين : «**اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا**»(١).

وقد جاء في إثبات الشفاعة أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ بلغت حد التواتر، وصرحت هذه الأحاديث بأنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر ـ أي: من أهل التوحيد ـ مؤمنون موحدون مصلون، لكن دخلوا النار بذنوب ومعاصٍ ارتكبوها ولم يتوبوا منها، فهذا دخل النار لأنه مات على الزنا من غير توبة، وهذا مات على الربا من غير توبة، وهذا مات على عقوق الوالدين من غير توبة، وهذا مات على قطيعة الرحم من غير توبة، **وهؤلاء العصاة الموحدون:**

منهم من يعفو الله عنه من أول وهلة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

ومنهم من يُعذب في قبره وتسقط عنه عقوبة جهنم بعذاب القبر، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»(٢).

ومنهم من تصيبه الأهوال والشدائد في يوم القيامة، ويكون ذلك تكفيراً لذنوبه.

ومنهم من يستحق دخول النار ثم يشفع فيه قبل أن يدخلها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، رقم(٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الْإِيمَانَ، رقم (١٨٣).

(٢) سبق تخريجه.

ومنهم من يدخل النار.

ولابد أن يدخل النار جملة من أهل الكبائر، فقد تواترت الأخبار بهذا، ونبينا ﷺ يشفع أربع شفاعات، في كل مرة يحد الله له حداً، كما في الحديث «**فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ» ـ قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ ـ قَالَ «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً**»(١)، فهذه أربع شفاعات للنبيﷺ للمذنبين الذين استحقوا دخول النار.

وجاء في بعضها أن في المرة الأولى يقال له: «**أَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ـ أَوْ خَرْدَلَةٍ ـ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ**»، وفي المرة الثانية: «**أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صَ: ٧٥]، رقم (٧٤١٠)، ومسلم، كتاب الْإِيمَانَ، رقم (١٩٣).

إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»[(١)]، فهذه المرة الثانية في أناس دخلوا النار.

ويشفع كذلك بقية الأنبياء، والملائكة والشهداء والصالحون والأفراط، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته، فيخرج قوماً من النار لم يعملوا إحساناً قط، يعني: لم يعملوا شيئا يُذكر زيادة عن التوحيد والإيمان.

ومع كون الأحاديث متواترة في الشفاعة فقد أنكرها الجهمية والمعتزلة والخوارج، وقالوا: إن العاصي مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها أبد الآباد، فالخوارج قالوا: من زنى كفر ويخلد في النار، من سرق كفر ويخلد في النار، من أكل مال اليتيم كفر، من عق والديه كفر، وهكذا، فحكموا على العصاة بالكفر والخلود في النار، والمعتزلة حكموا عليهم بأنهم خرجوا من الإيمان ولكنه لم يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين، ليس بالمؤمن ولا بالكافر، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فقالوا: إنه يخلد في النار؛ فأنكر عليهم أهل السنة، وبَدَّعُوهُم وضَلَّلُوهم.

تنبيه:

قد يوجد بعض الناس ـ خاصة من الشباب ـ ممن يتأثر بمذهب الخوارج، فتجدهم يكفرون بعض الناس بالمعاصي، فكل من حكم بغير ما أنزل الله كفَّرُوه، وكل من فعل معصية كفروه، **فنقول لهم**: العاصي لا يكفر، بل هو ضعيف الإيمان، أو ناقص الإيمان، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، رقم (٧٥١٠)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٩٣).

مُؤْمِنٌ»(١)، أي: هو مؤمن كامل الإيمان، فنفى عنه كمال الإيمان ولم ينف عنه الإيمان، بدليل أن الله أثبت الأخوة بين القاتل والمقتول، مع أن القاتل مرتكب لكبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨].

فالإيمان بشفاعة الرسول ﷺ للمذنبين الخاطئين في يوم القيامة حق، وكذلك شفاعة غيره، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، قال عليه الصلاة والسلام: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢)، أما الكافر الذي مات على الكفر، فلا حيلة فيه ولا شفاعة له، قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤]، فهذا في أهل الكفر، قد أخذ الخوارج والمعتزلة هذه النصوص - وهي في الكفرة - وجعلوها في العصاة الموحدين.

○ قوله: «**وما من نبي إلا له شفاعة وكذلك الصديقون**» يشفع الأنبياء، ويشفع الشُّهداء، ويشفع الصديقون، ويشفع أهل القرآن، وتشفع الملائكة، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة، «**فَيَقُولُ اللهُ** ﷻ: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ «نَهَرُ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، باب النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ، رقم (٢٤٧٥)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٥٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدَّعَوَاتِ، باب: لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، رقم (٦٣٠٥)، ومُسْلِم واللفظ له، كتاب الْإِيمَانَ، رقم (١٩٩).

الْحَيَاةِ» فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»(١).

والصِّدِّيق: على وزن فِعِّيل، وهو من قوي تصديقه وإيمانه بالله، فأحرق بقوة تصديقه الشبهات والشهوات، ومقدمهم فينا الصديق الأكبر أبو بكر، ودرجتهم أعلى من الشهداء، ولما اهتز أُحدٌ وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، قال النبي ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**»(٢)، فدرجة الصديقين فوق درجة الشهداء، ثم بعدها درجة الشهداء، والشهيد هو الذي بذل نفسه رخيصة في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، فإنه بذل أغلى ما يملك وهي نفسه التي بين جنبيه، فقاتل أعداء الله، لإعلاء كلمة الله، ثم بعد ذلك درجة الصالحين من المؤمنين على تفاوتهم فيما بينهم، فمنهم السابقون، ومنهم المقتصدون، ومنهم الظالمون لأنفسهم؛ فالسابقون في أعلى الدرجات، وهم الذين داوموا على الفرائض والنوافل، وتركوا المحرمات والمكروهات، والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الفرائض وترك المحرمات، ولم يفعلوا النوافل وقد يفعلون بعض المكروهات، والظالمون لأنفسهم موحدون مؤمنون، لكنهم قصروا في بعض الواجبات، أو فعلوا بعض المحرمات، فهؤلاء عندهم أصل الصلاح وأصل التقوى، فينفعهم هذا الصلاح والتقوى في عدم الخلود في النار، ولكنهم قد يدخلون النار ويعذبون، لكن في النهاية مآلهم إلى الجنة والسلامة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]»، رقم (٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨٣) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٦٧٥).

○ قوله: «**ولله بعد ذلك تفضل كثير فيمن يشاء، والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً**»، فالله تعالى يتفضل بعد ذلك على من يشاءمن عباده، فيخرج برحمته بقية أهل التوحيد الذين لم يشفع فيهم، وقد جاءت الأحاديث التي أثبتت أن المؤمنين العصاة الذين دخلوا النار يحترقون فيها ويصيرون فحماً، وأنهم يخرجون من النار ضبائر ضبائر ـ أي: جماعات جماعات ـ بعدما صاروا فحماً، وأنهم يموتون فيها إماتة كما ثبت في صحيح مسلم وغيره، عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ـ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ ـ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»[(١)] يعني: البذرة، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٨٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٩] والإيمان بالصراط على جهنم، يأخذ الصراط من شاء الله، ويجوز من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله، ولهم أنوار على قدر إيمانهم.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بالصراط على جهنم، يأخذ الصراط من شاء الله، ويجوز من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله**» يجب على المؤمن أن يؤمن بالصراط، وهو جسر منصوب على متن جهنم، وهذا الجسر حسي لا معنوي، وجاء وصفه في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين: «**مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ**»(١)، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «**بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعَرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»(٢)، وعلى الصراط «**خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ**» تخطف من أمرت بخطفه، يمر عليه الناس على قدر أعمالهم، «**الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**»(٣)، ونبينا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٩).

(٢) أخرجه صحيح مسلم كتاب الإيمان، رقم (١٨٣) وهو في المسند (٢٥٣٧٧) مرفوعا من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) سبق تخريجه.

قائم على الصراط يقول: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»[(١)] فمن تجاوز الصراط وصل إلى الجنة، ومن سقط سقط في النار ـ والعياذ بالله ـ.

فيجب الإيمان بالصراط، وأنه صراط حسي حقيقي، ومن استقام على الصراط المستقيم في هذه الدنيا ـ وهو توحيد الله، وإخلاص الدين لله، وأداء الواجبات وترك المحرمات ـ مرَّ على الصراط الحسي كالبرق، ومن تنكب الصراط وانحرف عنه في الدنيا لم يستطع المرور على الصراط الحسي في الآخرة، بل يسقط في جهنم.

فالصراط صراطان:

١- **صراط في الدنيا**: وهو دين الإسلام.

٢- **صراط في الآخرة**: وهو الذي جاء وصفه في الأحاديث أنه على متن جهنم وأنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، كما جاء في الحديث: «**أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»[(٢)].

○ قوله: «**ولهم أنوار على قدر إيمانهم**» كما جاء في الحديث أنهم «**يُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٩٥).
(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٨٣).
(٣) أخرجه الحاكم، رقم (٣٤٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٣) برقم (٨٩٩٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٢٠] والإيمانُ بالأنبياءِ والملائكةِ.

الشرح

○ قوله: «والإيمانُ بالأنبياءِ والملائكةِ» أي: يجب الإيمان بالأنبياء والملائكة، فالإيمان بالأنبياء والملائكة أصل من أصول الدين والإيمان، فلا يصح الإيمان إلا به، فمن أنكر الملائكة أو أنكر واحداً منهم كفر، ومن أنكر الأنبياء أو أنكر واحداً منهم كفر.

قال الله تعالى في آية البر: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]، هذه خمسة أصول، والأصل السادس جاء في قوله الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: ٤٩]، وفي حديث جبرائيل المشهور حينما كان يسأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

* * *

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢١] والإيمان بأن الجنةَ حقٌ والنارَحق، والجنةُ والنارُ مخلوقتانِ، الجنة في السماء السابعة، وسقفُها العرشُ، والنارُ تحتَ الأرضِ السابعةِ السفلى، وهما مخلوقتانِ، قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها، لا تفنيان أبداً، هما مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين، في دهر الداهرين، وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأُخرج منها بعد ما عصى الله.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن الجنةَ حقٌ والنارَ حق**» يجب على المسلم الإيمان بالجنة والنار، فهما يدخلان ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الإيمان وأركانه، وما يكون فيه من البعث، وأن الله يبعث الأجساد ويحاسب الخلائق، وكذلك الإيمان بالميزان والصراط والجنة والنار، فمن أنكر وجود الجنة أو أنكر النار كفر؛ لأنه مكذب لله، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ [فاطر: ٣٦].

○ قوله: «**والجنةُ والنارُ مخلوقتانِ**»، أي: مخلوقتان الآن دائمتان لا تفنيان، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، وأنكر المعتزلة خلقهما الآن، فقالوا: الجنة والنار لم تخلقا بعد، ولكن سوف

يخلقهما الله تعالى يوم القيامة، أما الآن فلا توجد جنة ولا نار، **وسبب هذا القول**: أن المعتزلة يُعارضون النصوص بعقولهم، وهذا من جهلهم وضلالهم.

شبهتهم:

المعتزلة يقولون لو قلنا إن الجنة والنار مخلوقتان الآن لصار خلقهما عبثاً؛ لأنهما مخلوقتان وليس فيهما أحد، والعبث محال على الله، فتنزيهاً لله نقول: لا توجد جنة ولا نار الآن؛ لكن يخلقهما الله يوم القيامة حين ينتفع المؤمنون بالجنة ويكون الكفرة في النار.

- **الجواب عنها**:

أولًا: قولكم هذا من أبطل الباطل؛ لأن الله تعالى أثبتهما، ونحن نصدق الله ونؤمن بالله، فقد أخبر تعالى أنهما موجودتان، قال عن الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البَقَرَة: ٢٤]، فهي مرصدة معدة ومهيأة.

ثانيًا: خلق الجنة وخلق النار الآن وإعدادهما أبلغ في الزجر وأبلغ في التشديد، فإذا علم العاصي أن النار معدة الآن صار أبلغ في الزجر، وإذا علم المطيع أن الجنة معدة صار أبلغ في الشوق.

ثالثًا: ليس خلقهما الآن عبث؛ فالجنة فيها الوِلدان، وفيها الحور، وأرواح المؤمنين تتنعم في الجنة، وأرواح الشهداء تُنعم فيها، كما جاء في الحديث: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً**»، **فَقَالَ**: «**هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ**

يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»(١)، والمؤمن إذا مات نُقلت روحه إلى الجنة على هيئة نسمة طائر يعلق في الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثون، كما في الحديث «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ**»(٢)، ونعلم أن المؤمن يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من نعيمها، والكافر يفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، كما جاء في الحديث «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ**»، **فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وأما الْكَافِرَ.... فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: «أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا**»(٣).

إذاً هناك حكمة وفائدة من خلقهما الآن، فهذا من جهل المعتزلة وضلالهم، حيث إنهم عارضوا النصوص بأفهامهم وآرائهم الفاسدة.

■ **مسألة: ما القول الصحيح الذي ينسب لشيخ الإسلام في مسألة الجنة والنار؟**

• **الجواب:** القول الصحيح أن شيخ الإسلام يقول: إن الجنة والنار مخلوقتان دائمتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وهو ثابت

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ، باب مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ الشُّهَدَاءِ، رقم (١٦٤١)، وابنُ ماجَهْ، كتاب الزُّهْدِ، باب ذِكْرِ الْقَبْرِ وَالْبِلَى، رقم (٤٢٧١)، والنسائي، كتاب الْجَنَائِزِ، باب أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، رقم (٢٠٧٣)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) سبق تخريجه.

وواضح، كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل يخالف كِتَابُ الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها»[(١)].

○ قوله: **«الجنة في السماء السابعة، وسقفُها العرشُ»** هذا جاء في الحديث، قال النبي ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ ـ أُرَاهُ ـ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»[(٢)]،

○ قوله: **«والنارُ تحتَ الأرضِ السابعةِ السفلى وهما مخلوقتان»**

أي: أن النار تحت الأرض السابعة السفلى، ويوم القيامة تبرز وتظهر، قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النَّازعَات: ٣٦]، وفي الحديث: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[(٣)]، وتسجر البحار وتكون جزءاً من جهنم ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ، فالجنة في السماء السابعة التي تظهر للناس، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى. وهما مخلوقتان دائمتان لا تفنيان ولا تبيدان.

■ **مسألة: ما هو الدليل على أن مكان الجنة والنار ما ذكر المؤلف؟**

• **الجواب:** الدليل حديث: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ ـ أُرَاهُ ـ فَوْقَهُ عَرْشُ**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٠٧).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، رقم (٢٧٩٠).
(٣) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم (٢٨٤٢).

الرَّحْمَنِ»، وأما النار فهي في أسفل سافلين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطفّفين: ٧]، أي: أسفل سافلين.

○ قوله: «**قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها**» فالله تعالى قدر المقادير، وخلق للجنة أهلاً؛ وبعمل أهل الجنة يعملون، وللنار أهلاً؛ وبعمل أهل النار يعملون، فقد كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ كل ما يكون في هذا الكون من أرزاق العباد وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم، والإنسان إذا خلقه الله ومضى عليه أربعة أشهر يأتي إليه الملك بأمر الله، فينفخ فيه الروح، ويقول: يا رب! ما الرزق؟ ما الأجل؟ ما العمل؟ ما الشقاوة؟ ما السعادة؟ ويكتب وهو في بطن أمه شقي أو سعيد، ويكتب رزقه وأجله،كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»(١)، وبماذا يموت ومتى يموت، هل يموت طفلاً أو شاباً أو شيخاً أو كهلاً، صغيراً أو كبيراً، وهل يرزقه الله من الحلال أم من الحرام، فالرزق والأجل والعمل كل هذا مكتوب.

○ قوله: «**لا تفنيان أبداً، هما مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين، في دهر الداهرين**» الجنة والنار لا تفنيان أبداً،خلافاً للجهمية حيث يقولون إن الجنة والنار تفنيان يوم القيامة، وهذا من

(١) أخرجه البخاري، كتاب بَدْءِ الخَلْقِ، باب ذِكْرِ المَلَائِكَةِ، رقم (٣٢٠٨)، ومُسْلِم، كتاب الْقَدَرِ، رقم (٢٦٤٣).

جهلهم وضلالهم، وهو من أبطل الباطل.

وقد قال أبو الهذيل العلاف[(١)] شيخ المعتزلة في القرن الثالث الهجري يقول: يأتي على الجنة والنار وقت تفنى فيه حركات أهلها ويصبحون مثل الحجارة،ورد عليه ابن القيم ﵀ فقال: «إذا كانت حركات أهل النار ستفنى فما حال من رفع اللقمة إلى فيه ثم انتهت حركته، هل يبقى على هذه الصورة وقد رفع اللقمة إلى فيه؟ وما حال من يجامع الحور؟ وما حال كذا، يبين بشاعة هذا المذهب»[(٢)]، قال ابن القيم في الكافية الشافية[(٣)]:

وأبو الهذيل يقول يفنى كل ما　　فيها من الحركات للسكان
وتصير دار الخلد مع سكانها　　وثمارها كحجارة البنيان
قالوا ولولا ذاك لم يثبت لنا　　رب لأجل تسلسل الأعيان
فالقوم إما جاحدون لربهم　　أو منكرون حقائق الإيمان

فالمقصود أن قول هؤلاء الجهمية من أبطل الباطل، وهم كفار.

والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق: أن الجنة والنار دائمتان أبداً، لا تفنيان ولا تبيدان، وهما باقيتان مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين ودهر الداهرين، يعني: إلى ما لا نهاية.

○ قوله: «**وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأخرج منها**

---

(١) هو محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول، العبدي البصري، مولى عبدالقيس، أبو الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة، ورأس البدعة.
انظر: «تاريخ بغداد» (٤/ ١٣٦)، و«المنتظم» (١١/ ٢٣٤)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٦/ ٤٧٣).

(٢) انظر: «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (٣/ ١١٩٢).

(٣) «الكافية الشافية» (ص٣٥٠).

بعدما عصى الله ﷻ». هذا الذي ذهب إليه المؤلف، بأن آدم كان في الجنة الباقية المخلوقة التي أعدت للمتقين والمؤمنين يوم القيامة،فأخرج منها، وهو قول بعض أهل العلم.

القول الثاني: أن المراد جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد.

والله تعالى أخبر أنه أُدخل الجنة، وأنه أهبط منها، حتى قال بعضهم: إن الجنة التي أُخرج منها هي بستان من البساتين، لكن ظاهر الأدلة أنها جنة في السماء، لكن هل هي الجنة الباقية أو غيرها؟ الله أعلم[(١)].

---

(١) انظر: «حادي الأرواح» (١/ ٢٢-٥٠)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ١١-٣٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢٢] والإِيمانُ بالمسيحِ الدَّجَّالِ.

الشرح

○ قوله: «والإِيمانُ بالمسيحِ الدَّجَّالِ» أي: يجب الإيمان بالمسيح الدجال، وهو رجل من بني آدم، وجاء في حديث الجساسة، وهو حديث تميم الداري الذي رواه مسلم: «**أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَلَعِبَ بِهِم الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ....** فجعل يسألهم عن أشياء، **فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ،**

هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ»(١).

والمسيح يخرج في آخر الزمان، وهو أعور عينه اليمنى، كما في الحديث: «**أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»(٢)، وسمي المسيح؛ لأن عينه ممسوحة.

والمسيح لقب للدجال ولقب لعيسى بن مريم عليه السلام، لكن عيسى مسيح الهدى، والدجال مسيح الضلال، ومسيح الهدى يقتل مسيح الضلال في آخر الزمان.

ومما جاء في صفته أنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤها كل مؤمن، كما في الحديث «**الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ**»(٣).

وسيخرج في آخر الزمان، وإذا خرج فإنه يدعي الصلاح أولاً، ثم ينتقل فيدعي النبوة، ثم ينتقل فيدعي الربوبية، ويقول للناس: أنا

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم(٢٩٤٢).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللهِ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، رقم (٣٤٣٩)، و مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٧١).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفِتَنِ، باب ذِكْرِ الدَّجَّالِ، رقم (٧١٣١)، ومُسْلِم واللفظ له، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٣٣).

ربكم.

وجاء في صحيح مسلم أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: **يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»**[(١)] يعني: يمكث في الأرض أربعين يوماً، اليوم الأول طوله سنة، تطلع الشمس ولا تغرب إلا بعد قدر ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، ثم اليوم الثاني طوله شهر، تطلع الشمس ولا تغرب إلا بعد قدر ثلاثين يوماً، ثم اليوم الثالث طوله أسبوع، تطلع الشمس ولا تغرب إلا قدر بعد سبعة أيام، ثم بقية الأيام السبعة والثلاثين طولها كسائر الأيام، أي: مثل أيامنا هذه، ولا يترك بلداً إلا دخلها إلا مكة والمدينة، فإن عليهما الملائكة تحرسهما، كما في حديث الجساسة السابق وفيه «**فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً ـ أَوْ وَاحِدًا ـ مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا**»[(٢)]، لكنه يأتي إلى السبخة التي قرب المدينة وينعق فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر وكافرة، وكل منافق ومنافقة، وكل خبيث وخبيثة، ولا يبقى في المدينة إلا الصالحون، وحينئذ تنفي المدينة خبثها، كما في الحديث «**فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٣٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فَضَائِلِ المَدِينَةِ، باب: لَا يَدْخُلُ الدَّجَّالُ المَدِينَةَ، رقم (١٨٨١)، ومُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٤٣).

والمسيح الدجال فتنته فتنة كبيرة، فإن معه صورة الجنة ومعه صورة النار، ابتلاء وامتحاناً، ويأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، ويقطع رجلاً بالسيف ويمشي بين قطعتيه، ثم يقول له قم، فيستوي قائماً.

وخروج المسيح الدجال هو العلامة الثانية من علامات الساعة الكبرى، والعلامة الأولى هي خروج المهدي، وهو رجل باسم النبيﷺ، وكنيته ككنيته، محمد بن عبدالله المهدي، يُبايع له بين الركن والمقام في وقت ليس للناس فيه إمام، والفتنة تحصر الناس إلى جهة الشام، وفي زمانه يخرج الدجال، ثم ينزل عيسى بن مريم بعد ذلك فيقتل المسيح الدجال، ثم يخرج يأجوج ومأجوج فهذه العلامات متوالية، ولابد من الإيمان بظهور المسيح الدجال وفتنته العظيمة، حتى قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**»(١)، ولهذا أمرنا في كل صلاة أن نستعيذ بالله من أربع كما في الحديث «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٢)، والأحاديث ثابتة في هذا، فلا بد من الإيمان بالمسيح الدجال.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٤٦).
(٢) سبق تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢٣] وبنزولِ عيسى بن مريم، ينزلُ فيقتلُ الدجالَ، ويتزوجُ ويصلي خلفَ القائمِ من آل محمدٍ، ويموتُ، ويدفنُهُ المسلمونَ.

الشرح

○ قوله: «وبنزولِ عيسى بن مريم، ينزلُ فيقتلُ الدجالَ» من معتقدات أهل السنة والجماعة الإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام، وهو العلامة الثالثة من علامات الساعة الكبرى، فالأولى خروج الإمام المهدي، ثم خروج الدجال، ثم عيسى بن مريم، فينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء فيقتل الدجال، ويتزوج وهو حي وموجود الآن.

▪ **مسألة: ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام «يتزوج»، فما مستنده في ذلك؟**

• **الجواب:** عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل في آخر الزمان ويحكم بشريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، أما قوله «يتزوج» فقد جاء في بعض الأحاديث أنه يتزوج ويولد له(١).

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٧٨) وذكره بدون سند: الديلمي في «الفردوس» (٤/ ٣٦٥) وابن الجوزي بسنده في «المنتظم من أخبار الملوك والأمم» (٢/ ٣٩)، و«في العلل المتناهية» (٢/ ٤٣٣/ ١٥٢٩)، وقال: هذا حديث لا يصح.
وانظر: «تهذيب الاسماء واللغات» (٢/ ٤٧)، و«التذكرة»، للقرطبي (١/ ٧٥٥)، و«البداية والنهاية» (٢/ ٣١٤)، و«الفتح» (٦/ ٤٩٣)، و«الاصابة» (٤/ ٧٦٦).

ومن هنا قاله المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجاء في بعضها أنه يمكث سبع سنين ثم يتوفاه الله ويموت الموتة التي كتبها الله عليه، كما في الحديث: «**فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ**»(١) أخذاً ببعض الأحاديث.

○ قوله: «**خلف القائم من آل محمدٍ**» يعني: خلف المهدي الذي هو إمام المسلمين، وجاء في الحديث: «**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(٢)، فلا بد من الإيمان بنزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]، وفي الحديث يقول النبي كما جاء في الصحيحين: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا** ـ وفي رواية: **حكمًا عادلًا** ـ، **فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»(٣)، فإذا نزل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإنه يقوم يكسر الصليب الذي يعبده النصارى؛ ليبين لهم بطلان ما هم عليه من الدين المحرف الباطل.

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٤٠)؛ وفي رواية أخرى: أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «سيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المُسْلِمون». أخرجه أبو داود، رقم (٤٣٢٤)، والحاكم في المستدرك، رقم (٤١٦٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الْبُيُوعِ، باب قَتْلِ الخِنْزِيرِ، رقم (٢٢٢٢)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٥٥).

والنصارى لماذا يعبدون الصليب؟

يقولون: إن عيسى قُتل وصُلب، فاتخذوا الصليب شعاراً لهم وعبدوه، وهذا من جهلهم وضلالهم؛ لأنه إذا كان نبيهم قتل وصلب، فكيف يعبدون الصليب؟! ففعلهم هذا يوحي بأنهم فرحوا بقتله وصلبه، فإنهم إذا كانوا صادقين في محبة نبيهم وتعظيمه وجب عليهم أن يكرهوا الصليب ويبغضوه ويكسروه.

وعيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب في الحقيقة، ولكن الله رفعه إليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]، فإذا نزل عليه السلام كسر الصليب، لبيان بطلان ما عليه النصارى من الدين المحرف، وقتل الخنزير أيضاً، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف، بمعنى أن النصارى واليهود الآن يخيرون بين الإسلام أو السيف أو الجزية، فهذه الأحكام الثلاثة مستمرة حتى ينزل عيسى، فإذا نزل انتهت الجزية، ولا يبقى إلا الإسلام أو السيف، ففي الصحيحين أنه ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا** ـ وفي رواية: **حكما عادلا** ـ، **فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(١)، يعني: أن الناس يزهدون في الدنيا لقرب الساعة، وظهور علاماتها الكبرى.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، رقم: (٣٤٤٨).

❍ قوله: «**ويموتُ، ويدفنُهُ المسلمونَ**»؛ كما في المسند وسنن أبي داود من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه ﷺ قال: «**ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ**»[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود، كتاب المهدي، باب، رقم: (٤٢٨٦)، وأحمد (٢٧٣٣١)، قال القرطبي في المفهم (٧/ ٢٥١): صحيح مشهور.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢٤] والإيمان بأن الإيمان قول وعمل، وعمل وقول، ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن الإيمان قول وعمل، وعمل وقول، ونية وإصابة**» هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، فهم يقولون: الإيمان قول وعمل.

والقول المراد به: قول القلب وهو التصديق والإقرار، وقول اللسان وهو النطق.

والعمل المراد به: عمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة والخشية...، وعمل الجوارح.

فيكون الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح. والسلف لهم عبارات في تعريف الإيمان، منها أنهم يقولون: «**الإيمان قول وعمل** ـ قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح ـ **يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان**»، وأن: «**الإيمان قول وعمل ونية**» وأن الأعمال

كلها داخلة في مسمى الإيمان(١).

○ قوله: «يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء» مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٢)، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١- قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة: ١٢٤] وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص(٣).

٢- قول الله ﷻ: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤].

٣- قوله ﷻ: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر: ٣١] فالإيمان يزيد وينقص.

---

(١) انظر: «أصول السنة»، للحميدي (ص٣٧)، و«الإيمان»، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص ٩)، و«السنة»، للخلال (٣/ ٥٧٩/ ١٠٠٢)، (٤/ ٦٨٠/ ١٠١١)، و«صريح السنة»، لابن جرير الطبري (ص ٢٥)، و«حلية الأولياء»، (٩/ ١١٥)، و«مقدمة ابن أبي زيد»، القيرواني (ص٦٠)، و«الإيمان»، لابن منده (٢/ ٣٤١)، و«أصول السنة»، لابن أبي زمين (ص٢٠٧-٢٠٩)، و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، للصابوني (ص ٢٦٤)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي (٤/ ٩٣٢/ ١٥٩٠)، (٥/ ٩٥٥ -٩٥٦/ ١٥٩١)، (٥/ ٩٥٦/ ١٥٩٣)، (٥/ ٩٥٩/ ١٥٩٧)، (٥/ ١٠٢٣/ ١٧٢٨)، (٥/ ١٠٢٨/ ١٧٣٥)، (٥/ ١٠٣٠/ ١٧٤٢)،(٥/ ١٠٣٠/ ١٧٤٩)،(٥/ ١٠٣٥/ ١٧٥٣)،(٥/ ١٠٥٦/ ١٧٨٩)، و«الإبانة الكبرى»، (٢/ ٦٥٦/ ٨٤٣)، و«الشريعة»، للآجري (٢/ ٦٠٧/ ٢٢٤)، و«سير أعلام النبلاء»، (٩/ ١٧٩)، (٨/ ٤٦٨)، و«ذيل طبقات الحنابلة»، لابن رجب (١/ ١٣٠)، (١/ ٢٠٣)، (١/ ٢٨٦) و«جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٤).

(٢) وعليه اتفاق السلف، انظر: «قواعد العقائد» (ص٢٦٠)، و«رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٧٢)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي (١/ ١٧٦)، و«شرح النووي على مسلم»، (١/ ١٤٦)، و«التمهيد»، لابن عبدالبر (٩/ ٢٣٨)، «الفتاوى» (٧/ ٣٣٠) (٧/ ٦٧٢)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٥٠-١٥٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٣).

وقول المؤلف: «**لا يبقى منه شيء**» الصواب أنه لا بد أن يبقى منه شيء؛ لأنه إذا لم يبق منه شيء فقد وصل إلى الكفر، إلا إذا أراد ذلك بالنسبة للكافر فإن ذلك صحيح يبقى، وإذا كثرت المعاصي والجرائم ضعف الإيمان، حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة، أو أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، لكن صاحبه لا يخلد في النار، ولا ينتهي الإيمان إلا إذا وصل إلى الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر، أما المعاصي ـ ولو عظمت ـ فإنها لا تقضي على الإيمان، وهذه البقية من الإيمان هي السبب في خروج العصاة من النار، كما في حديث الشفاعة المتقدم: «**أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(١).

■ **مسألة: ما حكم من قال إن الإيمان هو التصديق، وعلى ماذا يحمل قول الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الإيمان هو التصديق؟**

• **الجواب**: الإيمان تصديق وعمل فلا بد من هذين الأمرين؛ لأن أصل التصديق في القلب؛ فترك ما يجب من العمل الذي هو مقتضى التصديق والعلم قد يفضي إلى سلب التصديق والعلم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٢)، والشيخ لم يقل: إن الإيمان هو التصديق وأن العمل خارج من التصديق، فهذا قول المرجئة الذين يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، والعمل ليس داخلاً في مسمى الإيمان، والقرآن والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق(٣).

فعليك أن تضم كلام الشيخ بعضه من بعض حتى يتبين لك

(١) سبق تخريجه.
(٢) شرح «العقيدة الأصفهانية»، (ص١٩٥).
(٣) «مجموع الفتاوى»، (١٢٨/٧).

الحق، لا تكن مثل من يقرأ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤] فيسكت ولا يقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٥]. اقرأ كلام الشيخ من أوله إلى آخره واجمع بين كلامه تجد الحق، وكلام العلماء يُضم بعضه إلى بعض، وكلام الله يُضم بعضه إلى بعض، وكلام الرسول يُضم بعضه إلى بعض، فلا يأخذ الإنسان ببعض النصوص ويترك البعض الآخر.

▪ **مسألة: ما المقصود في قول النبي ﷺ: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١)، في حديث من لم ينكر المنكر بقلبه؟**

• **الجواب:** ليس المراد أنه يكون كافراً؛ لأن من لم ينكر المنكر بقلبه يكون عاصياً، فإذا جلس الإنسان مع قوم يشربون الخمر يجب عليه أن ينكر باللسان إن عجز عن الإنكار باليد، فإن عجز فإنه ينكر بالقلب، والإنكار بالقلب معناه أن يقوم ويتركهم، فإن جلس معهم فليس عنده من الإيمان حبة خردل يتعلق بإنكار المنكر، ويكون حكمه نفس حكم من شرب الخمر في الإثم، ومن جلس مع قوم يكفرون بالله واستطاع أن ينكر ولم ينكر وجلس وسكت، فحكمه في الإثم يكون نفس حكمهم؛ لأنه رضي بالكفر وأقر به، ومن جلس مع قوم يتعاملون بالربا ولم ينكر عليهم فيكون حكمه حكم المرابي، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠].

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٥٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢٥] وخيرُ هذه الأمةِ بعدَ وفاةِ نَبيِّها: أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، هكذا رُوي لنا عن ابنِ عُمرَ؛ قال: كنَّا نقولُ ورسولُ اللهِ ﷺ بين أظهُرِنا: إنَّ خيرَ الناسِ بعدَ رسولِ اللهِ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، ويسمعُ النبي ﷺ بذلكَ فلا يُنكِرُهُ.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: عليٌ، وطلحةُ، والزبيرُ، وسعدٌ، وسعيدٌ، وعبد الرحمنِ بن عوفٍ، وأبو عبيدةَ بن الجراح، وكلهم يصلح للخلافة.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحابُ رسولِ الله ﷺ، القرن الأول الذي بُعث فيهم: المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلى القبلتين.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: من صحبَ رسولَ اللهِ ﷺ يوماً أو شهراً أو سنة أو أقل من ذلك أوأكثر، ترحَّمُ عليهِ وتذكرُ فضلهُ وتكُفُّ عن زَلَّتهِ، ولا تذكرُ أحداً منهم إلا بخير، لقول رسول الله ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا».

وقال ابن عيينة: «من نطق في أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى».

وقال النبي ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ».

الشرح

○ قوله: «وخيرُ هذه الأمةِ بعدَ وفاةِ نَبيِّها: أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ» فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هوأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ عيسى عليه السلام؛ لأنه إذا نزل يكون فرداً من أفراد هذه الأمة المحمدية؛ لأن كل نبي بعثه الله أخذ عليه الميثاق: لئن بُعث محمد وأنت حي لتتبعنه، كما جاء في الأثر قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَمِّهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ، لئن بَعَث محمدًا وَهُوَ حَيّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وأمَرَه أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه**»[(١)]، وقد بُعث النبي ﷺ وعيسى حي، لذلك فإنه ينزل في آخر الزمان فيكون فردًا من أفراد هذه الأمة المحمدية، فهو خير هذه الأمة بعد نبيها؛ لأنه نبي وصحابي أيضاً؛ فقد رأى النبي ﷺ ليلة المعراج حيًا[(٢)]، وبقية الأنبياء رأوه وقد ماتوا بأرواحهم، أما عيسى فرفع بجسده وروحه؛ لأن الصحابي هو من لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام، **فيصدق القول بأن**: عيسى خير هذه الأمة، ثم بعد عيسى عليه السلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، **وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة أن خير هذه الأمة بعد الأنبياء**: أبو بكر ثم يليه عمر بن الخطاب، ثم يليه عثمان، ثم يليه علي رضي الله عنهم.

○ قوله: «**هكذا رُوي لنا عن ابنِ عُمرَ؛ قال: كنَّا نقولُ ورسولُ اللهِ بين أظهُرِنا: إنَّ خيرَ الناسِ بعدَ رسولِ اللهِ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، ويسمعُ النبيُ بذلكَ فلا يُنكِرُهُ**».

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهذا لفظه: «**كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ**

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٦٧).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصَّلَاةِ، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟، رقم (٣٤٩)، ومسلم، كتاب الأيمان، رقم (١٦٢).

عُثْمَانُ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ»[(١)].

○ قوله: **«ثم أفضل الناس بعد هؤلاء علي»** والصواب أن علياً مع الخلفاء الثلاثة، فهم الخلفاء الراشدون، وترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة، أما ترتيبهم في الخلافة فهذا بالإجماع، وأما ترتيبهم في الفضيلة فاختلف فيه، لأن هناك رواية عن أبي حنيفة أن علياً أفضل من عثمان[(٢)]، ولكن روي عنه أنه رجع وذهب إلى أن عثمان هو الأفضل، فوافق الجماعة، فيكون إجماعاً للأمة، قال رَحِمَهُ اللهُ: «وَأفضل النَّاس بعد النَّبيين عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام أَبُو بكر الصّديق ثمَّ عمر بن الْخطاب الْفَارُوق ثمَّ عُثْمَان بن عَفَّان ذُو النورين ثمَّ عَليّ بن أبي طَالب المرتضى رضوَان الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ»[(٣)].

وأما الخلافة فالخلافة لعثمان ثم علي، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ لَمْ يُرَبِّعْ بِعَلِيٍّ فِي الْخِلَافَةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ»[(٤)]، وكما جاء عن سفيان الثوري: «من قَدَّمَ علياً على أبي بكر وعمر، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وأخشى أن لا ينفعه مع ذلك عمل»[(٥)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر؛ أيهما أفضل؟

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٢٠/ ٨٥٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٨٥/ ١٣١٣٢)، والخلال في السنة (٢/ ٣٩٨/ ٥٧٧)، وأصله في البخاري دون لفظ: «**فَيَبْلُغُ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ**».

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٥٤٨).

(٣) «الفقه الأكبر» (١/ ٤١).

(٤) انظر: «منهاج السنة» (١/ ٣٦٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩٥٧٤)، و«الخلال في السنة» (٥١٥)، و«ابن الأعرابي في المعجم» (١٧٠٢).

فقدم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم علياً،وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على: تقديم عثمان، ثم علي، وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة،لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها: مسألة الخلافة،وذلك بأنهم يؤمنون: بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة؛ فهو أضل من حمار أهله»[(١)]، لأنه تنقص المهاجرين والأنصار؛ لأنهم أجمعوا على تقديم عثمان ومبايعته بالخلافة.

○ قوله: «**وطلحةُ، والزبيرُ، وسعدٌ، وسعيدٌ، وعبدالرحمنِ بن عوفٍ، وأبو عبيدةَ بن الجراح، وكلهم يصلح للخلافة**» وهؤلاء بقية العشرة المبشرين بالجنة: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح وهو أمين هذه الأمة[(٢)]، هؤلاء الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة، فكل واحد من العشرة يصلح أن يكون خليفة.

○ قوله: «**ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب القرن الأول الذين بعث فيهم: المهاجرون الأولون والأنصار**» والصواب: أن في هذا ترتيباً وأن أفضلهم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ثم المهاجرون، ثم الأنصار؟

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ١٧١-١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، رقم: (٣٧٤٥)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٢٠).

فالترتيب يكون كالتالي:

أولاً: الخلفاء الراشدون الأربعة.

ثانياً: بقية العشرة المبشرون بالجنة.

ثالثاً: أهل بدر.

رابعاً: أهل بيعة الرضوان.

خامساً: المهاجرون.

سادساً: الأنصار، والسابقون الأولون أفضل من غيرهم.

○ قوله: «**وهم من صلى القبلتين**» يعني: من أدرك الصلاة إلى بيت المقدس والكعبة، واختلف العلماء في المقصود بالسابقين الأولين **على قولين**(١):

القول الأول: أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين، لأن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة توجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم توجه إلى الكعبة، وهذا القول ضعيف **لأمرين**:

الأمر الأول: أنه لم يأت دليل يدل على أن السابقين الأولين هم الذين صلوا إلى القبليتين.

الأمر الثاني: أنه ليس هناك فضل خاص لمن صلى إلى القبلة المنسوخة.

القول الثاني: أن السابقين الأولين هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح صلح الحديبية لقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفَتْح: ١]، وقد سئل رسول الله عن صلح الحديبية،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٣٥-٤٣٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٣).

«أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[(١)]، فمن أسلم قبل صلح الحديبية وهاجر وأنفق فهو من السابقين الأولين، ومن أسلم بعد صلح الحديبية فليس من السابقين الأولين، فقد فضل الله من أنفق من قبل الفتح وقاتل فقال سبحانه في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، ثم قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، أي: الجنة، فكلهم موعودون بالجنة وإن كانوا متفاوتين، **وهذا هو الصواب.**

ثم بعد ذلك تأتي المرتبة الثانية: وهم الصحابة الذين أسلموا بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة.

ثم تأتي المرتبة الثالثة: وهم الصحابة الذين أسلموا بعد فتح مكة، ويسمون الطلقاء، وممن أسلم بعد صلح الحديبية خالد بن الوليد فهو من المرتبة الثانية، وممن أسلم بعد فتح مكة معاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد وأبوه أبو سفيان ويقال لهم الطلقاء؛ لقول النبي ﷺ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»[(٢)].

وهناك فرق عظيم ومزية بين السابقين الأولين الذين أسلموا قبل صلح الحديبية والذين أسلموا بعدها، حتى إنه لما حصل خلاف بين عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو من السابقين الأولين وخالد بن الوليد رضي الله عنه وقد أسلم بعد صلح الحديبية، فقال ﷺ يخاطب خالد بن الوليد رضي الله عنه: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»، وخالد رضي الله عنه صحابي لكن المراد:

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجِزْيَةِ، رقم (٣١٨٢)، ومُسْلِم، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، رقم (١٧٨٥).

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٩/ ١٩٩/ ١٨٢٧٥)، وابن هشام في «السيرة» (٢/ ٤١٢)، والطبري في «تاريخ» (٣/ ٦٠).

الذين لهم الصحبة الأولى ـ والذين تقدموا في الصحبة ـ ولهذا قال: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»**[(١)]، أي: فلو أنفق عبدالرحمن ﷺ مداً، ملء الكف أو نصف مد، وأنفق خالد ﷺ مثل أحدٍ ذهباً لسبقه عبدالرحمن ﷺ فهذا تفاوت عظيم بين الصحابة، فإذا كان هذا التفاوت بين الصحابة، فكيف التفاوت بين الصحابة ومن بعدهم؟!

فالصحابة هم خير الناس بعد الأنبياء، وهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه والجهاد معه، ونقل الشريعة وحملها وتبليغها للناس، فمن سبهم أو كفَّرهم فلا يكون مؤمناً بل هو منافق زنديق ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

○ قوله: **«ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: من صحبَ رسولَ اللهِ يوماً أو شهراً أو سنة، أقل أو أكثُر»** يعني: الصحابي أفضل ممن جاء بعده، ولا يمكن لأحدٍ أن يلحق الصحابة إلى يوم القيامة.

○ قوله: **«ترحَّمُ عليهِ، وتذكرُ فضلهُ، وتكُفُّ عن زَلَّتهِ»** يعني: عليك أن تترحم على الصحابة فتقول: اللهم اغفر لهم، اللهم ارحمهم، وتذكر فضلهم، وتكف عن زلتهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة: الكف عما شجر بين الصحابة من الخلاف الذي وقع بينهم، واعتقاد أنهم ما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٦٧٣)، ومُسْلِم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، رقم (٢٥٤١).

بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، وأن لهم من الفضائل والحسنات والسبق إلى الإسلام والجهاد مع النبي ﷺ ما يغطي ما صدر منهم من الهفوات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية: «ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب؛ فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته. أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة؛ فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا؛ فلهم أجران، وإن أخطأوا؛ فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله به عليهم من الفضائل؛ علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم صفوة الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله»[(١)] ولهذا فيجب الكف عن زلاتهم، والذي ينشر معايب الصحابة فهو مريض القلب.

○ قوله: **«ولا تذكرُ أحداً منهم إلا بخير؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»[(٢)] وقال ابن عيينة[(٣)]: «من نطق في**

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (١/ ١٢١-١٢٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٨/ ١٠٤٤٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٤٢/ ٢١٠)،وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١١/ ٤٧٧).

(٣) هو سفيان بن عيينة، ابن أبي عمران، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، حَافِظُ العَصْرِ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، مَوْلِدُهُ: بِالكُوْفَةِ، فِي سَنَةِ =

أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى»[١] أي: الذي يتكلم في الصحابة رضوان الله عليهم فهو مبتدع.

○ قوله: «**وقال النبي**: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[٢]، هذا الحديث ضعيف باطل سنداً ومتناً[٣]، وبعضهم يقول: إنه موضوع، ويستدل به أهل أصول الفقه، وهو باطل سنداً ومتناً، أما سنداً فإنه لا يوجد في أي من دواوين السنة الصحيحة، وأما معنى كونه باطلًا من ناحية المتن، فإن قوله: «**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ**» فإذا اختلف الصحابة، وقال أحدهما: هذا يجوز، وقال الثاني: لا يجوز، فمن يكون المهتدي؟ مثل نكاح المتعة يروى ابن عباس مثلاً: حلال، وقال ابن عمر: حرام، فيقع الإنسان في حيرة بأي نجم يهتدي.

= سَبْعٍ وَمائَةٍ، وَطَلَبَ الحَدِيْثَ وَهُوَ حَدَثٌ، بَلْ غُلَامٌ، وَلَقِيَ الكِبَارَ، وَحَمَلَ عَنْهُم عِلْمًا جمّاً، وَأتقَنَ، وَجَوَّدَ، وَجمَعَ، وَصَنَّفَ، وَعُمِّرَ دَهْراً، وَازدَحَمَ الخَلْقُ عَلَيْهِ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ عُلُوُّ الإِسْنَادِ، وَرُحِلَ إِلَيْهِ مِنَ البِلَادِ، وَأَلْحَقَ الأَحْفَادَ بِالأَجدَادِ، توفي ١٩٣ من الهجرة.
انظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤١٤)، و«المنتظم» (١٠/ ٦٦)، و«الأنساب» (٥/ ٦٥٧).

(١) ذكره عبدالقادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (١/ ١٦٤).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٦٤/ ٧٠٢)، والأجري في «الشريعة» (٤/ ١٦٩٠/ ١١٦٦)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٢٣/ ١٧٥٧).

(٣) قال ابن حزم في الإحكام (٥/ ٦٤): باطل مكذوب من توليد أهل الفسق لوجوه ضرورية، وقال ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢٣): لا يصح عن النبي ﷺ. ا.هـ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢٦] والسمعُ والطاعةُ للأئمةِ فيما يحبُ اللهُ ويرضى. ومن وليَ الخلافةَ بإجماعِ الناسِ عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، ولا يحلُ لأحدٍ أن يبيتَ ليلةً ولا يرى أنَّ عليه إماماً، براً كان أو فاجراً.

الشرح

○ قوله: «**والسمعُ والطاعةُ للأئمةِ فيما يحبُ اللهُ ويرضى**» أي: من عقيدة أهل السنة والجماعة السمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، أما المعاصي فلا يطاع فيها أحد، والمراد بالأئمة هم ولاة الأمور، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(١)، لكن هذا مقيد بالأحاديث الأخرى، قال النبي ﷺ: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»(٢)، وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ،**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الإِمَامِ وَيُتَّقَى بِهِ، رقم (٢٩٥٧)، ومُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأَحْكَام، باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، رقم (٧١٤٤)، ومُسْلِم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٣٩).

وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»[١]، وحديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[٢].

ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور للمعاصي بل يجب الصبر وعدم الخروج، فالسمع والطاعة تكون لولاة الأمور في طاعة الله، أما المعاصي فلا يُطاعون فيها، فإذا أمر الأميرُ شخصًا بشرب الخمر فلا يطيعه، أو أمره أن يقتل أحداً بغير حق فلا يطيعه وكذا، إذا أمر الوالد ولده بالمعصية فلا يطيعه، وإذا أمر الزوج زوجته بالمعصية فلا تطيعه، وإذا أمر السيدُ عبدَه بالمعصية فلا يطيعه، لقول النبي ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ** عز وجل»[٣]، ولقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[٤]، لكن لا يتمرد عليه، فليس للرعية أن يتمردوا على الأمير أو ولي الأمر، بل لا يطيعونه في المعصية وما عدا ذلك فيطيعونه، فيطيعونه في طاعة الله ورسوله وفي الأمور المباحة، وهذا

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٣٧).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٥).
(٣) أخرجه أحمد في «المسند»، رقم (١٠٩٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٢٦): «وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ».
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٧١٤٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٠).

بخلاف أهل البدع، فإنهم لا يسمعون ولا يطيعون لولاة الأمور، كالخوارج، فهم يرون أن ولي الأمر إذا عصى كفر ووجب قتله وخلعه وإزالته من الإمامة، وكذلك المعتزلة فإنهم يرون أنه إذا عصى ولي الأمر وفعل الكبيرة خرج من الإمامة فلا يطيعونه، بل إن من أصول الدين عندهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه الخروج على ولاة الأمور إذا جاروا وظلموا، والروافض كذلك يرون أنه ليس هناك طاعة إلا للإمام المعصوم، وأما ولاة الأمور الموجودين في كل وقت فهم كفرة فسقة يجب قتلهم وخلعهم وإزالتهم من الإمامة، ولا طاعة إلا للإمام المعصوم، وهم الأئمة الاثنا عشر الذين نصوا عليهم بزعمهم. قالوا: إن الخليفة بعد النبي هو علي، ولكن أهل السنة كفروا وفسقوا وارتدوا وخالفوا النصوص التي تنص على أن الخليفة بعده علي، فولَّوا أبا بكر زوراً وبهتاناً وظلماً، ثم ولوا عمر زوراً وبهتاناً وظلماً، ثم ولوا عثمان زوراً وبهتاناً وظلماً؛ لأنهم يزعمون أن النبي ﷺ نص على اثني عشر إماماً: علي بن أبي طالب ثم الحسن بن علي ثم الحسين بن علي ثم البقية كلهم من نسل الحسين وهم: علي بن الحسين زين العابدين ثم محمد بن علي الباقر ثم جعفر بن محمد الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم المهدي المنتظر الذي دخل سرداباً في العراق سنة ستين ومائتين ولم يخرج إلى الآن، وأبوه الحسن بن علي قد مات عقيماً ولم يولد له، فاختلقوا له ولداً وأدخلوه السرداب قالوا: دخل السرداب وهو ابن سنتين أو خمس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: مضى عليه أربعمائة سنة ولم يخرج في زمانه، ونحن الآن نقول: مضى عليه ألف ومائتين سنة

ولم يخرج حتى الآن، وهو شخص موهوم لا حقيقة له؛ لأن الحسن بن علي العسكري مات عقيماً ولم يولد له، فهؤلاء الأئمة عند الشيعة وهم منصوص عليه عندهم أنهم معصومون.

إذاً: من عقيدة أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولاة الأمور فيما يحبه الله ويرضاه خلافاً لأهل البدع.

○ قوله: «**ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين**»، بمعنى: أنه اجتمع عليه أهل الحل والعقد، وليس المراد بإجماع الناس كل فرد بعينه، بل المراد أهل الحل والعقد ورؤساء القبائل والأعيان والوجهاء فإذا بايعوه تمت البيعة، ولا يشترط أن يبايع كل واحد بعينه، وتثبت الخلافة بالانتخاب والاختيار كما ثبتت الخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالاختيار والانتخاب، وكما ثبتت الولاية أيضاً لعثمان باختيار أهل الحل والعقد وبالإجماع، وكما ثبتت الخلافة لعلي بمبايعة أكثر أهل الحل والعقد، وتثبت الخلافة بولاية العهد من الخليفة السابق كما ثبتت الخلافة لعمر رضي الله عنه بولاية العهد من أبي بكر، وتثبت الخلافة أيضاً بالقوة والغلبة إذا غلب الناس بسيفه وقهرهم بسيفه واجتمعت عليه الكلمة فتمت له البيعة ولا يجوز الخروج عليه.

فتثبت الخلافة عند أهل السنة لولي الأمر بواحدة من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد، وفي هذه الحالة يجب أن يكون الخليفة من قريش إذا وجد فيهم من يقيم الدين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه: «**لَا يَزَالُ**

هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ»[١] فإن لم يوجد من قريش من يصلح للخلافة فينتخب من غيرها.

الأمر الثاني: تثبت الخلافة بولاية العهد من الخليفة السابق.

الأمر الثالث: تثبت الخلافة بالقوة والغلبة، فإذا غلب الناسَ بسيفه وقوته ولو لم يكن من قريش ثبتت له البيعة؛ ولهذا جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ**»[٢]، لكن لو كان الاختيار والانتخاب للمسلمين فلا يختارون عبداً حبشياً مجدع الأطراف، إنما يختارون من قريش، فدل على أن الخلافة تثبت بواحد من هذه الأمور الثلاثة.

○ قوله: «**ولا يحل لأحد أن يبيت ليلة، ولا يرى أن عليه إماماً، براً كان أو فاجراً**»، فلا يجوز للإنسان أن يبيت وهو لا يرى الإمامة لأحد أي: يعتقد في نفسه أنه ليس عليه إمام، ويرى أن يخلع الإمام، ولا يرى له بيعة، بل على الإنسان أن يرى البيعة لولي الأمر الذي اجتمعت عليه الكلمة، برًا تقيًا كان أو فاجرًا فاسقًا، خلافاً للخوارج والمعتزلة والروافض الذين لا يرون الإمامة للفاجر؛ لأن الخوارج يرون أن الفاجر يكفر، وإذا كفر وجب قتله وحل دمه وماله ولا يكون إماماً، والمعتزلة عندهم أصل: أن ولي الأمر إذا فجر وفسق يجب الخروج عليه، والروافض لا يرون الإمامة لأهل السنة إطلاقاً، ولا يرون الإمامة إلا للأئمة المعصومين.

فإذاً: أهل السنة تميزوا عن أهل البدع، فهم يرون السمع

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المَنَاقِبِ، باب مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ، رقم (٣٥٠١)، ومسلم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٢٠).

(٢) سبق تخريجه.

والطاعة لولي الأمر ولو كان فاسقاً فاجراً.

ويجوز الخروج عليه بالشروط التي جاءت في الحديث وهي:

الشرط الأول: أن يكفر كفراً صريحاً واضحاً لا لبس فيه.

الشرط الثاني: عندنا فيه من الله برهان واضح.

الشرط الثالث: عدم إقامة الصلاة.

الشرط الرابع: وجود البديل المسلم الصالح.

الشرط الخامس: وجود القدرة على إزالة الإمام الفاجر الكافر وتولية الإمام العادل الصالح.

فإذا وجدت هذه الشروط جاز الخروج عليه، وإذا لم توجد فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ لما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١)، لكن إذا وجدت قدرة، ووجد البديل فيزال الإمام الكافر ويكون بدله إماماً مسلماً صالحاً.

ولا يجوز الخروج على الحاكم في حال عدم وجود هذه الشروط، ولهذا يقول النبي ﷺ كما في الصحيحين: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢)، وهذا فيه دليل على أن الخروج على ولاة الأمور من الكبائر؛ لأنه قال: «**مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، إذاً: اصبر وتحمل؛ لأنك إذا أنكرت على ولي الأمر المعصية كشرب الخمر، أو أخذ

---

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ الفِتَنِ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، رقم (٧٠٥٦)، ومُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري، كِتَابُ الفِتَنِ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، رقم (٧٠٥٤)، ومُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٤٩).

مال شخص بغير حق، أو قتل شخص بغير حق، ففيه مفسدة، لكن الخروج عليه يترتب عليه مفسدة أكبر، وهي إراقة الدماء؛ لأن عنده جيشاً، والذين يخرجون كذلك، فيكون الناس فرقتين، فتراق الدماء ويختل الأمن، وتختل أحوال الناس المعيشية في الاقتصاد والزراعة والتجارة والدراسة والاجتماع، ويتربص بهم العدو الدوائر، وتأتي فتن تقضي على الأخضر واليابس، ففسقه ومعصيته مفسدة صغرى، **والقاعدة**: أنه إذا اجتمع مفسدتان كبرى وصغرى لا يمكن تركهما، ندرأ المفسدة الكبرى بارتكاب المفسدة الصغرى.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٢٧] والحج والغزو مع الإمام ماض، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، ويصلي بعدها ست ركعاتٍ، يفصل بين كل ركعتين، هكذا قال أحمد بن حنبل.

الشرح

○ قوله: «**والحج والغزو مع الإمام ماض**» وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الحج والغزو مع الإمام ماضٍ؛ لأن الحج والغزو فرضان يتعلقان بالسفر فلا بد من سائس يسوس فيهما الناس ويقاوم العدو، وهذا يحصل بالإمام الفاجر وبالإمام البر فيحجون مع الإمام ولو كان فاجراً، ويغزون معه ويجاهدون، وهذا خلافاً للخوارج والمعتزلة والروافض فإنهم لا يرون الحج والغزو مع ولي الأمر الفاجر؛ لأنه ليس إماماً للمسلمين عندهم.

○ قوله: «**وصلاة الجمعة خلفهم جائزة**» يعني: كذلك الصلاة جائزة خلف الأئمة ولو كانوا فجاراً.

○ قوله : «**ويصلي بعدها ست ركعات**» أي :بعد صلاة الجمعة.

○ قوله: «**يفصل بين كل ركعتين هكذا قال أحمد بن حنبل**»، الذي ورد في صحيح مسلم وغيره أنه يشرع للمسلم إذا صلى الجمعة أن يصلى بعدها أربع ركعات، كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا**

أَرْبَعًا»[(١)]، سواء كان في البيت أو في المسجد، وفي حديث ابن عمر ﭭ «**وَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ**»[(٢)]، وإذا صلى في المسجد صلى أربع ركعات، وجاء حديث عند أبي داود عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، أَنَّهُ رَأَى ابْنَ عُمَرَ، «**يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَيَنْمَازُ عَنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ الْجُمُعَةَ قَلِيلًا، غَيْرَ كَثِيرٍ**»، **قَالَ**: «**فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ**»، **قَالَ**: «**ثُمَّ يَمْشِي أَنْفَسَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَرْكَعُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ**»[(٣)]، فيكون المجموع ست ركعات.

والصواب: أنه يصلي أربع ركعات بسلامين، وأن يصلي أربع ركعات سواء في المسجد أو في البيت، وهذا هو الذي دلت عليه النصوص، خلافاً لما ذكره المؤلف من قوله ست ركعات ونسبه إلى الإمام أحمد بن حنبل[(٤)].

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْجُمُعَةِ، رقم (٨٨١).

(٢) أخرجهالبخاري، كتاب الْجُمُعَةِ، باب الصَّلَاةِ بَعْدَ الجُمُعَةِ وَقَبْلَهَا، رقم (٩٣٧)، ومُسْلِم، كتاب الْجُمُعَةِ، رقم (٨٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود: كِتَاب الصَّلَاةِ، باب الصَّلَاةِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ، رقم(١١٣٣).

(٤) نقل هذا القول عن الإمام أحمد، عبدالله بن أحمد في مسائله (١/ ١٢١)، وصالح في مسائله (٢/٨)، والمذهب وهو ما عليه أكثر الأصحاب: أن أقل السنة بعد الجمعة ركعتان، وأكثرها ست ركعات، وقيل: أكثرها أربع. اختاره ابن قدامة.

انظر: «المغني» (٢/ ٢٧٠)، و«المبدع» (٢/ ١٧١)، و«الإنصاف» (٢/ ٤٠٥).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٢٨] والخلافةُ في قريش إلى أن ينزل عيسى بن مريم.

الشرح

○ قوله: «والخلافةُ في قريش إلى أن ينزل عيسى بن مريم» هذا إذا كان الاختيار والانتخاب للمسلمين فهم يختارون من قريش إذا وجد فيهم من يقيم الدين، أما إذا لم يوجد من يقيم الدين فإنها تكون في غيرهم، لحديث معاوية بن أبي سفيان عند الشيخين: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ**»(١) وفي رواية: «**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ، إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ**»(٢)، يعني ما دام أنه وُجد من قريش من يقيم الدين فتكون الخلافة فيهم، فإذا لم يوجد فيهم من يقيم الدين فتكون في غيرهم، فإن لم يكن هناك اختيار للمسلمين وغلب الناس بسيفه وقوته وسلطانه ثبتت له الخلافة، إلى أن ينزل عيسى بن مريم ﷺ من السماء.

وأول أشراط الساعة الكبرى خروج المهدي، كما جاء في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المَنَاقِبِ، باب مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ، رقم (٣٥٠٠).

ظُلْمًا وَجَوْرًا»[(١)].

ثم خروج الدجال، ثم نزول عيسى بن مريم وهي العلامة الثالثة، ثم خروج يأجوج ومأجوج.

ثم تتوالى الأشراط: الدخان الذي يملأ ما بين السماء والأرض، كما جاء في الحديث «**يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَام»**[(٢)].

وهدم الكعبة في آخر الزمان من أشراط الساعة الكبرى، كما في الحديث أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»**[(٣)].

ونزع القرآن من الصدور ومن المصاحف إذا ترك الناس العمل به، كما جاء في الحديث أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا»**[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، كتاب المهدي، رقم (٤٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تَفْسِيرِ القُرْآنِ، باب سُورَةِ الرُّومِ، رقم (٤٧٧٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم (٧٩١٠)، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٣٩٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ».

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الْفِتَنِ، باب ذَهَابِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ، رقم (٤٠٤٩)، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٤٦٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ».

ثم تأتي الأشراط الأخيرة لقرب الساعة وهي: طلوع الشمس من مغربها، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[(١)].

ثم خروج الدابة وهي العلامة التاسعة من علامات الساعة الكبرى، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قَالَ: «**فَخَرَجَتْ عَلَيْهِمْ تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَبَدَتْ بِهِمْ فَجَلَتْ عَنْ وُجُوهِهِمْ حَتَّى تَرَكَتْهَا كَأَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ، ثُمَّ وَلَّتْ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلَا يُعْجِزُهَا هَارِبٌ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: أَيْ فُلَانُ الْآنَ تُصَلِّي؟ فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَهُوَ أَبْيَنُ حَدِيثٍ فِي ذِكْرِ دَابَّةِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[(٢)].

ثم العاشرة، وهي آخرها: خروج نار من قعر عدن، كما في الحديث «**وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ**»[(٣)] وفي رواية: «**نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، إلى أرض فلسطين، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا**»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، رقم (٤٦٣٥)، ومُسْلِم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (١٥٧).
(٢) أخرجه الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٤٩٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَهُوَ أَبْيَنُ حَدِيثٍ فِي ذِكْرِ دَابَّةِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»
(٣) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٠١).
(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الْفِتَنِ، باب الْآيَاتِ، رقم (٤٠٥٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٢٩] ومن خرج على إمامٍ من أئمةِ المسلمين، فهو خارجيٌّ، وقد شقَّ عصا المسلمين، وخالفَ الآثار، وميتتُهُ ميتةٌ جاهليةٌ.

الشرح

○ قوله: «**ومن خرج على إمامٍ من أئمةِ المسلمين، فهو خارجيٌّ**» يعني: صار منتسبًا إلى الخوارج، والخوارج هم: الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر عهد الصحابة، ولهم عقيدة خبيثة، وهي تكفير المسلمين بالمعاصي، فهم يقولون: إن من فعل الكبيرة كفر وهو مخلد في النار، فالزاني عند الخوارج كافر، وشارب الخمر كافر، والعاق لوالديه كافر حلال الدم والمال.

والذي يخرج على إمام من أئمة المسلمين بالمعاصي هو على طريقة الخوارج، وقد يكون ليس من الخوارج فيكون من البغاة الذين يخرجون على الإمام، والبغاة: جمع باغٍ، وهم الذين ينقمون على ولي الأمر شيئاً من المعاصي.

يقول العلماء: إذا خرجت طائفة من البغاة على ولي الأمر يرسل إليهم من يكشف شبهتهم، وينظر ما هي مطالبهم، فإن كانت مظالم فإنه يزيلها فإن استمروا قاتلهم، والذي يخرج على أئمة المسلمين قد يكون معتزلياً، وقد يكون رافضياً، فكل هؤلاء يخرجون على ولي الأمر.

○ قوله: «وقد شقَّ عصا المسلمين، وخالف الآثار» جاء في الأحاديث النهي عن الخروج على ولاة الأمور.

○ قوله: «وميتتُه ميتةٌ جاهليةٌ» يشير إلى الحديث: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[١]. وهذا يدل على أن الخروج على ولي الأمر من الكبائر؛ لكونه توعد بأن تكون ميتته ميتة جاهلية.

---

(١) سبق تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣٠] ولا يحل قتال السلطان، والخروج عليه وإن جاروا، وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «اصبر وإن كان عبداً حبشيا».

وقوله للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض».

وليس من السنة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدين والدنيا.

الشرح

○ قوله: «ولا يحل قتال السلطان، والخروج عليه وإن جاروا» لأن الأحاديث أمرت بالصبر على ولاة أمور الجور، فلا يحل قتالهم فمن قاتلهم فإنه من الخوارج، أو من البغاة، أو من الرافضة، أو من المعتزلة.

○ قوله: «وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «اصبر وإن كان عبداً حبشيا»» المؤلف روى هذا الحديث بالمعنى، ولفظ الحديث: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ**»[(١)]، يعني: أن ولي الأمر إذا غلب الناس بسيفه فيجب الصبر عليه وعدم الخروج عليه ولو لم يكن من قريش، لكن لو كان الاختيار للمسلمين فيجب أن يختاروا من قريش، وفي لفظ آخر: «**وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع، رقم (٦٩٦).

○ قوله: «وقوله للأنصار: اصبروا حتى تلقوني على الحوض» ولفظ الحديث «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»[(١)] يعني: سترون من ولاة الأمور من لا يعطيكم حقكم ويؤثر غيركم عليكم فاصبروا ولا تخرجوا على ولاة الأمور ولو لم يعطوكم حقكم، فدل على أنه لا يجوز الخروج على السلطان بالمعاصي، والشاهد قوله: «فَاصْبِرُوا» فإنه دل على عدم جواز الخروج والصبر على جورهم وظلمهم.

○ قوله: «وليس من السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدين والدنيا»، لأن قتاله والخروج عليه فيه إراقة الدماء وفيه اختلال الأمن، وحصول المفاسد الكثيرة، فساد في الدين بأن تختل أحوال الناس الدينية فلا تقام الحدود، ولا يُنصف للمظلوم من الظالم، فإن ولاة الأمور قد رتب الله عليهم إقامة مصالح عظيمة منها: أن الله تعالى يقيم بهم الأمن، ومنها: أن المظلوم يأخذ حقه من الظالم، ومنها: إقامة الشعائر للناس مثل: صلاة الجمعة، والعيدين، والجهاد، والحج، وقد يحصل منه ظلم لكن هذا الظلم قليل بالنسبة للمصالح التي علقها الله بولاة الأمور، فلو قيل للناس في ليلة واحدة: كلٌ يفعل ما يشاء، يحصل من الفساد ما الله به عليم؛ ولهذا يقول بعض السلف: «سِتُّونَ سَنَةً بِإِمَامٍ ظَالِمٍ: خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا إِمَامٍ»[(٢)]:

لَوْلَا الْأَئِمَّةُ لَمْ يَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ ... وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»، رقم (٣٧٩٢)، ومُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٤٥).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٤٠٧)، و«مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٠/ ١٣٦).

فالليلة الواحدة التي تكون بلا إمام يحصل فيها فساد كثير من القتل والزنا والسرقة ونهب الأموال إلى غير ذلك؛ لأن ولاة الأمور علق الله بهم المصالح العظيمة ولو كانوا فسقة ولو كانوا جبابرة، فإن فسقه على نفسه، والناس ليس بيدهم إلا النصيحة المبذولة من قبل أهل الحل والعقد، فإن استجاب فالحمد لله، وإن لم يستجب فليس على الناس من ظلمه، وإنما سُلط على الناس الظلمة بسبب تفريطهم في أمر الله فعوقبوا، فإذا أراد الناس أن يصلح الله لهم ولاة الأمور فليستقيموا على طاعة الله؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشّورىٰ: ٣٠]، ففجور الولاة بما كسبت أيدي الرعية، وما يحصل من الجور تُكفر به السيئات، فالجور من جنس المصائب، وفيه تأديب للرجال الصالحين، وعقوبة للعصاة.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٣١] ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم وأموالهم وأهاليهم، وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يأخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم.

الشرح

○ قوله: «**ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم وأموالهم وأهاليهم**» أي: يحل قتال الخوارج إذا قاتلوا المسلمين بأنفسهم وأموالهم؛ لأنهم بذلك يستحلون دماء المسلمين وأموالهم بالمعاصي، فإذا قاتل الخوارج المسلمين قوتلوا كما قاتلهم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكما جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)].

○ قوله: «**وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يأخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم**» يعني: إذا قاتل المسلمون الخوارج ثم هربوا فلا يطلبونهم وإنما يتركونهم، وإذا وجد المسلمون جريحاً من الخوارج فلا يقتلونه ولا يقتل أسيرهم، ولا يؤخذ فيئهم وأموالهم؛ لأنهم ليسوا كفاراً، فقد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، باب قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، رقم (٦٩٣٠)، ومُسْلِم، كتاب الزَّكَاةِ، رقم (١٠٦٦).

عامل الصحابة الخوارج معاملة العصاة، ولم يعاملوهم معاملة الكفار؛ لأنهم متأولون، ولما سُئِل عليٌ ﵁: أَكُفَّارٌ هُمْ؟ قَالَ: «**مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا**»[(١)]، وقال بعض العلماء بكفرهم، واستدلوا بالأحاديث التي قال فيها النبي ﷺ وهي في الصحيحين: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[(٢)]، وفي لفظ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ**»[(٣)] وفي لفظ: «**لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[(٤)]، فشبههم بقوم عاد وهم قوم كفار.

وجاء في الحديث المتقدم عن النبي ﷺ: «**إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٥)]، وقالوا بأن هذه النصوص تدل على كفرهم، وهي رواية عن الإمام أحمد، لكن الجمهور على أنهم عصاة مبتدعةوليسوا كفاراً[(٦)]، وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصحابة جميعهم عاملوا الخوارج معاملة المبتدعة[(٧)].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق، كتاب اللُّقَطَةِ، باب مَا جَاءَ فِي الْحَرُورِيَّةِ، رقم (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة، كتاب الْجَمَلِ، باب مَا ذُكِرَ فِي صِفِّينَ، رقم (٣٧٨٤٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، رقم (٧٥٦٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، باب قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝﴾ [الحاقة: ٦]، رقم (٣٣٤٤)، ومُسْلِم، كتاب الزَّكَاةِ، رقم (١٠٦٤).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) انظر: «المغني» (٨/ ٥٢٤)، و«الإنصاف» (١٠/ ٣١٣).

(٧) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٢)، (٥/ ٩٥)، (٥/ ٢٤١-٢٤٧).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٣٢] واعلم ـ رحمك الله ـ أنه لا طاعة لبشر في معصية الله ﷻ، ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شر، فإنك لا تدري بما يُختم له، ترجو له، وتخاف عليه ولا تدري ما يسبق له عند الموت إلى الله من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام، ترجو له رحمة الله، وتخاف عليه ذنوبه، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة.

الشرح

○ قوله: «**واعلم ـ رحمك الله ـ أنه لا طاعة لبشر في معصية الله ﷻ**» وهذا ثبت بقول النبي ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ**»[(١)]، وقوله ﷺ في حديث آخر: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(٢)]، فلا يطاع أي بشر في المعصية ولو كان أميراً، فإذا أمرك الأمير وقال: اشرب الخمر، فلا تطعه، أو أمرك بالقتل بغير الحق فلا تطعه، أو أمرت زوجة زوجها بالمعصية فلا يطعها.

○ قوله: «**من كان من أهل الإسلام، ولا يُشهد على أحدٍ ولا يُشهد له بعملِ خيرٍ ولا شرٍّ، فإنك لا تدري بما يختم له، ترجو له، وتخاف عليه**» يعني: أن المعين من أهل القبلة لا يُشهد له بالجنة ولا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

يُشهد له بالنار، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، فإذا رأينا إنساناً مستقيماً على طاعة الله فنرجو له الخير، ونرجو أن يكون من أهل الجنة، ولا نشهد له بها، وإذا رأينا إنساناً عاصياً فنخاف عليه من النار، ولا نشهد له بالنار، ولا نشهد لأي مسلم بالجنة إلا لمن شهدت له النصوص كالعشرة المبشرين بالجنة وكالحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

وجماعة من الصحابة شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، ومن لم تشهد له النصوص فنشهد له بالجنة بالعموم، فكل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار، لكن فلان ابن فلان بعينه نشهد له بالجنة فهذا لا يصح، لأن لا ندري بهذا الشيء، لكن إذا كان فلان ابن فلان بعينه مستقيماً على طاعة الله فنرجو له الخير، ونرجو أن يكون من أهل الجنة وفلان ابن فلان الذي يفعل المعاصي لا نشهد له بالنار لكن نخاف عليه من النار، ولا نشهد لأحد بالنار إلا من عرفنا أنه مات على الكفر وأنه قامت عليه الحجة، فإذا عرفت أن فلاناً يعبد الأصنام وقامت عليه الحجة ومات على ذلك فلا شبهة له فهو من أهل النار، وكذلك اليهود والنصارى نشهد عليهم بالنار.

إذاً من كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بخير ولا شر.

○ قوله: «**ولا تدري ما يسبق له عند الموت إلى الله من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام، ترجو له**

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب، رقم (٣٧٦٨)، وابنُ ماجه في «المقدمة»، رقم (١١٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧/٣١٨)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

رحمة الله، وتخاف عليه ذنوبه» أي: إنك لا تدري بما يختم له عند الموت وإنما ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه، ولا تدري ما يسبق له عند الموت؛ فأنك لا تدري ما هي الخاتمة، ولا ما يسبق له عند الموت فإذا مات الإنسان على الإسلام فإنك ترجو له رحمة الله، وتخاف عليه ذنوبه.

فمن تاب توبة نصوحاً تاب الله عليه، وذلك بأن يندم على ما مضى، ثم يعزم عزماً جازماً على ألا يعود إليه، ولا بد من رد المظالم إلى أهلها، وأن تكون التوبة قبل وصول الروح إلى الحلقوم، وقبل طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان، فإذا تحققت هذه الشروط فهي توبة نصوح.

○ قوله: **«وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة»** فأي ذنب ولو كان كفراً أو شركاً فإن له توبة، فقد عرض الله التوبة على أكثر الناس كفراً وهم المثلثة من النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤].

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣٣] والرَّجْمُ حَقٌّ.

الشرح

○ قوله: «والرَّجْمُ حَقٌّ» وهو رجم الزاني المحصن، فإذا زنا وثبتت عليه البينة بشهادة أربعة عدول أو بإقراره على نفسه، وكان قد تزوج ولو في العمر مرة ولو ليلة واحدة، ولو لم يكن معه زوجة، فإنه يسمى محصناً، فإذا زنا بعد ذلك رُجم، وإن لم يكن محصناً بأن لم يتزوج فإنه يجلد مائة جلدة ويغرب عاماً عن البلد، قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: ٢]، وفي حديث عبادة بن الصامت، قال ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ**»(١)، فالثيب يرجم بالحجارة حتى يموت، والبكر يجلد مائة جلدة ويغرب عن البلد عاماً.

وهذه المسألة من مسائل الفروع، لكن المؤلف نص عليها للرد على الخوارج الذين أنكروا الرجم، بحجة أنه زيادة على القرآن وهم لا يقبلون ما زاد عن القرآن بزعمهم.

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الحدود، رقم (١٦٩٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣٤] والمسح على الخفين سُنّة.

الشرح

○ قوله: «**والمسح على الخفين سُنّة**» والأحاديث في ذلك متواترة، والعلماء يذكرون المسح على الخفين في كتب العقائد للرد على الروافض الذين ينكرون المسح على الخفين، وكذلك غسل الرجلين في الوضوء وهم يقولون: إن الواجب مسح ظهور القدمين، فإذا كانت الرجلان مكشوفتين فيمسحونها بعد تبليل أيديهم بالماء، وإذا كان عليهما الخفان وجب خلع الخفين ومسح ظهور القدمين.

والأحاديث في المسح على الخفين بلغت حد التواتر، كما ذكر ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية فقال: «**تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة**»(١) حتى إن الذين نقلوا كيفية الوضوء عن النبي قالوا: غسلاً للرجلين المكشوفتين ومسحاً للخفين، وأكثرهم الذين نقلوا نص الآية وهي قوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، فالآية

(١) شرح «الطحاوية» (٢/ ٥٥١).

متواترة؛ لأن القرآن كله متواتر، لكن تواتر كيفية الوضوء غسلاً ومسحاً أقوى من تواتر نص الآية، وذلك أن الصحابة كلهم يتوضؤون، وكلهم شاهدوا غسل الرجلين ومسح الخفين من النبي ﷺ، ومن لم يشاهد النبي ﷺ فقد نقله عن غيره، بخلاف نص الآية، فليس كل أحد يحفظ الآية فالبعض يحفظ الآية والبعض لا يحفظها، أما الوضوء فكلهم يتوضؤون وليس هناك أحد لا يتوضأ، فالآية متواترة ونقل كيفية الوضوء أقوى تواتراً وأكثر عدداً من الذين نقلوا نص الآية.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣٥] وتقصير الصلاة في السفر سُنّة.

الشرح

○ قوله: «**وتقصير الصلاة في السفر سُنّة**» يعني: قصر الصلاة الرباعية وهي الظهر والعصر والعشاء، أما المغرب والفجر فلا يقصران.

والقصر مستحب وليس بواجب[(١)]؛ فلو أتم صحت الصلاة؛ لكنه خلاف الأولى.

والقول الثاني: أن القصر واجب[(٢)].

والصواب: أنه مستحب؛ لما ثبت أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ صلوا خلف عثمان بن عفان ـ الخليفة الراشد ـ في منى أربعًا[(٣)]؛ فلو كانت صلاة المسافر أربعًا لا تصح لما صلوا خلفه، وفي الصحيحين عن الزهري عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر،

(١) هو مذهب مالك والشافعي وأحمد. انظر: «بداية المجتهد» (١/ ٢٤١)، و«المجموع» (٤/ ٢١٩)، و«المغني» (٢/ ٤٧-٥٤).

(٢) هو مذهب أبي حنيفة. انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ٩١).

(٣) أخرجه البخاري كتاب (أبواب) تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى (١٠٨٤) ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦٩٥).

قال الزهري: فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم في السفر؟ قال: إنها تأولت كما تأول عثمان[١].

(١) أخرجه البخاري كتاب (أبواب) تقصير الصلاة، باب يقصر إذا خرج من موضعه (١٠٩٠)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦٨٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٣٦] والصَّومُ في السَّفرِ؛ مَنْ شَاءَ صامَ ومَنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

الشرح

○ قوله: «والصَّومُ في السَّفرِ؛ مَنْ شَاءَ صامَ ومَنْ شَاءَ أَفْطَرَ» يعني: الإنسان مخير في الصوم في السفر؛ لما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ** فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى المُفْطِرِ، وَلَا المُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ»[(١)].

والمسافر له أحوال:

الحالة الأولى: أن يشق عليه الصوم، فهذا يكره في حقه الصوم؛ لما في الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحامًا ورجلاً قد ظلل عليه، فقال: «**ما هذا؟**». فقالوا: صائم. فقال: «**ليس من البر الصوم في السفر**»[(٢)]، وزاد في رواية: «**عليكم برخصة الله الذي رخص لكم**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصَّوْم، باب: لَمْ يَعِبْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الصَّوْمِ وَالإِفْطَارِ، رقم (١٩٤٧)، ومُسْلِم، كتاب الصِّيَام، رقم (١١١٨).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ؟ لمن ظلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر (١٩٤٦)، ومسلم كتاب الصيام (١١١٥).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الصيام (١١١٥) وزاد: قال شعبة: وكان يبلغني عن يحيى ابن أبي كثير أنه كان يزيد في هذا الحديث، وفي هذا الإسناد أنه قال: «عليك برخصة الله الذي رخص لكم». قال: فلما سألته لم يحفظه. =

الحالة الثانية: ألا يشق عليه الصوم، كأن يكون الجو باردًا والسفر مريحًا؛ فهذا مخير بين الصيام وبين الفطر، **واختلف العلماء في أيهما أفضل؟**

القول الأول: الفطر أفضل[(١)].

القول الثاني: أن الصوم أفضل؛ لأن فيه براءة للذمة.

القول الثالث: هما سواء.

القول الرابع: أنه لا يصح لو صام مطلقًا. وهذا قول ضعيف[(٢)].

والصواب: أن الفطر أفضل؛ لأن فيه أخذا برخصة الله، وإن كان الإنسان نشيطاً فله أن يصوم وإن رأى أن يفطر فلا حرج، والأمر في هذا واسع.

= وأخرجه بهذه الزيادة ابن حبان كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها (٣٥٥) بسند صحيح على شرط البخاري.

(١) وهو قول أحمد وإسحاق. انظر: «المغني» (٣/ ٤٢).

(٢) «المجموع» (٦/ ٢٦٣)، و«المغني» (٣/ ٤٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣٧] ولا بأس بالصلاة في السراويل.

الشرح

○ قوله: «ولا بأس بالصلاة في السراويل» والسروال هو الذي يستر النصف الأسفل من جسم الإنسان، أما ما يضعه على كتفيه فهو الرداء فله أن يصلي في رداء وسروال أو رداء وإزار، أو قميص وهو الثوب.

■ مسألة: كيف نحمل الأمر الوارد في قوله النبي ﷺ: «تَسَرْوَلُوا وَائْتَزِرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»[١]؟

• الجواب: أن قوله عليه الصلاة والسلام: «تَسَرْوَلُوا» أمر بارتداء السروال، إلا أن الحديث في سنده مقال[٢]، والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٢٢٢٨٣).

(٢) الحديث من طريق القاسم بن عبدالرحمن أبو عبد الرحمن الدمشقي، وهو متكلم فيه، قال جعفر بن محمد بن أبان الحرانى: سمعت أحمد بن حنبل ومر حديث فيه ذكر القاسم بن عبدالرحمن مولى يزيد بن معاوية، قال: هو منكر لأحاديثه متعجب منها، قال: وما أرى البلاء إلا من القاسم، ووثقه آخرون، لهذا قال ابن حجر في «التقريب»: صدوق يغرب كثيراً. ا.هـ، وذكر الهيثمي شاهدا له في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٣١) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعزاه للطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٥٣)، وذكر أن في سنده على بن سعيد الرازي ـ قلت: وهو شيخ الطبراني ـ، قال: وهو ضعيف، وذكر الطبراني انفراد أحمد بن عبدالرحمن بن وهب ابن أخي عبدالله بن وهب عن عمه ابن وهب وقد تُكلم في ذلك، والله أعلم.

ذكر أن الحكم على الإباحة.

■ **مسألة: هل تجوز الصلاة بالسراويل الضيقة وما يسمى بالسراويل الجنز وغيرها؟**

● **الجواب:** لا ينبغي، فالسراويل الضيقة التي تبين مقاطع الجسد وتؤذي الإنسان عند السجود والركوع وعند الوضوء لا يجوز الصلاة بها، بل ينبغي أن يكون السروال واسعاً فضفاضاً مريحاً للإنسان، والجنز إذا كان فيه تشبه بالكفرة فلا يجوز لبسه، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١)، لكن السراويل والبنطلونات الآن لم تعد خاصة بالكفار، فقد صارت عامة، كذلك إذا كان واسعاً فلا بأس بالصلاة به، وإن كانت الصلاة في الثوب أحسن وأريح.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم (٤٠٣١)، قال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢٧١): رواه أبو داود بسند حسن.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣٨] والنفاقُ أن تُظهر الإسلام وتخفي الكفر.

الشرح

○ قوله: «والنفاقُ أن تُظهر الإسلام وتخفي الكفر» هذا معنى النفاق الأكبر: وهو أن يظهر الإنسان الإسلام ويبطن الكفر وصاحبه، في الدرك الأسفل من النار.

وهناك نفاق عملي وهذا يكون في المعاصي كالكذب في الحديث، وخلف الوعد، والفجور في الخصومة، والغدر في العهود،كما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(١)، وهذا يسمى نفاقاً أصغر، لكن النفاق الأكبر الذي يخرج من الملة ما ذكره المؤلف فهو يظهر الإسلام ويخفي الكفر، وهذا كنفاق عبدالله بن أُبي بن سلول وأصحابه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الْأَيْمَانِ، باب عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، رقم (٣٤)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٥٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٣٩] واعلم أن الدنيا دار إيمان وإسلام، فأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم وذبائحهم والصلاة عليهم، لا تشهد لأحدٍ بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يموت، وعلمُ إيمانه إلى الله تعالى: تام الإيمان أو ناقص الإيمان، إلا ما ظهر لك من تضييع شرائع الإسلام.

الشرح

○ قوله: «واعلم أن الدنيا دار إيمان وإسلام» يعني: مادام أن شعائر الإسلام ظاهرة كالنداء بالصلاة والإقامة بها وإظهار شعائر الإسلام، فتكون الدار دار إسلام كما قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة الحديث: «**ويرون** ـ أي: أهل السنة ـ **أن الدار دار الإسلام لا دار كفر كما رأته المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة بها ظاهرين وأهلها ممكنين منها آمنين**»(١)، فإذا كان في البلد من يقيم الإسلام وينادي بالصلاة وكانت شعائر الإسلام ظاهرة فيها فهي دار إسلام، وإن لم تكن فيها شعائر الإسلام ظاهرة فهي دار كفر، «**وقد كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِنْ**

(١) «اعتقاد أئمة الحديث»، لأبي بكر الإسماعيلي (١/ ٧٦).

سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ»(١).

وقال بعضهم: العبرة بالحكم الذي يحكم فيها، فإن كان يحكم فيها بالشريعة فهي دار إسلام، وإن لم يحكم فيها بالشريعة فليست دار إسلام(٢).

○ قوله: «**فأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم وذبائحهم والصلاة عليهم**» يعني: يُعاملون معاملة المسلمين، ففي المواريث يرث كل واحد من أقاربه، وذبائحهم حلال، ويصلى عليهم؛ خلافاً للمعتزلة والخوارج الذين يقولون: ليس هناك دار إيمان ولا إسلام، فإذا كان الناس يفعلون المعاصي فليست دار إسلام، ولا تحل ذبائحهم، ولا يصلى عليهم؛ لأنهم كفار، وهذا هو مذهب الخوارج والمعتزلة والروافض.

يقول الشوكاني في السيل الجرار: «**الاعتبار بظهور الكلمة، فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها؛ لأنها لم تظهر بقوة الكفار، ولا بصولتهم، وإذا كان الأمر بالعكس، فالدار بالعكس**»(٣).

○ قوله: «**لا تشهد لأحدٍ بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الْأَيْمَانِ، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ إِلَى الإِسْلَامِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، رقم (٢٩٤٣)، ومُسْلِم، كتاب الصَّلَاةِ، رقم (٣٨٢).

(٢) انظر: «الدرر السنية» (٦/ ٤٠٢)، و«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، (١/ ٦٥٥).

(٣) «السيل الجرار»، للشوكاني (١/ ٩٧٦).

شرائع الإسلام، فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يموت» يعني: لا تشهد لشخص بأنه مؤمن إيماناً حقيقياً حتى يوحد الله ويؤدي الفرائض وينتهي عن المحارم، فيقال له: مؤمن حقاً، ومؤمن كامل الإيمان، أما إذا قصر في شيء من ذلك بأن فعل المحرمات وترك كل الواجبات فإنها تنتفي عنه حقيقة الإيمان؛ لأنه ناقص الإيمان حتى يموت، أما إذا أُثبت الإيمان فيقال: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وفي النفي لا تقل: ليس بمؤمن وتسكت؛ لأنك إذا قلت ليس بمؤمن وافقت الخوارج والمعتزلة، وإذا قلت مؤمن وافقت المرجئة فلا بد من القيد فتقول: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن ضعيف الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وفي النفي تقول: ليس بصادق الإيمان، أو ليس بمؤمن حقاً، فلا نقول إنه مؤمن حقاً حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام فإن قصر كان ناقص الإيمان حتى يتوب.

○ قوله: **«وعلمُ إيمانه إلى الله تعالى: تام الإيمان أو ناقص الإيمان، إلا ما ظهر لك من تضييع شرائع الإسلام»** يعني: أن الله تعالى أعلم بالشخص هل هو تام الإيمان أو ناقص الإيمان، لكن إذا أظهر لك أنه ضيع بعض شرائع الإسلام بأن ترك بعض الواجبات عرفت أنه ناقص الإيمان.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٤٠] والصلاةُ على مَنْ مَاتَ مِن أهلِ القِبلةِ سُنَّةٌ: المرجومُ، والزاني، والزانيةُ، والذي يقتُلُ نَفْسَهُ، وغيرُهُم من أهلِ القبلةِ، والسكرانُ وغيرُهُ،الصلاةُ عليهم سنة.

الشرح

○ قوله: «**والصلاةُ على مَنْ مَاتَ مِن أهلِ القِبلةِ سُنَّةٌ**» كل من مات من أهل القبلة، يعني من يستقبل القبلة في الصلاة والذكر والذبح ويلتزم بشرائع الإسلام فيشرع أن يصلى عليه وإن كان من العصاة.

○ قوله: «**المرجومُ، والزاني، والزانيةُ، والذي يقتُلُ نَفْسَهُ، وغيرُهُم من أهلِ القبلةِ، والسكرانُ وغيرُهُ، الصلاةُ عليهم سنة**» فهذا ما ذهب إليه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

قال الترمذي في سننه: «وَاخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْم فِي هَذَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَنْ صَلَّى إِلَى القِبْلَةِ، وَعَلَى قَاتِلِ النَّفْسِ، وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ، وَإِسْحَاقَ»، وقَالَ أَحْمَدُ: «لَا يُصَلِّي الإِمَامُ عَلَى قَاتِلِ النَّفْسِ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ غَيْرُ الإِمَامِ»(١)، فالمرجوم، والزاني، والذي يقتل نفسه لا يصلي عليه الأعيان والوجهاء كالعلماء وغيرهم

(١) سنن الترمذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء فيمن قتل نفسه لم يصل عليه، رقم (١٠٦٨).

تنفيراً وزجراً للأحياء حتى لا يفعلوا مثل فعلهم، ولكن يصلي عليهم بقية الناس لما جاء في بعض الأحاديث والتي تنص على أن بعض العصاة لا يصلى عليه كمن قتل نفسه فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «**أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ**»[(١)]، فلا يصلي عليه الوجهاء والأعيان والعلماء، فإذا رأى الحي أن القاتل لا يُصلى عليه خاف أن يكون حاله مثله وألا يُصلى عليه إذا مات، فيكون زجراً للأحياء، ويصلي عليه بقية الناس.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، رقم (٩٧٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٤١] ولانُخرِجُ أحداً مِنْ أهلِ القبلةِ مِنْ الإسلام حتى يَرُدَّ آيةً من كتابِ اللهِ، أو يَرُدَّ شَيئاً من آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو يَذْبَحَ لغيرِ اللهِ، أو يُصلي لغيرِ اللهِ، فإذا فَعَلَ شَيئاً من ذلكَ فقدْ وجبَ عليك أن تُخرجهُ من الإسلامِ، وإذا لم يفعل من ذلك شيئاً فهو مؤمن مسلمٌ بالاسمِ لا بالحقيقة.

الشرح

○ قوله: «ولا نُخرجُ أحداً مِنْ أهلِ القبلةِ مِنْ الإسلامِ حتى يَرُدَّ آيةً من كتابِ اللهِ، أو يَرُدَّ شَيئاً من آثارِ رسولِ اللهِ، أو يَذْبَحَ لغيرِ اللهِ، أو يُصلي لغيرِ اللهِ» أي: لا نخرج أحداً من الإسلام إلا إذا فعل مُكفراً، كأن يرد آية من كتاب الله ﷻ أو يجحد آية من آيات الله، كأن يرد آية الاستواء وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، لا متأولاً بل جاحداً، فإن هناك فرق بين المتأول والجاحد، فالمتأول يقول: (استوى) بمعنى: استولى وهذا عاص مبتدع؛ لأنه يعتقد أنها آية، ولا ينكرها ولكنه يؤولها، أما الجاحد فهو ينكر ويعتقد أنها ليست آية، والجاحد يكفر بينما المتأول لا يكفر.

○ قوله: «أو يرد شيئاً من آثار رسول الله»، كأن يرد حديثاً ثابتاً من الأحاديث المتواترة بعد علمه أنه حديث ثابت متواتر.

○ قوله: «أو يَذْبَحَ لغيرِ اللهِ أو يُصلي لغيرِ اللهِ، فإذا فَعَلَ شَيئاً من ذلكَ فقدْ وجبَ عليك أن تُخرجهُ من الإسلامِ» إن ذبح لغير الله

صار مشركاً كافراً، إذا رأيت أحداً يدعو غير الله يقول: يا رسول الله اشفع لي، أو يقول: مدد يا بدوي! مدد يا دسوقي! مدد يا عبدالقادر! خذ بيدي، أو يذبح عجلاً أو دجاجة للبدوي أو للحسين، أو للرسول أو للنجم أو للقمر، أو ينذر إن شفا اللهُ مريضَه ليذبحن خروفاً على روح السيد البدوي، أو على روح الرسول أو يطوف في القبر تقرباً إليه فهذا كافر مشرك، وإذا صلى لغير الله فهو مشرك، إذا فعل الإنسان شيئاً من ذلك وجب عليك أن تعتقد جازماً أنه كافر؛ لأنه من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم فهو كافر مثلهم؛ لأنه لم يكفر بالطاغوت، والتوحيد لا بد له من **شيئين**:

الأول: الكفر بالطاغوت.

الثاني: الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، ومن لم يُكفر الكافر لم يكفر بالطاغوت.

وكلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» فيها كفر وإيمان، «**لا إله**» كفر بالطاغوت، «**إلا الله**» إيمان بالله، فمن لم يكفر الكفار والمشركين ويقول: اليهود على دين، والنصارى على دين، والمسلمين على دين وكل هذه الأديان نزلت من السماء فقد وقع في الكفر، ومن لم يكفره أو شك في كفره فهو كافر مثله، لأنه لم يكفر بالطاغوت.

○ قوله: «**وإذا لم يفعل من ذلك شيئاً فهو مؤمن مسلمٌ بالاسمِ لا بالحقيقة**» فلا يكون مؤمناً حقاً إلا إذا أدى الفرائض وانتهى عن المحرمات، وإذا كان موحداً لله يؤدي الصلوات والواجبات ويترك المحرمات؛ ولكنه يترك بعض الفرائض أو يقصر فيها أو يفعل بعض المحرمات فنقول: هو مؤمن ناقص الإيمان وليس مسلماً حقاً.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٤٢] وكُلُّ ما سمعتَ مِنَ الآثار مما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»، وقوله: «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا»، وينزل يوم عرفة، ويوم القيامة.

وأنَّ جهنم لا تزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه.

وقول الله للعبد: «إن مشيت إلي هرولت إليك».

وقوله: «إن الله تبارك وتعالى ينزل يوم عرفة».

وقوله: «إن الله خلق آدم على صورته».

وقول النبي ﷺ: «إني رأيت ربي في أحسن صورة». وأشباه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى، لا تفسر شيئاً من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسر شيئاً من هذا بهواه أو رده فهو جهمي.

الشرح

○ قوله: «وكل ما سمعت من الآثار مما لم يبلغه عقلك» أي: إذا سمعت شيئاً من الأحاديث عن النبي ﷺ وأنت لا تعرف معناه فقل آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، وتسلم فتقول: سلمت وصدقت وآمنت، وأما الكيفية فأفوضها إلى الله.

○ قوله: «نحو قول رسول الله ﷺ: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»»، في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**»(١) فالواجب أن تقول: آمنت بالله، وتثبت الأصابع لله بنص الحديث السابق على الوجه اللائق به والله أعلم بالكيفية، وقوله: «**بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ**» لا يلزم من البينية المماسة، فالله ﷻ قال في السحاب: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٤]، إذاً السحاب بين السماء والأرض، والسحاب ليس ملاصقاً للسماء وليس ملاصقاً للأرض، ولا يلزم منها المماسة، قال شيخ الإسلام رحمه الله في التدمرية: «وأما قوله: «قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»، فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه، ولا في قول القائل: هذا بين يدَيّ. ما يقتضي مباشرته ليديه. وإذا قيل: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لم يقتض أن يكون مماسًا للسماء والأرض، ونظائر هذا كثيرة»(٢)، فلفظة «**بَيْنَ**» لا تقتضي المخالطة ولا المماسة والملاصقة لغة ولا عقلا ولا عرفا(٣).

○ قوله: «وقوله: «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا»»(٤)، فنؤمن من خلال هذا الحديث بأن الله ينزل، ولكن الله أعلم بكيفية النزول، كما سئل الإمام مالك في الاستواء فقال: «**الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، والكَيْفُ مَجْهُولٌ، والإيمانُ بِهِ وَاجِبٌ، والسُّؤَالُ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٥٤).
(٢) «التدمرية» (ص٧٣).
(٣) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٣٩٥).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب التَّهَجُّدِ، باب الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، رقم (١١٤٥)، ومُسْلِم، كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم (٧٥٨).

عَنْهُ بِدْعَةٌ»(١)، فنعتقد أن الله ينزل ولا نعلم كيف ينزل، فهو ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته ليس مثل نزول المخلوق، ومن اعتقد أن الله يكون بين طبقتين، وأن السماء تكون فوقه والأرض تحته فقد شبه الله بخلقه، والله تعالى لا يكون فوقه أحد من خلقه فهو فوق المخلوقات سبحانه وتعالى، وسقف المخلوقات ونهايتها عرش الرحمن والله تعالى فوق العرش.

○ قوله: **«وينزل يوم عرفة»**، كما جاء في الحديث عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ»**(٢)، وجاء في الحديث أنه يدنو من عباده فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: **«مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»**(٣).

○ قوله: **«ويوم القيامة»**، جاء في الحديث **«ثُمَّ يَنْزِلُ اللهُ وَتَجْثُوا الْأُمَمُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا تَرْضَوْنَ مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَأَمَرَكُمْ بِعِبَادَتِهِ...»**(٤)، وهذا يكون يوم القيامة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، رقم (٢٨٤٠)، وابن حبان في صحيحه، رقم (٣٨٥٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٧/ ٢٢٦/ ١٧٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٨٦/ ٧٥١).

(٣) أخرجه مُسْلِم، كتاب الحج، رقم (١٣٤٨).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٣٧/ ٨٤٢)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٢٠/ ١٢٠٣).

○ قوله: «وأنَّ جهنم لا تزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه»، المؤلف روى الحديث بالمعنى، ولفظ الحديث: «**لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ**»، وفي لفظ: «**حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ**»(١)، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ»(٢) وهذا فيه: إثبات القدم لله كما يليق بجلاله وعظمته، وإثبات الرجل لله ﷻ.

○ قوله: «وقول الله للعبد: «إن مشيت إلي هرولت إليك»»، وهذا الحديث رواه المؤلف بالمعنى، ولفظه قوله عليه الصلاة والسلام «يقول الله تعالى: **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(٣)، وهذا كما يليق بجلال الله وعظمته، ومن آثار هذه الصفة أن الله لا يقطع الثواب عن العبد حتى يقطع العبد العمل.

○ قوله: «وقوله: «إن الله خلق آدم على صورته»»، ولفظ الحديث «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**»(٤) أي: طول

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [قٓ: ٣٠]، رقم (٤٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤]، رقم (٧٣٨٤)، ومُسْلِم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٧٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، رقم (٦٢٢٧)، ومُسْلِم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨٤١).

آدم ستون ذراعاً، وهذا فيه إثبات الصورة لله ﷻ، وقوله: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» الضمير يعود إلى الله، لما جاء في الحديث الآخر: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**»(١)، وقال بعض الجهمية: إن الضمير يعود إلى آدم، ولهذا لما سأل عبدالله بن الإمام أحمد قال: قلت لأبي: خلق الله آدم على صورة آدم، قال: هذا قول الجهمية، وقيل: إن الضمير يعود إلى المضروب وهو الوجه فقد جاء في الحديث: قال: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»(٢)، وهذه أقوال باطلة.

والصواب: أن الضمير يعود إلى الله، وهذا فيه إثبات الصورة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته.

○ قوله: «**وقول النبي ﷺ: «إني رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»**»، وهذا ثابت، وقد جاء هذا الحديث في رؤيا النوم، ورؤيا الأنبياء وحي من الله ﷻ، قال النبي ﷺ: «**إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَثْقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؟ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لَا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ، وَفِي نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ...**»(٣) إلى آخر الحديث.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»، رقم (٥١٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١١٥٢/ ٧٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٣٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٦٤/ ٦٤٠).

(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم (٢٦١٢).

(٣) أخرجه الترمذي- كتاب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ ص، رقم (٣٢٣٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

○ قوله: «**وأشباه هذه الأحاديث فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى، لا تفسر شيئاً من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسر شيئاً من هذا بهواه أو رده فهو جهمي**»، والمقصود بالتفويض أن تفوض علم الكيفية ولا تفسر شيئاً منها بهواك، أما المعنى فهو معروف ولا نفوضه، ومن فسر شيئاً من الكيفية أو رده فهو جهمي.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٤٣] ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله.

الشرح

○ قوله: «**ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله**» وهذا ما يقوله بعض الصوفية، فبعضهم يزعمون أنهم يرون ربهم، وقالوا: إن كل شيء أخضر قد يكون الله منه، وقال بعض المشبهة ـ قاتلهم الله ـ وأكثرهم من غلاة الشيعة: إن الله يُرى في الدنيا، وإنه ينزل عشية عرفة على جمل، وإنه يعانق، ويصافح ويسامر، وهذا كله كفر وضلال.

ويقولون كذلك: إن الله على صورة الإنسان، وقال بعضهم: يبكي ويحزن ويندم، كما قالت اليهود قبحهم الله.

وغلاة الشيعة ـ كالبيانية الذين ينتسبون إلى بيان بن سمعان التميمي، والسالمية الذين ينتسبون إلى هشام بن سالم الجواليقي، وداود الجواربي ـ هؤلاء كفرة، فالله تعالى فوق العرش: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، وفي الحديث: «**إِنَّ الله يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالأَنْهَارَ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فَاطِر: ٤١]، رقم (٧٤٥١)، ومُسْلِم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (٢٧٨٦).

عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا المَلِكُ؟»(١)، وفي روايةٍ: «**ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**»(٢)، واتفق العلماء على أنه لا يراه أحدٌ في الدنيا، سواءٌ كان من الملائكة أو من غيرهم، فقد قال النبي ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: **النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٣)، فلا يحتمل أحد رؤيته، فقد احتجب الله عن خلقه بحجب، وقد جاء في بعض الآثار: أنها حجب من نار كما في الرواية السابقة، وقيل الحجب من ظلمات وماء(٤)، والله أعلم بها.

ولما طلب موسى أن يرى ربه في الدنيا قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وهو صخر أصم ولكنه تدهده ولم يصمد لرؤية الله، كما جاء فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى لَمَّا سَأَلَ الرُّؤْيَةَ: يَا مُوسَى إِنَّهُ لَا يَرَانِي حَيٌّ إِلَّا مَاتَ، وَلَا يَابِسٌ إِلَّا تَدَهْدَهَ**»(٥) ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي: غشي عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لكن في

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] (٤٨١٢)، ومُسْلِم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٧٩).

(٣) كما ذكر عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَم، أَنَّهُ «ذَكَرَ أَنَّ دُونَ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ، حِجَابٌ مِنْ ظُلْمَةٍ لَا يَنْفُذُهَا شَيْءٌ، وَحِجَابٌ مِنْ نُورٍ لَا يَنْفُذُهَا شَيْءٌ، وَحِجَابٌ مِنْ مَاءٍ لَا يَسْمَعُ حَسِيسَ ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْءٌ إِلَّا خُلِعَ قَلْبُهُ إِلَّا مَنْ يَرْبِطُ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ»، أخرجه ابن خزيمة في «التَّوْحِيدِ» (١/ ٥٠)، و البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٤/ ٨٥٦)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٦) «حَدِيثٌ لَا أَصْلَ لَهُ».

(٤) ذكره ابن تيمية في «منهاج السنة» (٢/ ٣٣٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٧٩).

يوم القيامة ينشئ الله المؤمنين نشأة قوية يتحملون فيها رؤية الله؛ ولأنها رؤية نعيم خاص بأهل الجنة.

وتنازع العلماء في رؤية نبينا ﷺ لربه، وذلك أنهم اختلفوا في رؤيته ﷺ ربَّهُ ليلة المعراج هل رأى ربَّهُ بعين رأسه أو رآه بعين قلبه؟، على قولين:

القول الأول: أن النبي ﷺ رأى ربَّهُ بعين رأسه، رُوِيَ هذا عن ابن عباس[(١)] والإمام أحمد[(٢)]، وأقرَّه جمع من أهل العلم، منهم: القاضي عياض[(٣)] [(٤)].

القول الثاني: أن النبي ﷺ لم يرَ ربَّهُ بعين رأسه، وإنما سمع كلامه من وراء حجاب، ورآه بعين قلبه، والرؤية بعين القلب تعني زيادة في العلم.

وجماهير الصحابة على أن النبي لم يرَربَّهُ ليلة المعراج[(٥)]

---

(١) أخرج مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النّجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النّجم: ١٣]قَالَ: «**رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ**».

(٢) **قال القاضي أبو يعلى:** «والرواية الأولى أصح، وأنه رآه في تلك الليلة بعينيه». «إبطال التأويلات» (ص١١١).

قال ابن القيم: «لم يقل أحمد رحمه الله تعالى إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة: «رآه»، ومرة قال: «رآه بفؤاده» فحُكِيت عنه روايتان، وحُكِيت عنه الثالثة من تصرف **بعض أصحابه** أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص **أحمد** موجودة ليس فيها ذلك». «زاد المعاد»(٣/ ٣٧).

(٣) انظر: كتاب «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٥٦)

(٤) انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم»(٣/ ٥).

(٥) حكى **إجماع الصحابة** على أنه لم يرَ ربه ليلة المعراج **عثمان بن سعيد الدارمي** في كتاب «الرؤية». انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية»لابن القيم (ص ١٢).

ومنهم: عائشة ﵂ في «الصحيحين» عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ ﵂: «يَا أُمَّتَاهْ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟»، فَقَالَتْ: «**لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ؛ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ؟!، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] **وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ** ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، **وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧] **الْآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ ﵇ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ**»(١).

وهذا هو الصواب الذي عليه المُحقِّقُون كشيخ الإسلام ابن تيمية(٢) وغيره، ويجمع بينهما بأن النصوص والآثار والأقوال لأهل العلم التي فيها أنه رآه تُحمل على أنه رآه بعين قلبه، والتي فيها أنه لم يره تُحمل على أنه لم يره بعين رأسه، وبذلك تجتمع الأدلة(٣)، فالنبي ﷺ لم يرَ ربه بعين رأسه، والأدلة في هذا كثيرة، من أصرحها ما رواه مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ «**هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟**»، **قَالَ**: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(٤) ومعناه: أن النور حجاب يمنعني من رؤيته سبحانه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (١)، رقم (٤٨٥٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٧).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٠، ٥١١).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٠٩).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٤٤] والفكرة في الله تبارك وتعالى بدعة؛ لقول رسول الله ﷺ: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الله».

فإن الفكرة في الرب تقدح الشك في القلب.

الشرح

المقصود هنا التفكر في ذات الله، فهو المنهي عنه، وليس المقصود التفكر في صفات الله وعظمته.

○ قوله: «**لقول الرسول ﷺ: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الله»**»، هذا الحديث أخرجه أبو الشيخ في كتابه العظمة، من حديث ابن عباس مرفوعاً، وإسناده ضعيف[(١)]، ولكن له شواهد أخرى[(٢)] وعلى هذا فيكون بشواهده حسناً لغيره[(٣)]، فلا يتفكر

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١/ ٢١٦) ولفظه: (تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدُرُونَ قَدْرَهَ).

(٢) له شاهد عند البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٢٠) عن ابن عباس موقوفا: «تفَكَّروا في كُلِّ شيء ولا تفكَّروا في اللهِ»، العرش وما رُوِي فيه، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ص٢٤٣)، بلفظ: «فكروا»، وراجع السلسلة الصحيحة للألباني (٤/ ٣٩٥ ـ ح ١٧٨٨). وعند أبي نعيم في الحلية (٦/ ٦٦ - ٦٧) عن عبدالله بن سلام مرفوعاً: «لا تفكَّروا في الله، وتفكروا في خلقِ الله»، وأخرجه اللالكائي في «السنة» (٩٢٧)، من حديث ابن عمر مرفوعاً: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله ﷻ».

(٣) قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٩٤): «موقوف وسنده جيد»، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ١٥٩): «وأسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح» انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٩٥/ ١٧٨٨).

الإنسان في ذات الله، وإنما يتفكر في علم الله الواسع وفي عظمته وفي قدرته؛ فالأمر كما قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإن الفكرة في الرب تقدح الشك في القلب**» فإذا جاءت الوساوس فعليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا يضره ذلك؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ**»[(١)]، أي: يقطع الوساوس، وينتهي ويفكر فيما ينفعه في أمور دينه ودنياه، وفي رواية لمسلم: «**فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**»[(٢)]، وعند أبي داود: «**فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ**»[(٣)].

فالوساوس التي ترد على الإنسان هي من الشيطان يريد أن يعذبه، فعليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقطع التفكير ويقول: آمنت بالله ورسله، فتزول هذه الوساوس بإذن الله.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٤٥] واعلم أن الهوام والسباع والدواب كلها، نحو الذر والذباب والنمل كلها مأمورة، لا يعملون شيئاً إلا بإذن الله تبارك وتعالى.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أن الهوام والسباع والدواب كلها، نحو الذر والذباب والنمل كلها مأمورة، لا يعملون شيئاً إلا بإذن الله تبارك وتعالى**» أي: لا يعملون أي عمل ولا أي حركة إلا بإذن الله وإرادته، فالمقصود العمل، فلا يتحرك أي مخلوق حركة ولا يعمل شيئاً إلا بإذن الله، والمراد: إذن الله الكوني القدري، فالهوام وغيرها لا يعملون إلا ما أذن الله لهم فيه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٤٦] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى قد علم ما كان من أول الدهر، وما لم يكن مما هو كائن، أحصاه الله وعدّه عداً، ومن قال: إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن الله تبارك وتعالى قد علم ما كان من أول الدهر، وما لم يكن مما هو كائن، أحصاه الله وعدّه عداً، ومن قال: إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم**» العلم صفة من صفات الله ﷻ فمن أنكر علم الله فهو كافر، وهو أول مراتب القدر الأربعة، وهو أن تؤمن بأن الله علم ما كان في الأزل ـ أي: في الماضي ـ ويعلم ما يكون في الوقت الحاضر، ويعلم ما سيكون في المستقبل، ويعلم المستحيل ـ أي: يعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون ـ قال الله تعالى عن الكفار لما طلبوا العودة إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وهذا علم الله بما لم يكن لو كان كيف يكون، وقال أيضاً عن الكفار: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال الله عن المنافقين الذين لم يخرجوا في غزوة تبوك: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة:

٤٦-٤٧] وهم ما خرجوا ولكن علم الله ما سيكون منهم لو خرجوا، فلا بد من الإيمان بعلم الله تعالى، ومن قال إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم؛ لأنه نسب الله ﷻ للجهل.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٤٧] ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وصداق قَلّ أو كثر، ومن لم يكن له ولي فالسلطان ولي من لا ولي له.

الشرح

○ قوله: «ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وصداق قَلّ أو كثر» الولي هو ولي المرأة وهو أبوها، ثم جدها، ثم ابنها، ثم ابن ابنها، ثم أخوها الشقيق، ثم أخوها لأب، ثم العم الشقيق، ثم العم لأب، ثم ابن العم الشقيق، ثم ابن العم لأب، ثم الحاكم بالترتيب، ولا بد من شاهدي عدل؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا يَحِلُّ نِكَاحٌ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَصَدَاقٍ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ**»(١)، فلا بد من أربعة أمور: ولي يعقد النكاح، وزوج يُعقد له النكاح، وشاهدين، ولا بد من صداق وهو المهر الذي يُدفع للمرأة قل أو كثر.

○ قوله: «ومن لم يكن له ولي فالسلطان ولي من لا ولي له»، فالتي ليس لها ولي تنتقل إلى السلطان، والسلطان يبعثها إلى الحاكم وهو القاضي، والقاضي يعقد النكاح للمرأة التي لا ولي لها، كما جاء في بعض روايات الحديث بلفظ «**وَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ**»(٢).

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٠٣/ ١٣٧٢٠)، وقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُنْقَطِعًا دُونَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ بِهِ».

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب النِّكَاحِ، باب لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، رقم (١٨٨٠).

فالمؤلف رحمه الله يرد على الرافضة الذين يجيزون نكاح المتعة؛ لأن نكاح المتعة لا يكون بولي وشاهدي عدل، ونكاحهم نكاح مؤقت، فيتفق الرجل مع المرأة وقد لا يتفق مع وليها، وكذلك الأحناف الذين يقولون: إنه يصح النكاح بدون ولي، وهو يشير إلى حديث: «**لَا يَحِلُّ نِكَاحٌ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَصَدَاقٍ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ**»[(١)] وفي الحديث الآخر «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**»[(٢)] وفي الحديث الآخر: «**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب في الولي، رقم (٢٠٨٣)، والترمذي واللفظ له، كتاب النكاح، رقم (١١٠٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وابنُ ماجَهْ، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، رقم (١٨٧٩)، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ».

(٣) أخرجه ابنُ ماجَهْ، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، رقم (١٨٨٢)، وقال ابن حجر في البلوغ (١/ ٢٩٨/ ٩٩٣): وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٤٨] وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً فقد حرمت عليه، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

الشرح

○ قوله: «وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً فقد حرمت عليه، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره» أي: حتى تنكح زوجاً آخر يدخل بها ويجامعها ثم يطلقها الثاني أو يموت عنها، فتحل للأول، لكن لو تزوجت رجلاً وطلقها قبل الدخول أو لم يدخل بها، بأن كان ممنوعاً ولم يجامعها فلا تحل للأول؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩]، ثم قال بعد ذلك: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٣٠] يعني: الثالثة، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٠]، فإذا أبقاها عنده بعد طلاق الثلاث فإن نكاحه يكون زنا والعياذ بالله؛ ولهذا ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ حكم الطلاق.

وثبت أن رفاعة القُرَظِيّ طلَّق امرأته ثم تزوجت رجلاً يقال له: عبدالرحمن بن الزَّبير، وقالت: يا رسول الله! إنما معه مثل هدبة الثوب، ـ يعني عندما يجامعها ـ فَقَالَ: النبي ﷺ: «**أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لَا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ**»(١)،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة المختبي، رقم (٢٦٣٩)، ومُسْلِم، كتاب النكاح، رقم (١٤٣٣).

يعني: الجماع، فدل على أن المرأة المطلقة ثلاثاً لا تحل حتى تنكح زوجاً آخر ويجامعها ثم يطلقها أو يموت عنها، وبشرط ألا يكون محللاً، فإن اتفق مع الزوج أو مع الزوجة على أن يحلل له فهو ملعون، وهو التيس المستعار، ولا تحل للزوج الأول؛ لقول النبي ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**»(١)، وسماه النبي ﷺ التيس المستعار، كما جاء في الحديث: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ**»(٢)، فلا بد أن تنكح زوجاً آخر نكاح رغبة لا نكاح تحليل، ولا بد أن يجامعها ثم يطلقها أو يموت عنها، فحينئذ تحل للأول.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب في التحليل، رقم (٢٠٧٦)، وابنُ ماجه، كِتَابُ النكاح، باب الْمُحَلِّلِ وَالْمُحَلَّلِ لَهُ، رقم (١٩٣٦).

(٢) أخرجه ابنُ ماجه، كتاب النكاح، باب الْمُحَلِّلِ وَالْمُحَلَّلِ لَهُ، رقم (١٩٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢٨٠٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٤٩] ولا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمداً رسول الله عبده ورسوله إلا بإحدى ثلاث: زانٍ بعد إحصان، أو مرتدٍ بعد إيمان، أو قتل نفساً مؤمنةً بغير حق فيقتل به، وما سوى ذلك فدم المسلم على المسلم حرام أبداً، حتى تقوم الساعة.

الشرح

○ قوله: «ولا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمداً رسول الله عبده ورسوله إلا بإحدى ثلاث» يشير المؤلف إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»(١)، فنفس المسلم معصومة إلا إذا ارتكب واحدة من هذه الثلاث.

○ قوله: «زانٍ بعد إحصان» والإحصان هو الزواج، فالمحصن هو الذي تزوج في عمره ولو مرة واحدة زواجا وطئ فيه(٢)، فإذا

(١) انظر: «المطلع» (ص٤٥٣)، و«المصباح المنير» (١/ ١٣٩).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٧).

زنى ولو لم يكن معه زوجة فيسمى محصناً، فإذا زنى فإنه يُرجم بالحجارة حتى يموت، أما إذا زنى وهو بكر ولم يتزوج أو تزوج ولم يطأ فإنه يجلد مائة جلدة ويغرب عاماً عن البلد.

○ قوله: «**أو مرتدٍ بعد إيمان**»: وهو التارك لدينه المفارق للجماعة، فإذا ارتد المسلم فإنه يقتل لقول النبي ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١).

○ قوله: «**إذا قتل نفساً مؤمنة بغير حق فيقتل به**»، فهذه الثلاث إذا ارتكب المسلم واحدة منها أحل دمه، وما عدا ذلك فهو معصوم الدم والمال؛ كما قال المؤلف: «**وما سوى ذلك فدم المسلم على المسلم حرام أبداً، حتى تقوم الساعة**».

(١) أخرجه البخاري، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٠] وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنة والنار، والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور، ليس يفنى شيء من هذا أبداً، ثم يبعث الله الخلق على ما ماتوا عليه يوم القيامة، فيحاسبهم بما شاء، فريق في الجنة وفريق في السعير، ويقول لسائر الخلق ممن لم يُخلق للبقاء: كونوا تراباً.

الشرح

○ قوله: «وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى»، لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦-٢٧]؛ ولقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القَصَص: ٨٨]؛ ولقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥]؛ ولقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠-٣١].

○ قوله: «**إلا الجنة والنار، والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور، ليس يفنى شيء من هذا أبداً**» فكل شيء يفنى ممن أوجب الله علية الفناء إلا الأشياء التي كتب الله لها البقاء، وهي ثمانية أشياء، ذكر المؤلف منها سبعة وهي: الجنة والنار، فهما دائمتان

مخلوقتان لا تفنيان، والعرش والكرسي، واللوح والقلم والصور، والمقصود بالصور الأرواح إذا خرجت، وذلك أنها إذا خرجت روح الميت نقلت إلى الجنة ولها صلة بالجسد، وروح الكافر تنقل إلى النار ولها صلة بالجسد، والبدن يفنى ويدخل التراب ثم يعيده الله خلقاً جديداً ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور فتعود الأرواح إلى أجسادها مرة أخرى، فالأرواح باقية إما في نعيم أو في عذاب، والشيء الثامن الذي لا يفنى هو عجب الذنب وهو آخر فقرة في العمود الفقري، فقد جاء في الحديث: «**كُلَّ ابنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التَّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(١)، ولهذا يقول العلماء:

ثَمَانِيَة حُكْمُ الْبَقَاء يعمها ... من الْخلق وَالْبَاقُونَ فِي حيّز الْعَدَم

هِيَ الْعَرْش والكرسي ونار وجنة ... وَعجب وأرواح كَذَا اللَّوْح والقلم(٢)

وهذه الأشياء باقية بإبقاء الله لها، والجهم بن صفوان يرى أن الجنة والنار تفنيان، وقد أنكر عليه أهل السنة وبدّعوه وضللوه وكفروه.

○ قوله: «**ثم يبعث الله الخلق على ما ماتوا عليه يوم القيامة**»، جاء في الحديث: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»(٣)، فمن مات على الخير يُبعث على الخير، ومن مات على الكفر يُبعث على الكفر، وجاء في الأثر: «**أن الله يحاسب الخلائق في وقت واحد**»(٤)، لا يلهيه شأن عن شأن فيحاسبهم في وقتهم كما أنه

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٥٥).
(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية (ص٩٦).
(٣) أخرجه مُسْلِم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨٧٨).
(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وعزاه لابن عباس رضي الله عنهما كما في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ١٣٠)، وقال السجزي في رسالته (١/ ٢٥٧): «وقد اتفقت العلماء على أن الله سبحانه يتولى الحساب بين خلقه يوم القيامة في حالة واحدة».

يخلقهم ويرزقهم ويعافيهم ويجيب سؤالهم في وقت واحد، لكن المخلوق ضعيف، فلو كلمك اثنان أو ثلاثة أو كلمتهم لما استطعت، ولكن الله ﷻ يفرغ من حسابهم بقدر منتصف النهار، ثم ينتقل أهل الجنة إلى الجنة في وقت القيلولة ويقيلون فيها، قال الله ﷻ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفُرقان: ٢٤].

○ قوله: «**فيحاسبهم بما شاء، فريق في الجنة، وفريق في السعير، ويقول لسائر الخلق ممن لم يخلق للبقاء: كونوا تراباً**» جاء في الحديث: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(١)، أي: إذا كانت الشاة التي لها قرون نطحت أختها التي ليس لها قرون، فتأخذ حقها منها، كما في الحديث: «**يُحْشَرُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمُ، وَالدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللهِ أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا فَذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ** ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ [النّبَإ: ٤٠]»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَام بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، رقم (٣٢٣١)، وقال: «وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ».

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥١] والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم، بني آدم والسباع والهوام، حتى للذرة من الذرة، حتى يأخذ الله لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة، وأهل الجنة بعضهم من بعض، وأهل النار بعضهم من بعض.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم، بني آدم والسباع والهوام، حتى للذرة من الذرة**» وهذا مما يجب الإيمان به، وأن الله تعالى يقتص للخلائق بعضهم من بعض، سواء من بني آدم ومن غير بني آدم ومن السباع والهوام، وحتى للذرة من الذرة إذا اعتدت عليها فيأخذ الله ﷻ لبعضهم من بعض، وفي الحديث: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَّاءِ هِرَّةٍ لَهَا، أَوْ هِرٍّ، رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُرَمْرِمُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا**»(١)، فالعدوان على الحيوانات فيه إثم، والمرأة دخلت النار بسبب هرة اعتدت عليها وربطتها حتى ماتت جوعاً، فيجب على المسلم أن يؤمن بالقصاص يوم القيامة، وأن الله تعالى يقتص للمظلوم من الظالم سواء كان من بني آدم أو من السباع والهوام

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٨٢)، ومُسْلِم واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٦١٩).

يأخذ الله ﷻ لبعضهم من بعض، **حتى يأخذ لأهل النار من أهل الجنة**، فإذا كان هناك حق لواحد من أهل النار على واحد من أهل الجنة فإنه سيأخذ حقه منه، فاليهودي والنصراني غير الحربي مثلاً لا يجوز قتله ولا أخذ ماله بغير حق؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**»[(١)] فدمه معصوم، فإذا اعتدى مسلم عليه فقتله أو أخذ ماله أو سرق منه، أو اقترض منه قرضاً ولم يعطه حقه فإن المعاهد يقتص من المسلم يوم القيامة، وكذا إذا كان ذميًا وليس بيننا وبينه حرب فهو معصوم الدم والمال لا يجوز قتله ولا يجوز أخذ ماله، أما إذا كان الكافر محاربًا فإنه حلال الدم والمال.

○ قوله: «**حتى يأخذ الله لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة، وأهل الجنة بعضهم من بعض، وأهل النار بعضهم من بعض**»، كل يأخذ حقه ممن اعتدى عليه سواء من أهل النار أو من أهل الجنة، ولهذا إذا تجاوز المؤمنون الصراط أوقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، كما في الحديث: «**إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ**»[(٢)]، وقد قيل إنها طرف الصراط[(٣)]، فيقتص لأهل الجنة بعضهم من بعض، وكل واحد يأخذ حقه قبل أن يدخل

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجِزْيَةِ، باب إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ، رقم (٣١٦٦).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، باب قصاص المظالم، رقم (٢٤٤٠).
(٣) أشار إلى هذا الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه للحديث (٥/ ٩٦).

الجنة، فإذا اقتص بعضهم من بعض نزع الله الغل من صدورهم، ودخلوا الجنة في غاية من الصفاء وغاية من سلامة الصدور، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٢] وإخلاصُ العملِ لله.

الشرح

○ قوله: «وإخلاصُ العملِ لله» يجب إخلاص العمل لله، وهذا شرط في صحة العمل، فلا يصح أي عمل إلا بالإخلاص، فإذا لم يخلص الإنسان عمله لله صار مشركاً، وفي الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه يقول الله تعالى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[(١)] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] فالعمل لا يصح **إلا بشرطين**:

الشرط الأول: أن يكون خالصاً لله فإن لم يكن خالصاً صار شركاً.

الشرط الثاني: أن يكون صواباً على هدي وسنة رسول الله، فإن لم يكن صواباً صار بدعة.

وقد جمع الله بين هذين الشرطين في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهذا شرط الصواب، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] وهذا الإخلاص، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُسْلِمْ

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم (٢٩٨٥).

وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] وإسلام الوجه هو إخلاص العمل لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وهو أن يكون العمل صواباً موافقاً للشرع، ودل على الإخلاص أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١)، ودل على صواب العمل قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، وفي لفظ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**»(٣)

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مُسْلِم، كتاب الأقضية،، رقم (١٧١٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٥٣] والرضى بقضاء الله.

[٥٤] والصبر على حكم الله.

[٥٥] والإيمان بما قال الله عَزَّ وَجَلَّ.

[٥٦] والإيمان بأقدار الله كلها، خيرها وشرها، وحلوها ومرها، قد علم الله ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، لا يخرجون من علم الله، ولا يكون في الأرضين ولا في السماوات إلا ما علم الله عَزَّ وَجَلَّ.

الشرح

○ قوله: «والرضى بقضاء الله» يستحب للإنسان أن يرضى بقضاء الله، ويجب أن يصبر على حكم الله، والصبر عند المصيبة معناه: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عما يغضب الله، وهذا هو الواجب، فلا يلطم الإنسان خداً ولا يشق ثوباً ولا ينتف شعراً، وهذا من النياحة، فالصبر على أقدار الله واجب، أما الرضا فهو مستحب.

ويجب الأخذ بما أمر الله تعالى به، والإيمان بشرع الله ودينه، والإيمان بالأوامر والنواهي، ويرون أيضا الإيمان بأقدار الله كلها، خيرها وشرها، وحلوها ومرها.

والإيمان بالقدر له أربع مراتب لا بد منها:

المرتبة الأولى: العلم، فنؤمن بأن الله علم كل شيء، فعلم الأشياء قبل كونها في الأزل، وعلم ما يكون منها في المستقبل والحاضر، وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ۝١٢﴾ [يس: ١٢] وهو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢]، وفي الحديث: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(١).

المرتبة الثالثة: الإيمان بإرادة الله الشاملة لكل شيء، فكل شيء في هذا الوجود شاء الله وجوده.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد، نؤمن بأن الله خلق كل شيء، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢].

○ قوله: «**قد علم الله ما العباد عاملون**» وهذه هي المرتبة الأولى مرتبة العلم.

○ قوله: «**وإلى ما هم صائرون لا يخرجون من علم الله**» فقد علم الله ما العباد عاملون في المستقبل، وإلى ما هم صائرون في الآخرة إما إلى جنة أو إلى النار.

○ قوله: «**ولا يكون في الأرضين ولا في السموات إلا ما علم الله ﷻ**» قال الله تعالى: ﴿۞ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْقَدَرِ، رقم (٢٦٥٣).

وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وهو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرّعد: ٨].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٥٧] وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

الشرح

○ قوله: «وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك» وهذا من الإيمان بالقدر، ولا يجد الإنسان طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ لأن الله قدر ذلك، كما في الحديث: «**مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»(١).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٥٨] ولا خالق مع الله.

الشرح

○ قوله: «ولا خالق مع الله»؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، فمن قال إن هناك خالقاً مع الله فهو مشرك، وقد أشرك في ربوبية الله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٥٩] والتكبير على الجنائز أربع، وهو قول: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والحسن بن صالح، وأحمد بن حنبل، والفقهاء، وهكذا قال رسول الله.

الشرح

○ قوله: «والتكبير على الجنائز أربع، وهو قول: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والحسن بن صالح، وأحمد بن حنبل، والفقهاء، وهكذا قال رسول الله» ثبت في الصحيحين: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى المُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ**»(١)، وهذا هو قول جمهور العلماء، فهم يرون أن التكبير على الجنائز أربع تكبيرات، ومن العلماء من أجاز خمس تكبيرات أو ستاً أو سبعاً، وقد ثبت أن النبي كبر على بعض الجنائز خمس تكبيرات، كما جاء في الحديث أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، كَانَ يُكَبِّرُ عَلَى جَنَائِزِنَا أَرْبَعًا، وَأَنَّهُ كَبَّرَ عَلَى جِنَازَةٍ خَمْسًا، فَسَأَلُوهُ؟ فَقَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَبِّرُهَا، أَوْ كَبَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ**»(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ التكبير على الجنازة أربعا، رقم (١٣٣٣)، ومُسْلِم، كتاب الجنائز، رقم (٩٥١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»، رقم (١٩٢٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٧٤)، وضعف إسناده ابن عبدالبر في التمهيد (٦/ ٣٣٦).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان لبعض الصحابة وغيرهم خلاف في أن التكبير المشروع خمس أم أربع أم غير ذلك ثم انقرض ذلك الخلاف وأجمعت الأمة الآن على أنه أربع تكبيرات بلا زيادة ولا نقص»[(١)] وهو الاقتصار على أربع تكبيرات.

(١) «المجموع للنووي» (٥/ ٢٣٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٦٠] والإيمان بأن مع كل قطرة ملكاً ينزل من السماء حتى يضعها حيث أمره الله ﷻ.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن مع كل قطرة ملكاً ينزل من السماء، حتى يضعها حيث أمره الله ﷻ**» جاء هذا في بعض الآثار(١)، وذلك أن الله تعالى وكل بالقطر ملكاً وهو ميكائيل، وجبريل موكل بالوحي، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، فهؤلاء الأملاك الثلاثة هم رؤساء الملائكة وهم مقدمون عليهم؛ ولهذا توسل النبي ﷺ بربوبية الله لهؤلاء الأملاك الثلاثة في حديث عائشة أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل استفتح بهذا الاستفتاح: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(٢).

قال العلماء: توسل النبي ﷺ بربوبية الله لهؤلاء الأملاك الثلاثة؛ لأن كل ملك موكل بما فيه الحياة:

الأول: جبريل، موكل بالوحي الذي فيه حياة القلوب

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٢)، وتفسير البغوي (٤/ ٣٧٥)، وابن كثير (٨/ ٩).
(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم (٧٧٠).

والأرواح.

الثاني: ميكائيل، موكل بالقطر والمطر الذي فيه حياة الأبدان والنبات والحيوان.

الثالث: إسرافيل، موكل بالنفخ في الصور الذي فيه إعادة الأرواح إلى أجسادها، فتعود الحياة إلى الأجسام.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦١] والإيمان بأن النبي ﷺ حين كلم أهل القليب يوم بدر، أن المشركين كانوا يسمعون كلامه.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن النبي حين كلم أهل القليب يوم بدر، أن المشركين كانوا يسمعون كلامه**» وهذا ثابت في الصحيحين، وأهلَ القليب هم الكفرة الذين قُتلوا يوم بدر وسُحبوا بعد موتهم، وأُلقوا في بئر بعد أن ظهر نتنهم، فجاءهم النبي ﷺ وناداهم بأسمائهم فقال: «**يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**» **فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ»**(١) أي: في بئر هناك.

فلا بد أن يؤمن الإنسان بأن النبي ﷺ حين كلَّم أهلَ القليب يوم بدر ـ أي المشركين ـ أنهم كانوا يسمعون كلامه، وهذا مستثنى من كون الميت لا يسمع، فالأصل أن الميت لا يسمع، قال الله

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم (٣٩٧٦)، ومُسْلِم واللفظ له، كتاب صفة القيامة والنار، رقم (٢٨٧٤).

تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢] فالميت لا يسمع إلا ما دل الدليل على أنه يسمع، وكذلك ما ورد أن الميت إذا دفنه المشيعون له وتولوا عنه فإنه يسمع قرع نعالهم إذا تولوا، كما في الحديث: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ....**» الحديث(١) فهذا سماع خاص، وكذلك ثبت أنه يشرع أن يُسلم على الميت، كما ثبت أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**»(٢) وثبت أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»(٣)، وما عدا ذلك فالأصل أن الميت لا يسمع كلام الناس ولا يدري عن أعمال الناس ولا عن أحوالهم.

■ **مسألة: في كلام المصنف: «والإيمان بأن النبي حين كلم أهل القليب يوم بدر، أن المشركين كانوا يسمعون كلامه»، فما الجواب عن تأويل عائشة رضي الله عنها حين أولت السماع بالعلم؟**

• **الجواب:** عائشة رضي الله عنها أنكرت هذا ووهَّمت بعض الصحابة، وهي التي غلطت ووهمت رضي الله عنها، والأحاديث ثابتة في هذا، كما أنها أنكرت أيضاً أن يعذب الميت ببكاء أهله عليه، ووهَّمت عمر رضي الله عنه

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ الجنائز، باب الميت يسمع حفق النعال، رقم (١٣٣٨)، ومُسْلِم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨٧٠).
(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب الطَّهَارَةِ، رقم (٢٤٩).
(٣) أخرجه أبو داود، كِتَابُ المناسك، باب زيارة القبور (٢٠٤١)، وجوَّد العراقي سنده في «تخريج الإحياء» (٢/ ٧٦٤)، وقال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٨٨): رواته ثقات.

في رواية الحديث، فَقَالَتْ: رَحِمَ اللهُ عُمَرَ، وَاللهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُعَذِّبُ المُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَيَزِيدُ الكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»، وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ القُرْآنُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤][(١)]، وهذا من اجتهادها رضي الله عنها وأوهامها.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب بَابُ قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته، رقم (١٢٨٨)، ومُسْلِم، كتاب الجنائز، رقم (٩٢٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٢] والإيمان بأن الرجل إذا مرض يأجره الله على مرضه.

الشرح

○ قوله: «والإيمان بأن الرجل إذا مرض يأجره الله على مرضه»

لا بد من الإيمان بأن الإنسان إذا مرض فإن الله يأجره على مرضه؛ لقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**»(١)، فالمرض كفارة للذنوب، والأمراض تحط الخطايا عن المسلم كما تحط الشجرة ورقها، وثبت أن النبي ﷺ لما مرض في حياته أصابه وعك شديد من حمى فجاءه بعض الصحابة فقال: «**إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»(٢).

فالمرض والمصائب والهموم والأسقام: كفارات، ولما نزل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا

(١) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم (٥٦٤٠)، ومُسْلِم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، رقم (٥٦٤٨)، ومُسْلِم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٧١).

﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٢٣] قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! كل شيء نعمله نجزى به؟ إذاً هلكنا، فقال النبي ﷺ: «**غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟**» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «**فَهُوَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ**»(١)، وهذه من الآيات التي فسرها النبي ﷺ.

ومن الآيات التي فسرها النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]، فجاء الصحابة وجثوا على ركبهم وقالوا: يا رسول الله! أينا لم يلبس إيمانه بظلم ـ ظنوا أن الظلم هو المعاصي ـ فقال النبي ﷺ: «**لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]»(٢) فالمراد بالظلم: الشرك.

وتفسير الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وحدوا، ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾: لم يخلطوا، ﴿إِيمَٰنَهُم﴾: توحيدهم، ﴿بِظُلۡمٍ﴾ أي: بشرك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، رقم (٦٨)، وابن حبان، رقم (٢٩١٠)، والحاكم في المستدرك، رقم (٤٤٥٠)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النِّسَاء: ١٢٥]، رقم (٣٣٦٠)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١٢٤).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٣] والشهيد يأجره على القتل.

الشرح

○ قوله: «**والشهيد يأجره على القتل**» لا شك أن الشهيد يأجره الله على القتل، وأجره عظيم، فقد جاء في الحديث أن الشهيد يكفر الله خطاياه إلا الدين، كما في الحديث: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا الدَّيْنَ**»(١)، وإن قتل في سبيل الله لم يصب من شدة وألم الموت إلا كما تصيب الإنسان حر القرصة، كما في الحديث «**مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ**»(٢)، والشهيد يأمن من الفتن في قبره، قيل لرسول الله: **مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»**(٣) والشهيد يجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة، كما في الحديث «**كُلُّ عَمَلٍ مُنْقَطِعٌ عَنْ صَاحِبِهِ إِذَا مَاتَ، إِلَّا**

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي، فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، رقم (١٦٦٨)، والنسائي، كتاب الجهاد، ما يجد الشهيد من الألم، رقم (٣١٦١)، وابنُ ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم (٢٨٠٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب الشهيد، رقم (٢٠٥٣)، وقال في كنز العمال (٤/٥٩٦) «سنده صحيح».

الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

فالمسلم لابد أن يعتقد أن الشهيد يؤجر، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]. وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥-٩٦] فللمجاهدين والشهداء فضل عظيم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٤] والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون، وذلك أن بكر ابن أخت عبدالواحد قال: لا يألمون، وكذب.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون**» لا شك أن الأطفال يتألمون، والله تعالى له الحكمة البالغة في كون الأطفال يتألمون، وكذلك الحيوانات تألم، وهي غير مكلفة، فللَّه الحكمة في ذلك، ومن الحكم أن والد الطفل يُبتلى بطفله الذي يمرض أو الذي يموت، فهل يصبر أو يتسخط، كما في الحديث: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الجَنَّةُ**»[١].

○ قوله: «**وذلك أن بكر بن أخت عبدالواحد قال: لا يألمون، وكذب**»، وتنسب إليه فرقة البكرية[٢]، وهو من رؤوس المبتدعة، ونسبه ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الخوارج، وقال: «ومن حماقاتهم قول

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، رقم (٦٤٢٤).

(٢) انظر: «الفرق بين الفرق» (١/١٦)، و«التبصير في الدين» (١/١٠٩)، و«لسان الميزان» (٢/٦٠)، و«الفصل في الملل والنحل»، لابن حزم (٤/١٤٦).

عبدالله بن عيسى تلميذ بكر بن أخت عبدالواحد بن زيد المذكور فإنه كان يقول إن المجانين والبهايم والأطفال مالم يبلغوا الحلم فإنهم لا يألمون البتة لشيء مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلك أن الله تعالى لا يظلم أحدا»، وقال: «لعمري لقد طرد أصل المعتزلة، وأن من خالفه في هذا لمتلوث في الحماقة متسكع في التناقض»[(١)]، والمقصود أن قول بكر بن أخت عبدالواحد لا أصل له؛ وهو كاذب في قوله إنهم لا يألمون، فكما أن الكبير يألم فالصغير كذلك يألم.

(١) «الفصل في الملل والنحل لابن حزم» (٤/١٤٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٥] واعلم أنه لا يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله، ولا يعذب اللهُ أحداً إلابذنوبه، بقدر ذنوبه، ولو عذب الله أهل السموات وأهل الأرضين برهم وفاجرهم، عذبهم غير ظالم لهم، لا يجوز أن يقال لله تبارك وتعالى: إنه يظلم، وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له، والله جل ثناؤه له الخلق والأمر، الخلق خلقه، والدار داره، لا يُسئل عما يفعل بخلقه، ولا يقال: لم وكيف؟ لا يدخل أحد بين الله وبين خلقه.

الشرح

○ قوله: «واعلم أنه لا يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله»، كما في «الصحيحين» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ**»، قَالُوا: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**»(١)، **فدخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله والأعمال سبب، كما قال الله تعالى:** ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢] أي: بسبب عملكم، فمن أتى بالسبب نالته الرحمة، ومن لم يأت بالسبب لم تنله رحمة الله ولم يدخل الجنة، وسبب الرحمة: التوحيد والإيمان، فتكون الآية أثبتت السبب،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «القصد والمداومة على العمل»، رقم (٦٤٦٧)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨١٨).

والحديث نفى دخول الجنة بالعمل بل برحمة الله، والآية أثبتت سبب الرحمة وهو العمل، فدخول الجنة بالسبب،وعلى هذا ليس بينهما تناقض(١)؛ وليس كما تقول المعتزلة: إن المؤمن يستحق الثواب على الله كما يستحق الأجير أجرته، وهذا قول باطل، فدخول الجنة برحمة الله، والسبب هي الأعمال الصالحة والتوحيد.

فالحديث فيه: ردٌّ على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه، والآية فيها: ردٌّ على الجبرية الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائها.

○ قوله: «**ولا يعذب الله أحداً إلا بذنوبه، بقدر ذنوبه**»؛ لأن الله تعالى أخبر بذلك، فلا يظلم الله ﷻ أحداً؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النِّسَاء: ٤٠].

○ قوله: «**ولو عذب الله أهل السماوات وأهل الأرضين برهم وفاجرهم عذبهم غير ظالم لهم**» هذا مأخوذ من حديث النبي ﷺ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**»(٢)، والمعنى أن الله لو وضع عدله في أهل سماواته، وأهل أرضه، وحاسبهم على أعمالهم وعلى نعمه عليهم لصاروا مدينين له، وحينئذ لو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم، فلو يُحاسب الإنسان بنعم الله عليه وعمله فإنه يكون مديناً وحينئذ يُعذب؛ لأن نعمة البصر قد تعدل عمل الإنسان كله فينتهي العمل فيعذب، لكنه سبحانه يحاسبهم بأعمالهم.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ٢١٧)، و(٨/ ٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب في القدر، رقم (٤٦٩٩)، وابنُ ماجه: المقدمة، رقم (٧٧).

○ قوله: «لا يجوز أن يقال عن الله تبارك وتعالى إنه يظلم»، فالظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وهذا هو التعريف الصحيح لا كما عرفه الجبرية، والله تعالى حرم الظلم على نفسه، ولم يحرمه عليه أحد؛ لأنه ليس فوقه أحد، كما أنه كتب على نفسه الرحمة، ولم يكتبها عليه أحد، وقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه القدسي يقول الله تعالى: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»[(١)].

والظلم يَقدر عليه الله، لكنه تنزه عنه، فلا يقال: إنه لا يقدر عليه؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾ [غافر: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢﴾ [طه: ١١٢]، ولو كان الظلم غير مقدور له لما أمّن الإنسان من خوف الظلم.

وقالت الجبرية من الأشاعرة والجهمية: إن الظلم هو الممتنع المستحيل الذي لا يدخل تحت قدرة الله كالجمع بين النقيضين، فالظلم لا يقدر عليه الله؛ لأنه ممتنع عندهم، وقالوا: الظلم هو تصرف المالك في غير ملكه أو مخالفة الآمر للمأمور، وهل هناك شيء يخرج عن ملك الله؟ فلو فعل أي شيء لا يكون ظلماً.

وقالت الجبرية: يجوز لله أن يقلب التشريعات والجزاءات، فيجعل العفة محرمة والزنا واجباً والعياذ بالله، ويجوز على الله أن يُحمّل الأبرار والأنبياء أوزار الفجار والكفار ويعذبهم ولا يكون ظالماً لهم؛ لأنه تصرف في ملكه، وهذا من أبطل الباطل، فالله تعالى حرَّم الظلم على نفسه وهو قادر على الظلم، ولو كان غير قادر

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٧٧).

على الظلم فما الفائدة من التحريم؟

○ قوله: «وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له» هذا الكلام يتماشى مع مذهب الجبرية القائلين بأن الظلم تصرف المالك في غير ملكه.

والصواب الذي عليه أهل السنة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأن الله تعالى لا يظلم لكمال عدله لا لعجزه، وقد حرمه على نفسه.

وكان ينبغي على المؤلف رحمه الله أن يقرر مذهب أهل السنة والجماعة ويقول: وإنما يظلم من يضع الشيء في غير موضعه؛ كأن يحمل أحداً وزر غيره أو يمنعه من حقه.

فلابد لطالب العلم أن يفرق بين مذهب أهل السنة في الظلم وبين مذهب الجبرية.

○ قوله: «والله جل ثناؤه له الخلق والأمر، الخلق خلقه، والدار داره» فإذا تصرف فيهن بما يشاء فلا يكون ظلماً.

○ قوله: «لايُسأل عما يفعل بخلقه» لكمال عدله ولكونه حكيماً عادلاً، والجبرية يقولون: لا يسأل عما يفعل لكونه يتصرف في القدرة والمشيئة وينكرون الحكمة.

○ قوله: «ولا يقال: لم؟ وكيف؟» لا يقال لم في أفعال الله، ولا يعترض أحد على الله، فلا يقال: لم فعل كذا، ولا يقال: كيف في الصفات.

○ قوله: «لا يدخل أحد بين الله وبين خلقه» مثل ما تقدم من أنه (ولا يقال: لم في الأفعال، ولا كيف في الصفات، وأن الله عز وجل: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٦٦] وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار (ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ) فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل رديء القول والمذهب، وإنما طعن على رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنه إنما عَرفنا الله وعرفنا رسول الله ﷺ وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن.

الشرح

○ قوله: «**إذا سمعت الرجل يطعن على الآثارولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله فاتهمه على الإسلام**» وهي: الأحاديث والآثار عن الصحابة وعن التابعين ومن بعدهم، فإذا سمعت رجلاً يطعن في الأحاديث وفي أخبار الصحابة والتابعين ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام، فإنه مشكوك في إسلامه؛ لأن هذا دليل على ضعف إسلامه؛ «**فإنه رجل رديء القول والمذهب**» أي: مذهبه ضعيف.

○ قوله: «**وإنما طعن على رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنه إنما عرفنا الله، وعرفنا رسول الله، وعرفنا القرآن، وعرفنا الخير والشر، والدنيا والآخرة بالآثار**»، بين المؤلف ما هو السبب في ذلك فقال: لأننا عرفنا كل هذا بالآيات القرآنية والأحاديث والآثار، وعرفنا

الخير ـ وهو التوحيد وسائر الطاعات ـ من القرآن ومن السنة ومن الآثار، وعرفنا الشر ـ وهو الشرك والمعاصي ـ من القرآن ومن السنة، وعرفنا الآخرة بالقرآن وبالسنة، فالذي يطعن في الآثار ـ وهي النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والصحابة ـ فهو رجل رديء القول والمذهب ضعيف الإيمان؛ لأنه حينما يطعن في الآثار إنما طعن في الرب، وطعن في الرسول، وطعن في القرآن؛ لأن النصوص إنما هي من كلام الله وكلام رسوله، وهذه علامة على الشخص المتهم في دينه، وهي الطعن في النصوص وردها وعدم قبولها.

○ قوله: «فإن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن»

أي: أن القرآن يحتاج إلى إيضاح، والذي يوضح معاني القرآن هي السنة، فتخصص عموم القرآن وتقيد مطلقه، وهذا القول مأثور عن مكحول الشامي رحمه الله قَالَ: «الْقُرْآنُ أَحْوَجُ إِلَى السُّنَّةِ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ»(١)، ومشهور عن الأئمة، فقد قَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَسُئِلَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَى أَنَّ السُّنَّةَ قَاضِيَةٌ عَلَى الْكِتَابِ، فَقَالَ: «مَا أَجْسُرُ عَلَى هَذَا أَنْ أَقُولَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّ السُّنَّةَ تُفَسِّرُ الْكِتَابَ وَتُبَيِّنُهُ»(٢)، أي: لا ينبغي أن يقال إن السنة قاضية على الكتاب فهذه كلمة صعبة، لكن نقول: السنة مفسرة وموضحة ومبينة للقرآن، ولمعانيه، ومخصصة لعمومه، ومقيدة لمطلقه، وهذا هو الصواب، لموافقته قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ

---

(١) أخرجه المروزي في «السنة» (١/ ٣٣/ ١٠٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٨٨)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩٤).

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩٤)، والخطيب البغدادي في «الكفاية في علم الرواية» (١/ ١٤).

إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، وأما قَولُ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: «السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْكِتَابِ، وَلَيْسَ الْكِتَابُ قَاضِيًا عَلَى السُّنَّةِ»[1]، أي: تبين وتوضح وتفسر معناه، وتقيد مطلقه، وتخصص عمومه، والسنة وحي ثان، فمن قال: إنه لا حاجة إلى السنة وأنكرها فقد كفر؛ قال الله تعالى عن نبيه الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: ٣-٤].

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٢٥٣)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩٤)، والخطيب البغدادي في «الكفاية في علم الرواية» (١/ ١٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٧] والكلام والجدال والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء، وتسكت عما سوى ذلك.

الشرح

○ قوله: «الكلام والجدال والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق» أي أن على الإنسان أن يسلم لقضاء الله وقدره وليس له أن يخوض ويجادل ويخاصم في القدر؛ فإن الخصومة في القدر تؤدي إلى التشكيك والاعتراض على قضاء الله وقدره، وهذا يؤدي إلى إنكار القضاء والقدر، والشك في قضاء الله وقدره، وإنكاره كفر.

○ قوله: «لأن القدر سر الله»؛ قال يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْرَحَ بِاللهِ وَيَتَمَتَّعَ بِعِبَادَةِ اللهِ فَلَا يَسْأَلَنَّ عَنْ سِرِّ اللهِ يَعْنِي الْقَدَرَ»(١)، ولهذا قال الطحاوي في عقيدته الطحاوية: «وأصل القدر

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣/ ٢٤٣/ ١٢٨٢)، وروي بنحوه عن علي رضي الله عنه، أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤/ ١٤٠/ ١٥٨٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٩٥/ ١١٢٣).

سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه» إلى أن قال: «فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين»(١)، وهذا منهي عنه عند جميع الفرق إلا القدرية فهم يتكلمون فيه، والمقصود التنبيه على أن العقول تعجز عن إدراك كنه الغاية المقصودة بالأفعال(٢).

○ قوله: «**ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر**»، فقد نهى الله ﷻ نبيه نوحاً عن ذلك فقال: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هُود: ٤٦] وهذا الأمر يشمل القدر وغيره، وقد يدخل ذلك في عموم قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المَائدة: ١٠١].

○ قوله: «**ونهى رسول الله ﷺ عن الخصومة في القدر**» جاء النهي عن الجدال والخصومة عموما، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤]، وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**»(٣)، وفيهما

(١) شرح «الطحاوية» (١/ ٢٢٥).
(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٨).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب المظالم باب قول الله تعالى ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾، رقم (٢٤٥٧)، ومُسْلِم، كتاب العلم، رقم (٢٦٦٨)، قال القرطبي في المفهم (٦/ ٦٩٠): «وهذا الخصم المبغوض عند الله هو الذي يقصد بمخاصمته: مدافعة الحقّ، وردّه بالأوجه الفاسدة، والشّبه الموهمة، وأشدّ ذلك الخصومة في أصول الدّين، كخصومة أكثر المتكلّمين المعرضين عن الطرّق التي أرشد إليها كتاب الله، وسنة نبيّه، وسلف أمّته، إلى طرق مبتدعة...».

من حديث جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**»(١)، وجاء في السنن أن النبي ﷺ نهى عن الخصومة في القدر، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: «**أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ**»(٢)، وكذلك كرهه أصحاب رسول الله ﷺ، وقال ابن بطة العكبري رحمه الله في القدر: «حَرَامٌ عَلَيْنَا التَّفَكُّرُ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةُ عَنْهُ، وَالْمُنَاظَرَةُ عَلَيْهِ، وَالْكَلَامُ لِأَهْلِهِ، وَالْخُصُومَةُ بِهِ»(٣).

○ قوله: «**وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر**»، وهذا ثابت عن العلماء على مر الأزمان.

○ قوله: «**فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله في جملة الأشياء، وتسكت عما سوى ذلك**» أي: عليك - أيها المسلم - بالتسليم والإقرار والإيمان بقضاء الله وقدره فلا تعترض، فتقر بأن الله قدّر كل شيء وقضاه، وتؤمن بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، رقم (٥٠٦٠)، ومُسْلِم، كتاب العلم، رقم (٢٦٦٧).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، رقم (٢١٣٣)، وابنُ ماجه: المقدمة، رقم (٨٥).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣/ ٢٤٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٨] والإيمان بأن رسول الله ﷺ أُسري به إلى السماء وصار إلى العرش وكلمه الله تبارك تعالى، ودخل الجنة واطلع إلى النار ورأى الملائكة ونُشرت له الأنبياء، ورأى سرادقات العرش والكرسي وجميع ما في السموات وما في الأرضين في اليقظة، حمله جبريل على البراق حتى أداره في السموات، وفرضت له الصلاة في تلك الليلة، ورجع إلى مكة في تلك الليلة، وذلك قبل الهجرة.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن رسول الله ﷺ أسري به إلى السماء**»

فالإيمان بالإسراء واجب، ومن لم يؤمن بالإسراء فهو كافر؛ لأنه مكذب بالله، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسرَاء: ١]، والإسراء في **اللغة**: هو السفر ليلاً، **والمراد به شرعاً**: السفر برسول الله ﷺ ليلاً، بصحبة جبرائيل على البراق، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والبراق: دابة فوق الحمار ودون البغل، خطوته مد البصر، فتكون سرعته مثل سرعة الطائرة تقريباً، ومعنى خطوته مد البصر أي: إذا رفع حافره فخطوته تكون مد البصر؛ ولهذا قطع هذه المسافة في مدة وجيزة، وسمي بالبراق من البريق واللمعان، ثم صلى بالأنبياء إماماً بعد أن جُمعوا له، ثم عُرج به عليه الصلاة والسلام إلى السماء بشيء كهيئة السلم، فصعد فيه النبي ﷺ مع جبرائيل، فاستفتح جبريل

باب السماء ففتح له، وقيل له: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، فرأى فيها آدم أبا البشر، فسلم عليه النبي ﷺ، ورحب به وأقر بنبوته وقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. ثم صعد إلى السماء الثانية في وقت وجيز وبسرعة، والله على كل شيء قدير، ووجد فيها ابني الخالة عيسى ويحيى، فسلم عليهما فرحبا به وأقرا بنبوته، وقالا: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، ثم عرج إلى السماء الثالثة فوجد فيها إدريس فرحب به وأقر بنبوته، ثم صعد إلى السماء الرابعة فوجد فيها يوسف فرحب به وأقر بنبوته، ثم صعد إلى السماء الخامسة فوجد فيها هارون فرحب به وأقر بنبوته، ثم صعد إلى السماء السادسة فوجد فيها موسى فرحب به وأقر بنبوته، ثم صعد إلى السماء السابعة فوجد فيها إبراهيم، فرحب به وأقر بنبوته، وكلهم قالوا: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا إبراهيم وآدم فإنه من سلالتهما فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، ووجد النبي ﷺ إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، والبيت المعمور كعبة سماوية تحاذي الكعبة الأرضية، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك للطواف والصلاة، ثم لا يعودون إليه، ثم صعد نبينا عليه الصلاة والسلام وتجاوز السبع الطباق حتى وصل إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، فكلمه الله ﷻ من دون واسطة، لكن من وراء حجاب، فهو عليه الصلاة والسلام لم ير ربه ولا يستطيع أحد أن يرى الله في الدنيا، وقد سئل النبي ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(١) يعني: حجابه النور منعني من رؤيته، وفي اللفظ الآخر: «**حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: النَّارُ - **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ**

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

مِنْ خَلْقِهِ»[(١)]، وقد سبق أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأل الله رؤيته قال له الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] فكان الكلام بدون واسطة، لكنه ما استطاع أن يرى ربه، فهو محجوب عنها ـ أي: بالرؤية في الدنيا ـ ولا يستطيع أحد أن يرى الله، فقد احتجب الله عن الخلق، ولا يستطيع أن يرى الله في الدنيا أحد من خلقه حتى جبريل، وإنما الرؤية خاصة بأهل الجنة في الآخرة، فالرسول ﷺ عُرج به ورأى الجنة والنار، فقد اطلع على الجنة ورأى فيها أقواماً، واطلع على النار ورأى فيها المعذبين من الزناة وهم في تنور ضيق، ورأى الذين يغتابون الناس يهشمون وجوههم وصدورهم، ورأى آكل الربا يسبح في نهر الدم ويلقم حجرًا وكل هذا ثابت[(٢)]، والمعراج ثابت بالسنة[(٣)]، والإسراء ثابت في القرآن فلا بد من الإيمان بهما.

○ قوله: **«وصار إلى العرش»**، هذا يحتاج إلى دليل، ومعنى ذلك أنه مس العرش، أو جلس على العرش والله أعلم أي ذلك أصح، فالرسول ﷺ عُرج به حتى جاوز السبع الطباق ووصل إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ثم كلمه ربه سبحانه بدون واسطة، وفُرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة، ثم هبط حتى وصل إلى موسى في السماء السادسة فسأله، قال: ماذا فرض عليك ربك؟ قال: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك ضعيفة لا تطيق خمسين صلاة في اليوم والليلة، والله تعالى هو

---

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم (٧٠٤٧).
(٢) أخرجه البخاري، كِتَابُ بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، ومُسْلِم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٢).

الذي حرك قلب موسى، وهو الذي حرك قلب محمد فقبل قول موسى فاستشار جبريل عليه السلام فأشار عليه جبريل أن نعم، فعاد به إلى الجبار جل جلاله فسأل ربه التخفيف فوضع عنه عشرًا، وفي رواية: **«فَمَا زِلْتُ أَخْتَلِفُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى»**(١)، فكلما جاء إلى موسى قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، حتى صارت خمس صلوات، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: ماذا أمرك ربك؟ قال خمس صلوات في اليوم والليلة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك ضعيفة لا تطيق خمس صلوات في اليوم والليلة، وإني عالجت بني إسرائيل أكثر من ذلك، فقال النبي ﷺ: **«سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»**(٢)، فهي خمس في العدد، وخمسون في الميزان والأجر.

○ قوله: **«ونُشرت له الأنبياء»** أي: رآهم كلهم بأرواحهم، فقد أخذت أرواحهم شكل الأجساد، إلا عيسى فقد رفعه الله إلى السماء بجسده وروحه.

○ قوله: **«ورأى سرادقات العرش والكرسي، جميع ما في السموات وما في الأرضين في اليقظة»** وهذا يحتاج إلى دليل، فهل رأى سرادقات العرش والكرسي؟ وهل طاف في الأرض كلها من أولها إلى آخرها ورأى ما فيها وما في لجج البحار؟ الله أعلم.

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى، كتاب الصلاة، باب فَرَائِضِ الْخَمْسِ، رقم (١٦٨٩).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ، باب المِعْرَاجِ، رقم (٣٨٨٧).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٦٩] واعلم أن أرواح الشهداء في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة، وأرواح المؤمنين تحت العرش، وأرواح الكفار والفجار في بَرَهُوت، (وهي في سجين).

الشرح

هذا جاء في الحديث: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**»(١)، وذلك أن الشهيد لما بذل جسده لله حتى قتل الجسد ومُزق وتلف عوض الله الروح جسداً آخر تتنعم بواسطته في حواصل طير خضر، وأما المؤمنون غير الشهداء فإن أرواحهم تتنعم وحدها بدون جسم، وفي الحديث: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ**»(٢)، يعني: أنه يأكل حتى يرجعه الله إلى جسمه يوم يبعثه، فتنعم أرواح الشهداء أكبر من تنعم أرواح سائر المؤمنين؛ لأن الشهيد بذل جسده لله فعوضه الله جسداً آخر تتنعم الروح بواسطته، ومعلوم أن الجنة تحت العرش.

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٨٧).

(٢) أخرجه النسائي كتاب الجنائز، أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، رقم (٢٠٧٣)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذِكْرِ الْقَبْرِ وَالْبِلَى، رقم (٤٢٧١)، وصححه ابن حبان، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٩): رجاله رجال الصحيح.

○ قوله: «وأرواح الكفار والفجار في برهوت، وهي في سجين»، قيل: إنها بئر في حضرموت، كما في الحديث «أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ تُجْمَعُ بِبُرْهُوتَ: سَبِخَةٌ بِحَضْرَمَوْتَ»[1]، ولكن الحديث ضعيف، وسجين في الأرض السابعة، وهذا قول لبعضهم، وهناك أقوال كثيرة، فبعضهم يقول: أرواحهم عن يسار آدم.

والصواب: أن أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار[2]، فالمؤمن إذا مات نُقلت روحه إلى الجنة، ولها صلة بالجسد، فتتنعم مفردة وتتنعم بواسطة الجسد، وأرواح الكفار تنقل إلى النار ولها صلة بالجسد.

(١) أخرجه ابن حبان (٧/ ٢٨٣/ ٣٠١٣)، وانظر: «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» (١١/ ٢٢٣) إلا أن له شواهد من حديث ابن عباس أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٣٧) والطبراني في «الكبير» (١١١٦٧) والطبراني في «الأوسط» (٣٩١٢)، (٨١٢٩)، ومن حديث علي ﵁، أخرجه عبدالرزاق (٩١١٨)،ومن حديث ابن جريج، أخرجه عبدالرزاق (٩١١٩).

(٢) انظر: «الروح»، لابن القيم (١/ ٩١ وما بعدها)، و«أهوال القبور»، لابن رجب (١/ ١٢٠).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٠] والإيمان بأن الميت يقعد في قبره، ويرسل الله فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه، ثم يسل روحه بلا ألم.

الشرح

○ قوله: «والإيمان بأن الميت يقعد في قبره، ويرسل الله فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه» أي: يجب على المؤمن أن يؤمن بأن الميت يقعد في قبره إذا مات، فيرسل الله فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير - وهما ملكان - عن الإيمان وشرائعه، فالمؤمن يثبته الله فيقول: «رَبِّيَ اللهُ، دِينِيَ الْإِسْلَامُ، الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ هُوَ رَسُولُ اللهِ»(١)، «وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: «لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ»، فَيُقَالُ: «لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ»، "ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(٢).

○ قوله: «ثم يسل روحه بلا ألم» هذا حال روح المؤمن«تَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ»، وأما الكافر«فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، بَاب فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد في «المسند» رقم (١٨٥٥٧).

(٢) سبق تخريجه.

يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ»[١].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد في «المسند» رقم (١٨٥٣٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥٤/ ١٢٠٥٩)، وقال ابن حجر في المطالب العالية (٥٤٨/١٨) «هذا الإِسناد صحيح، رواته ثقات».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧١] ويعرف الميت الزائر إذا أتاه، وينعَّم في القبر المؤمن، ويعذب الفاجر كيف شاء الله.

الشرح

○ قوله: «**ويعرف الميت الزائر إذا أتاه**» هذا ليس على الإطلاق، فلا نثبت إلا ما دل عليه الدليل، مثل جاء أن النبي ﷺ إذا سلم عليه مؤمن فإنه يرد عَلَيْهِ السَّلَامَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»(١)، ومثل سماع الميت لقرع النعال كما في الحديث: «**العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ...**» الحديث(٢)، وأما أن الميت يعرف الزائر فهذا يحتاج إلى دليل، وقال بعضهم: وردت عدة أحاديث بأن الميت يعرف الزائر إذا زاره ويستأنس به، لكن لا تصح، والأصل أن الميت قد انقطع عمله(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١)، وصحح إسناده النووي في «رياض الصالحين» (١/ ٣٨٨/ ١٤٠٢)، وقال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٨٨): رواته ثقات.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٦٧)، و«العاقبة في ذكر الموت»، للإشبيلي (ص٢١١-٢٢٠)، و«مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٠٤)، (٢٤/ ٣٣١- ٣٣٢)، (٢٤/ ٣٦٢ - ٣٦٥)، و«الروح» (ص٥-١٢)، و«الإمتاع بالأربعين»، لابن حجر (ص٧٨)، و«بشرى الكئيب» (ص٥٥)، و«الإنصاف للأمير»، للصنعاني (ص٧٩).

○ قوله: «**وينعم في القبر المؤمن، ويعذب الفاجر كيف شاء الله**» هذا أمر معروف، فالمؤمن يفتح له باب إلى الجنة، والكافر يفتح له باب إلى النار، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وأما المؤمن فيفسح له في قبره مد البصر[١].

❁ ❁ ❁

(١) سبق ذكره في الأحاديث الماضية.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٢] واعلم أن (الشر والخير) بقضاء الله وقدره.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أن (الشر والخير) بقضاء الله وقدره**»، أي: تيقن أن كل شيء بقضاء الله وقدره، فالآجال والأعمار والذوات والأشخاص والصفات والحركة والسكون والأفعال وكل شيء قد قضاه الله وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

فلا بد للمسلم أن يؤمن بقضاء الله وقدره في كل شيء، وأن الله قد علم الأشياء قبل كونها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأراد كل شيء في هذا الوجود قضاءً وقدراً، وهو خالق كل شيء في هذا الوجود.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٣] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور**» أي: يجب على المسلم أن يؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو الذي كلم موسى بن عمران عليه السلام يوم الطور، قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّسَاء: ١٦٤]، قال العلماء: التأكيد بالمصدر يدل على أن المراد الحقيقة ويمنع المجاز الذي يزعمه بعض المبتدعة الذين أنكروا الكلام.

○ قوله: «**وموسى يسمع من الله الكلام بصوتٍ وقع في مسامعه منه لا من غيره**»، وهذا خلاف المعتزلة القائلين بأن الله تعالى لم يكلم موسى، وقالوا: إن الله خلق الكلام في الشجرة فكلمت موسى، فالشجرة هي التي كلمت موسى، والشجرة هي التي قالت: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القَصَص: ٣٠]، وهذا كفر وضلال ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

○ قوله: «**فمن قال غير هذا فقد كفر**» وقد احتال أهل البدع من

المعتزلة والجهمية في تحريف الآية، فقرأ بعضهم قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّسَاء: ١٦٤] بالنصب؛ حتى يكون المكلِّم هو موسى، والله هو المكلَّم؛ لأنه لا يتكلم، فموسى قادر على الكلام والرب غير قادر على الكلام نعوذ بالله، وهذه القراءة تحريف لفظي واضح.

وقد رد أهل السنة على هؤلاء المعتزلة فقالوا: هب يا جهمي! أنك استطعت أن تحرف هذه الآية، فكيف تقول في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣]؟ فلم يستطع أن يحرفها لفظاً، فحرفها معنىً فقال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعـرَاف: ١٤٣] أي: جرحه بمخالب الحكمة، فهي مأخوذة من الكَلْم وهو الجرح، ومنه قولهم: فلان كلمه يدمى، وتقول: كلمته وأنا أكلمه كلما وأنا كالم، وهو مكلوم»[(١)]، أي: جرحه، فمن أراد الله فتنته فلا حيلة فيه، فالجهمية لما لم يستطيعوا أن يحرفوا لفظ هذه الآية حرفوا معناها[(٢)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٤٧)، و«مختار الصحاح» (١/ ٢٧٢).

(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٤٢٤)، و«شرح الأصفهانية» (١/ ١١١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٤] والعقل مولود، أُعطي كل إنسان من العقل ما أراد الله، يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السماوات، ويُطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل، وليس العقل باكتساب، إنما هو فضل من الله تبارك وتعالى.

الشرح

○ قوله: «العقل مولود أُعطي كل إنسان من العقل ما أراد الله» يعني: أن العقل غريزة، كما قاله الإمام أحمد والحارث المحاسبي وغيرهما[(١)]، قال القاضي أبو يعلى: ومعنى قوله: «غريزة» أنه خلقه الله ابتداء[(٢)]، قال شيخ الإسلام: «من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم. والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما: أن العقل غريزة. وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء»[(٣)].

---

(١) انظر: «ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه» (ص٢٠٤)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٣٧)،.

(٢) «المستدرك على مجموع فتاوى» (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٨٧)، و«بغية المرتاد» (ص٢٥١)، و«الصفدية» (٢/ ٢٥٧).

○ قوله: «يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السماوات» لا شك أن الناس يتفاوتون في العقول على قدر ما أعطاهم الله وميزهم به، والله تعالى إنما يُكلف العبد إذا كان عاقلاً، وإذا ذهب العقل ذهب التكليف، فناقص العقل كالصبي لا يُكلف، والمجنون الذي ليس معه عقل لا يُكلف، والمخرف الذي كبر في سنه وخرف فصار لا عقل له لا يكلف، فالتكليف مربوط بالعقل، والناس يتفاوتون في العقول[1].

○ قوله: «ويطلب من كل إنسان من العلم على قدر ما أعطاه من العقل» أي: أن العمل تابع للعلم، والعمل مبني على العلم، ويكون على قدر ما أعطى الله الإنسان من العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس» وإذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما يحصل للبهيمة»[2].

○ قوله: «وليس العقل باكتساب وإنما فضل من الله تبارك وتعالى»، كما تقدم أن العقل غريزة وليس اكتسابا، فالعقل ينمو تدريجياً والله تعالى هو الذي أعطى الإنسان العقل، فهو فضل من الله تبارك وتعالى[3].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٧٢)، و«المستدرك على مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٣٨، ٣٣٩).

(٣) انظر: بغية المرتاد، لابن تيمية (٢٥١-٢٦١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٥] واعلم أن الله فضّل العباد بعضهم على بعض في الدين والدنيا، عدل منه، لا يقال: جار ولا حابى، فمن قال: إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء فهو صاحب بدعة، بل فضّل الله المؤمنين على الكافرين. والطائع على العاصي، والمعصوم على المخذول، عدل منه، هو فضله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أن الله تعالى فضل العباد بعضهم على بعض في الدين والدنيا**» أي: تيقن أن الله فضل بعض العباد على بعض في الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [النّحل: ٧١]، وقد فضل بعض الناس على بعض في الدين، فاختار تعالى للرسالة والنبوة الأنبياء، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القَصَص: ٦٨]، فهذا تفضيل في الدين، فالرسل أفضل الناس، وأفضلهم أولو العزم الخمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأفضل أولو العزم الخليلان: إبراهيم ومحمد، وأفضل الخليلين نبينا محمد ﷺ، ثم يليه جده إبراهيم، ثم يليه موسى، ثم بقية أولي العزم، ثم بقية الرسل، ثم بقية الأنبياء، ثم فضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الصديقين بعد الأنبياء، وفي مقدمتهم الصديق الأكبر، ثم فضل الشهداء، ثم فضل سائر الصالحين وهم المؤمنون، وهم طبقات، فأفضلهم السابقون الأولون، ثم أصحاب اليمين، ثم الظالمون

لأنفسهم الذين يقصرون في بعض الواجبات أو يفعلون بعض المحرمات، فقد فضلهم الله على الكفار في الدين والدنيا، وكذلك فرّق بينهم فجعل هذا ملكًا وهذا مملوكًا، وهذا وزيرًا، وهذا عالمًا وهذا جاهلًا، وهذا غنيًا وهذا فقيرًا، وهذا حليمًا وهذا غير حليم وهكذا، كما أنه فرق بينهم في الأرزاق، وفرق بينهم في العقول، وفرق بينهم في الآجال، فهذا يموت في بطن أمه، وهذا يموت طفلاً، وهذا يموت صبياً، وهذا يموت شاباً، وهذا يموت شيخًا، وهذا يموت كهلاً، وهذا يموت هرمًا، وله الحكمة البالغة ﷻ عدلاً منه.

○ قوله: «**لا يقال: جار ولا حابى**» لأن الله تعالى حرّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، كما في الحديث القدسي، يقول الله تعالى: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»[1].

○ قوله: «**فمن قال: إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء فهو صاحب بدعة، بل فضّل الله المؤمنين على الكافرين. والطائع على العاصي، والمعصوم على المخذول عدل منه، هو فضله يعطيه من يشاء، ويمنع من يشاء**» وهذا صحيح، لأنه ﷻ لم يمنع المخذول شيئاً يملكه، قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحُجرَات: ٧-٨]، فللّه تعالى على المؤمن نِعَم جليلة خصه بها دون الكافر، فهو ﷻ يهدي من يشاء فضلًا منه وإحسانًا، ويضل من يشاء عدلًا منه وحكمة، ولا يقال إذا فضل المؤمن على الكافر: إن الله هدى المؤمن ولم يهد

(١) سبق تخريجه.

الكافر فهذا جور، بل نقول: هو عدل، فلا يقال: إن هذا ظلم؛ لأن الظلم هو أن يمنع الإنسان من حقه، فإذا منعته من حقه، أو اعتديتَ على ملكه فتكون حينئذٍ ظالمًا، والهداية ملك لله وليست ملكًا للعاصي، فإذا منعها العاصي فذلك لحكمة منه وعدل، وإذا هدى المؤمن تفضلًا منه فلا يقال: إن هذا ظلم؛ لأن الله تعالى لم يمنع العاصي شيئًا يملكه، فلو منعه شيئًا يملكه، أو حمّله وزر غيره، أو منعه من ثواب استحقه فإنه يكون حينئذٍ ظلمًا، لكن إذا أعطى الهداية لهذا ومنعها من هذا فهذا عدله، فهو لم يمنعه شيئًا يملكه.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٦] ولا يحل أن تكتم النصيحة للمسلمين، برهم وفاجرهم في أمر الدين، فمن كتم فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

الشرح

○ قوله: «ولا يحل أن تكتم النصيحة للمسلمين، برهم وفاجرهم في أمر الدين» لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح من حديث تميم الداري: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١)، فالنصيحة واجبة، ومن كتم النصيحة عن المسلمين فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨]، فلا يحل لأحد أن يكتم النصيحة، والنصيحة لله تكون بتوحيده وصرف الدين له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأداء حقه، وترك محارمه، والنصيحة لكتاب الله تكون بالإيمان به، وتدبره والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، والوقوف عند حدوده، وتكون النصيحة

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٥٥).

للرسول ﷺ بالإيمان به، وتحكيم شرعه، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتعبد لله بما شرعه، وتكون النصيحة لأئمة المسلمين بمحبة الخير لهم، وعدم الخروج عليهم، ونصيحتهم، وتكون النصيحة لعامة المسلمين بمحبة الخير لهم، ودفع الشر عنهم، وتحمل أثقالهم، ودفع المضار عنهم، وإطعام جائعهم، ونصح جاهلهم، وكف الأذى عنهم.

○ قوله: **«فمن كتم فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»** بايع النبيُّ ﷺ جريرَ بن عبد الله البجَلي رضي الله عنه ـ وكان سيدًا مطاعًا في قومه ـ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصيحة لكل مسلم[(١)]، وهذا ليس خاصًّا بجرير رضي الله عنه بل هو عام، فمن لم ينصح للمسلم نقص إيمانه؛ وفي معنى هذا الحديث ما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٢)]، وفي الحديث الآخر: «**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[(٣)] أي: لا يحمل الغل ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة فإنها تنفى الغل والغش وهو فساد القلب وسخايمه[(٤)]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي

(١) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان (٤٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، باب من بلغ علما، رقم (٢٣٠).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٢).

ﷺ قال: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[(١)] فالله سبحانه أوجب في المعاملات خاصة وفي الدين عامة النصيحة والبيان، والنصيحة لكل مسلم واجبة وغشه حرام[(٢)].

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم: (١٠١).
(٢) «الفتاوى الكبرى» لشيخ الإسلام (٦/ ١٥٠-١٥١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٧] والله تبارك وتعالى سميع بصير، سميع عليم، يداه مبسوطتان، قد علم الله أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم، علمه نافذ فيهم، فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام، ومنّ به عليهم كرماً وجوداً وتفضلاً فله الحمد.

الشرح

○ قوله: «**والله تبارك وتعالى سميع بصير، سميع عليم**» السميع من أسماء الله تعالى، والبصير من أسماء الله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، وأسماء الله مشتقة مشتملة على المعاني والصفات، فالسميع مشتمل على صفة السمع، والبصير مشتمل على صفة البصر، والرحيم مشتمل على صفة الرحمة، والقدير مشتمل على صفة القدرة.

○ قوله: «**يداه مبسوطتان**» فيه: إثبات اليدين لله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

○ قوله: «**قد علم الله أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم، علمه نافذ فيهم**»، أي: لا بد من إثبات علم الله الأزلي، لا شك في هذا، ومن أنكر علم الله فقد نسب الجهل لله، وهذا كفر وضلال.

○ قوله: «**فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام**»، أي: لم يمنعه علمه بهم أن هداهم للإسلام فضلاً منه وإحساناً، كما قال

سبحانه وتعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

○ قوله: «ومنّ به عليهم كرماً وجوداً وتفضلاً فله الحمد» قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [الحجرات: ١٧].

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٨] واعلم أن البشارة عند الموت ثلاث بشارات؛ يقال: أبشر يا حبيب الله برضى الله والجنة، ويقال: أبشر يا عدو الله بغضب الله والنار، ويقال: أبشر يا عبد الله بالجنة بعد (الانتقام). هذا قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

الشرح

○ قوله: «واعلم أن البشارة عند الموت ثلاث بشارات» يُبشر المؤمن عند موته بالمغفرة والرضوان، فقد جاء في حديث البراء وغيره: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»، والكافر يبشر

(١) انظر: «التوهم في وصف أحوال الآخرة»، للمحاسبي (ص٦)، و«العاقبة في ذكر الموت»، للإشبيلي (ص١١٨، ٢٤٣).

أيضا ببشارة: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ» قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»(١)، وقد بيّن الله تعالى في كتابه العزيز أن المؤمن يبشر فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، فهذه ثلاث بشارات للذين قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: معبودنا وإلهنا حقاً هو الله، ثم استقاموا على ذلك بالعمل، فتتنزل عليهم الملائكة عند الموت بهذه البشارات:

البشارة الأولى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾، أي: مما أمامكم من عذاب الله وسخطه والنار، فأمّنوهم من ذلك.

البشارة الثانية: ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾، أي: على ما خلفتم من الأموال والأولاد فنحن نخلفكم فيهم.

البشارة الثالثة: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾، أي: عند الموت، ففي حال الشدة والوقت العصيب يبشرون هذه البشارات.

---

(١) سبق تخريجه.

وأما الظالمون فيُبشّرون بالنار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]، فهذا في غمرات الموت، فيبشرونهم بالعذاب والعياذ بالله، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]، وهذا أيضاً عند الموت، فيضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق.

○ قوله: «**أبشر يا حبيب الله برضى الله**» دليلها كما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصّلت: ٣٠]، ولكن هذا اللفظ يحتاج إلى دليل.

○ قوله: «**ويقال: أبشر يا عدو الله بغضب الله والنار**» هذا في حق الكافر؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠].

○ قوله: «**ويقال: أبشر يا عبد الله بالجنة بعد (الانتقام)**»، هذا في حق أصحاب الكبائر، وما جاء في هذه النسخة أقرب من جهة المعنى مما في بعض النسخ: «**أبشر يا عبد الله بالجنة بعد الإسلام**».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٧٩] واعلم أن أول من ينظر إلى الله تعالى في الجنة الأضراء، ثم الرجال، ثم النساء، بأعين رءوسهم، كما قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته»، والإيمان بهذا واجب، وإنكاره كفر.

الشرح

○ قوله: «واعلم أن أول من ينظر إلى الله تعالى في الجنة الأضراء» الأضراء جمع ضرير، وهو الأعمى الذي ذهب بصره، ولأنه كان غير مبصر في الدنيا فهو أول من ينظر إلى الله في الجنة، جاء هذا في أثر ضعيف عن الحسن البصري يقول «**أَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَعْمَى**»(١).

والصواب: أن الأضراء وغيرهم سواء، فالمؤمنون جميعاً ينظرون إلى الله.

○ قوله: «ثم الرجال، ثم النساء، بأعين رءوسهم» فهذا الترتيب يحتاج إلى دليل، والله تعالى يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، وقال النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢)، وهذا خطاب للرجال

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٥٧٨/ ٩٢٤)، والديلمي في «فردوس الأخبار» (١/ ٢٥/ ٣٤)، وسنده فيه جهالة ولا يصح.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَاب فَضْلُ صَلَاةِ الْعَصْر، رقم (٥٥٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٣).

والنساء، فلا يقال: إن الأعمى ينظر أولاً ثم الرجال ثم النساء، وهم ينظرون إلى الله تعالى بأعين رؤوسهم، والنصوص من القرآن الكريم صريحة في رؤية الله، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، والأحاديث في رؤية الله تعالى بلغت حد التواتر ـ كما تقدم بيانه ـ، وكما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية الشافية[(١)]:

ويرونه سبحانه من فوقهم ... نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ... ينكره إلا فاسد الإيمان

وأتى به القرآن تصريحا وتعـ ... ـريضا هما بسياقه نوعان

فذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن النصوص في هذا من القرآن جاءت بالتصريح والتعريض ـ كما تقدم بيانه ـ، ومن الأحاديث متواترة، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]:

بينا هم في عيشهم وسرورهم ... ونعيمهم في لذة وتهان

وإذا بنور ساطع قد أشرقت ... منه الجنان قصيها والداني

رفعوا إليه رؤوسهم فرأوه نور ... الرب لا يخفى على إنسان

وإذا بربهم تعالى فوقهم ... قد جاء للتسليم بالإحسان

قال السلام عليكم فيرونه ... جهرا تعالى الرب ذو السلطان

وقد جاء في الحديث أن يوم الجمعة هو يوم المزيد، كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** عَزَّ وَجَلَّ **أَعَدَّ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ تَعَالَى عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حَفَّ الْمَنَابِرَ بِكَرَاسِيَّ الذَّهَبِ،**

(١) «الكافية الشافية» (ص٣٤١).
(٢) المرجع السابق (ص٣٤٣).

ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ، ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِهِ ﷻ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحِلُّ كَرَامَتِي فَسَلُونِي»، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: «رِضَايَ عَنْكُمْ أُحِلُّكُمْ دَارِي، وَأَنَالُكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي»، فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ ﷻ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ دُرَّةً بَيْضَاءَ، لَا فَصْمَ فِيهَا وَلَا فَصْلَ، أَوْ يَاقُوتَةً حَمْرَاءَ، أَوْ زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءَ، فِيهَا ثِمَارُهَا، وَفِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلَيْسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ لِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً، وَلِيَزْدَادُوا نَظَرًا إِلَى وَجْهِهِ ﷻ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى يَوْمَ الْمَزِيدِ»[(١)]، وقال ابن القيم رحمه الله: «هذا حديث كبير، عظيم الشأن، رواه أئمة السنة، وتلقوه بالقبول»[(٢)].

○ قوله: «والإيمان بهذا واجب، وإنكاره كفر» فقد كفّر الأئمة من أنكر رؤية الله، فقال الإمام أحمد وجماعة: «مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُرَى، فَهُوَ كَافِرٌ»[(٣)]، نسأل الله السلامة والعافية.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢٤)، والشافعي في «مسنده» (ص ٧٠).
(٢) «حادي الأرواح» (ص ٢١٩).
(٣) أخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد، رقم (١٧٠٠)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ٩٨٦/ ٥٨٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٨٠] واعلم ـ رحمك الله ـ أنه ما كانت زندقة قط ولا كفر ولا شك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأصحاب الكلام والجدال والمراء والخصومة، والعجب كيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال، والله تعالى يقول: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، فعليك بالتسليم والرضى بالآثار وأهل الآثار، والكف والسكوت.

الشرح

الزندقة معناها: النفاق، والزنديق هو المنافق، وهي كلمة فارسية ثم عربت(١)، والزنديق هو من يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وقد كان يقال له في زمن النبي ﷺ: منافق، كعبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه؛ فقد كانوا يظهرون الإيمان والإسلام، ويصلون مع النبي ﷺ، ويجاهدون معه وهم في الباطن مكذبون، فهم في الدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥]، ويطلق الزنديق على المتحلل من الدين، وفي زمننا يسمى المنافق: علمانيًا، فالعلماني هو المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فتجده يتستر باسم الإسلام وهو ينشر الإلحاد والزندقة، وينشر الفساد بين المسلمين.

(١) انظر: «جمهرة اللغة» (٣/١٣٢٩)، و«تهذيب اللغة» (٩/٢٩٨).

○ قوله: «واعلم رحمك الله أنه ما كانت زندقة قط ولا كفر» يعني: نفاق أو كفر، فالذي أعلن كفره يقال له: كافر، والذي أخفى كفره يسمى زنديقاً أو منافقاً، قال الإمام أحمد رحمه الله: «**عُلَمَاء الْكَلَام زنادقة**»[(١)] «ولا شك» يعني: لا شك في الدين في ما هو معلوم من الدين بالضرورة « ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام» أي: بسبب علم الكلام وأهله، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فقد تكلموا في الصفات وفي الأفعال بالباطل فنشأ من ذلك الكفر والزندقة والنفاق والشك والحيرة، فينبغي للإنسان أن يحذر من الكلام «وأصحاب الكلام والجدال والمراء والخصومة»، لأن أهل الكلام هم الذين تكلموا في الأسماء والصفات بغير بصيرة فنشأ من كلامهم الزندقة والكفر والشك والبدعة والضلال والحيرة في الدين، وهم أصحاب الجدال والمراء والخصومة في الصفات، وفي القدر وفي مسمى الإيمان.

قال معاوية بن قرة رحمه الله: «**الْخُصُومَةُ تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ، وَالْكَلَامُ الرَّدِيءُ لَا يَدْعُو إِلَى خَيْرٍ لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ، تَجَنَّبُوا أَصْحَابَ الْجِدَالِ وَالْكَلَامِ، عَلَيْكُمْ بِالسُّنَنِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ قَبْلَكُمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْكَلَامَ، وَالْخَوْضَ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ، وَالْجُلُوسَ مَعَهُمْ، وَإِنَّمَا السَّلَامَةُ فِي تَرْكِ هَذَا، لَمْ نُؤْمَرْ بِالْجِدَالِ، وَالْخُصُومَاتِ**

---

(١) «قواعد العقائد» (ص٨٧)، وبنحوه في الحكم على أهل الكلام بالزندقة: عن أبي يوسف، «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٣٧/ ٦٧١)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٦٦/ ٣٠٥)، ونقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد (١/ ٦٥)، و«جامع بيان العلم وفضله» (٣/ ١٠٣٣/ ١٩٨٥)، وعن الإمام مالك، «ذم الكلام وأهله» (٥/ ٧١)، وعن الشافعي أيضا نحوه، «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٣٥/ ٦٦٥)، وعن أبي بكر الوراق، «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٦)، و«شعب الإيمان» (٣/ ٢٩٦/ ١٦٩٣).

مَعَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، فَإِنَّهُ سَلَامَةٌ لَهُ مِنْهُ»[١] ومنهج أهل السنة بترك الجدال والمراء والخصومة «**هُوَ الْحَقُّ، وَإِنَّ هَذِهِ سَبِيلُ الْعُلَمَاءِ، وَطَرِيقُ الصَّحَابَةِ وَالْعُقَلَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُسْتَبْصِرِينَ**»[٢] جاء في السنة للخلال: «**اعْلَمْ أَنَّ تَرْكَ الْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ هُوَ طَرِيقُ مَنْ مَضَى، وَلَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ خُصُومَةٍ وَلَا جِدَالٍ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ تَسْلِيمٍ وَعَمَلٍ**»[٣].

○ قوله: «**والعجب كيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله تعالى يقول: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾** [غَافِر: ٤]، **فعليك بالتسليم والرضا بالآثار وأهل الآثار والكف والسكوت**»، أي: عليك أيها المسلم! التسليم لأمر الله وأمر رسوله، فإذا جاءك حديث فقل: سلّمت ورضيت وقبلت، وكف واسكت عن الخوض والجدال في الدين بغير بصيرة، وعليك بالتسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ والرضا بالآثار.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٣٩/ ٦٧٧).
(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٤٠).
(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤/ ٢١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨١] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى يعذب الخلق في النار في الأغلال والأنكال والسلاسل، والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم، وذلك أن الجهمية ـ منهم هشام الفوطي ـ قال: إنما يعذب عند النار، ردٌّ على الله وعلى رسوله.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن الله تبارك وتعالى يعذب الخلق في النار في الأغلال والأنكال والسلاسل، والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم**» يجب على المسلم أن يؤمن بأن الله يعذب الخلق في النار، وقد أخبر الله تعالى أن النار تغمرهم، وأن النار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم، قال الله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعرَاف: ٤١] أي: وطاء وغطاء، فهم يفترشون النار ويتخذونها غطاء، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فَاطِر: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النِّسَاء: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غَافر: ٦٩-٧٢]، نسأل الله السلامة والعافية.

○ قوله: **«وذلك أن الجهمية ـ منهم هشام الفوطي ـ قال: إنما يعذب عند النار، ردٌّ على الله وعلى رسوله»** أراد المؤلف رحمه الله الرد على هشام ابن عمرو الفوطي[(١)] في هذا القول الشنيع[(٢)]، وهو من أصحاب أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة في القرن الثالث الهجري، ومعنى كلام الفوطي أن الله يعذب عند النار لا بالنار، هذا يشبه مذهب الأشاعرة الذين ينكرون الأسباب، ويقولون: السكين لا تقطع وإنما أوجد الله القطع عند إجراء السكين لا بالسكين، وهذا نفي للأسباب، فالأشاعرة يقولون: ليس هناك أسباب ولا غرائز ولا طباع، فالله هو الذي يفعل، فالسكين مثلاً ليس لها تأثير عندهم، فإذا قيل لهم: إن السكين تقطع، قالوا: لا، السكين لا تقطع، وإنما يُوجد الله تعالى القطع عند إمرار السكين، فالقطع يحصل عند السكين لا بالسكين، وإذا قيل لهم: النار تحرق، قالوا: لا، النار لا تحرق، بل الله يوجد الإحراق عند النار لا بالنار، وإذا قيل لهم: الأكل يشبع، قالوا: لا، الأكل لا يشبع، ولكن الله يوجد الشبع عند الأكل لا بالأكل، وإذا قيل لهم: الماء يروي، قالوا: الماء لا يروي، لكن الله يوجد الري عند الشرب لا بالشرب، وقصدهم من هذا إنكار الأسباب والغرائز والطبائع؛ حتى لا يكون هناك مؤثر إلا الله، والقرآن والسنة مملوءان بذكر الأسباب والغرائز قال سبحانه:

---

(١) هو هشام بن عمرو الفوطي، المعتزلي، وانتسب إليه أقوام دعوا بالهشامية، وهو أول من قال أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، قال الذهبي: صاحب ذكاء وجدال وبدعة ووبال.

انظر: «تاريخ الإسلام» (١٦/ ٤٤١)، و«الوافي بالوفيات» (٢٧/ ٢١١).

(٢) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٣/ ٣٢)، (٣/ ٧٩)، (٤/ ١٤٩)، و«السير» (١٠/ ٥٤٧).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٩٩] فهذا سبب، وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]، فهذه علة، وقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: ٧٩]، وقال سبحانه: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤]، وقال سبحانه: ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦]، والنصوص من الكتاب والسنة كثيرة في بيان الأسباب والطبائع والغرائز، فهشام الفوطي قوله هذا باطل، وقد بين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطلان قوله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٢] واعلم أن الصلاة الفريضة خمس، لا يزاد فيهن ولا ينقص في مواقيتها، وفي السفر (ركعتان) إلا المغرب، فمن قال: أكثر من خمس. فقد ابتدع، ومن قال: أقل من خمس فقد ابتدع، لا يقبل الله شيئاً منها إلا لوقتها، إلا أن يكون نسيان فإنه معذور، يأتي بها إذا ذكرها، أو يكون مسافراً فيجمع بين الصلاتين إن شاء.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أن الصلاة الفريضة خمسٌ، لا يُزاد فيهن ولا ينقص في مواقيتها**» كما في الحديث: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ**»[(١)]، وفي قصة الرجل الذي جاء وسأل النبي عما أوجب الله عليه فقال له: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». **فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»**[(٢)].

○ قوله: «**وفي السفر ركعتان إلا المغرب**» يعني: أن الرباعية تقصر إلى ركعتين؛ لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا، رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ،**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصَّلَاةِ، باب من لم يوتر، رقم (١٤٢٠)، والنسائي، كتاب الصَّلَاةِ، باب المحافظة على الصلوات الخمس، رقم (٤٦١)، وابنُ ماجَهْ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، رقم(١٤٠١)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ٣٨٩): هذا الحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الْأَيْمَانِ، باب الزكاة من الإسلام، رقم (٤٦)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١١).

وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الحَضَرِ»[١]، فالرباعية تقصر في السفر وهي: الظهر والعصر والعشاء، وأما المغرب والفجر فلا تقصران.

○ قوله: **«فمن قال: أكثر من خمس فقد ابتدع ومن قال: أقل من خمس فقد ابتدع»** أي: من قال: إن الله أوجب أكثر من خمس صلوات فقد ابتدع بدعة مكفرة؛ لأنه زاد في الدين، ومن قال: إن الله لم يفرض إلا أربع صلوات في اليوم والليلة فقد كفر أيضاً، فالبدعة قد تكون مكفرة وقد تكون غير مكفرة، والمقصود بذلك الخمس الفرائض، ولا يُعترض على ذلك بأن الإمام أبا حنيفة يرى أن الوتر واجب[٢]؛ لأنه ليس من الصلوات الخمس.

○ قوله: **«لا يقبل الله منها شيئاً إلا لوقتها»** مثل الذي يجمع الظهر والعصر أو المغرب والعشاء من غير عذر فإنه يكون قد صلاها في غير وقت.

○ قوله: **«إلا أن يكون نسيان فإنه معذور، يأتي بها إذا ذكرها»** والدليل قول النبي ﷺ: **«مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»**[٣].

○ قوله: **«أو يكون مسافراً فيجمع بين الصلاتين إن شاء»** يجمع بين الصلاتين إن شاء، فقد أباح الله للمسافر وللمريض الجمع بين الصلاتين وهما الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصَّلَاةِ، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٥٠)، ومُسْلِم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٦٨٥).

(٢) انظر: «كنز الدقائق» (١/١٧٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر، ولا يعيد إلا تلك الصلاة، رقم (٥٩٧)، ومُسْلِم، كِتَابُ المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٨٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٣] والزكاة من الذهب والفضة والثمر والحبوب والدواب، على ما قال رسول الله ﷺ، فإن قسمها فجائز وإن أعطاها الإمام فجائز.

الشرح

○ قوله: «**والزكاة من الذهب والفضة والثمر والحبوب والدواب، على ما قال رسول الله ﷺ**» نصاب الذهب عشرون مثقالاً، ونصاب الفضة مائتا درهم، ونصاب الثمر والحبوب خمسة أوسق، ولا زكاة فيما دون ذلك، جاء في الحديث: «**لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ**»[(١)]، والأنعام كذلك فيها زكاة، فالإبل إذا كانت سائمة ترعى وبلغت النصاب ففيها خمس من الإبل، والبقر نصابها ثلاثون، والغنم نصابها أربعون، فالزكاة من هذه الأصناف.

○ قوله: «**فإن قسمها فجائز وإن أعطاها الإمام فجائز**» يعني: إن قسمها بنفسه فهو جائز، وإذا طلبها الإمام ودفعها إليه برئت ذمته.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب زكاة الورق، رقم (١٤٤٧)، ومُسْلِم، كِتَابُ الزَّكَاةِ، رقم (٩٧٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٤] واعلم أن أول الإسلام شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أن أول الإسلام شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله**» أي: تيقن أن أول الإسلام الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة، فهي أصل الدين وأساس الملة، فلابد أن ينطق الشهادتين بلسانه، ويعتقد معناهما بقلبه، ويعمل بمقتضاهما بجوارحه، وهذا هو الإسلام.

فالإسلام أن تنطق الشهادتين بلسانك، وتصدق بمعناهما بقلبك، وتقر وتعترف وتعمل بمقتضاهما بجوارحك، فإذا نطقت بالشهادتين وأقررت وصدقت وعملت بمقتضاهما، فأديت الأوامر، وتركت النواهي، فهذا هوالإسلام.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٥] وأن ما قال الله كما قال، ولا خُلفَ لما قالَ، وهو عندَ ما قال.

الشرح

○ قوله: «**وأن ما قال الله كما قال، ولا خُلفَ لما قالَ، وهو عندَ ما قال**» يعني: يجب على المسلم أن يعلم أن ما قاله الله فهو كما قال، فلا يحرف كلام الله، ولا ينبغي لأحدٍ أن يخلف ما قال الله، ويحتمل أن المعنى: أن الله لا يُخلف وعده،قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الرُّوم: ٦]، ولكن الوعيد للعصاة فيه تفصيل: فقد ينفذه الله وقد لا ينفذه؛ فيعفو عن العاصي، والوعد للمؤمن لا بد أن يحصل.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٦] والإيمان بالشرائع كلها.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بالشرائع كلها**» يجب على المسلم أن يؤمن بالشرائع كلها، سواء كانت مما أنزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الحدود والقصاص والمعاملات، أو الشرائع التي أنزلها على أنبيائه السابقين، وهذه نؤمن بها إجمالاً. فنؤمن بشريعة الله في الحدود والقصاص وفي المعاملات كالبيع والشراء والصلح والإجارة والمساقاة والمزارعة والنكاح والخلع والطلاق.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٧] واعلم أن الشراء والبيع ما بيع في أسواق المسلمين حلال ما بيع على حكم الكتاب والإسلام والسنة، من غير أن يدخله تغيير أو ظلم أو جور أو خلاف للقرآن أو خلاف للعلم.

الشرح

○ قوله: «**واعلم**» أي: تيقن، فالعلم هو اليقين، وأن الأصل في البيع والشراء أنه حلال إلا إذا اختل شرط من شروط البيع كأن يجهل المبيع، أو يغش، أو يخفي عيب السلعة، أو يرابي.

○ قوله: «**أن الشراء والبيع ما بيع في أسواق المسلمين حلال**» فالأصل فيما بيع في أسواق المسلمين أنه حلال، فلا تشك وتقول: أخشى أن يكون حراماً، وأخشى أن تكون هذه السلعة التي اشتريتها مسروقة، وأخشى أن فيها كذا، فالأصل الحل.

○ قوله : «**ما بيع على حكم الكتاب والإسلام والسنة، من غير أن يدخله تغيير أو ظلم أو جور أو خلاف للقرآن**» يعني: إذا لم يدخله تغيير ولا ظلم ولا جور ولا غدر، وكذلك بشرط ألا يخالف القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩]، ولا يكتم عيوب السلعة، فحرام عليه أن يخفي العيب، بل لا بد أن يخبره بالعيب الذي يعلمه.

○ قوله: «**أو خلافٌ للعلم**»، أي: ما تعلمه من العيب فلا تخفيه، فالسلعة التي فيها عيب وأنت تعلمه فلابد أن تبينه، قال عليه الصلاة والسلام: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الْبُيُوعِ، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، رقم (٢٠٧٩)، ومُسْلِم، كتاب الْبُيُوعِ، رقم (١٥٣٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٨] واعلَم رحِمَكَ اللهُ أنَّهُ يَنبَغي للعبدِ أن تصحبهُ الشفقةُ أبداً ما صَحِبَ الدُّنْيا؛ لأَنَّهُ لا يدري على ما يموت، وبم يُختمُ له، وعلى ما يلقى الله، وإن عمل كل عمل من الخير، وينبغي للرجل المسرف على نفسه ألا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت، ويحسن ظنه بالله تبارك وتعالى، ويخاف ذنوبه، فإن رَحِمَهُ اللَّهُ فبفضل، وإن عذبه فبذنب.

الشرح

○ قوله: «(واعلم» أي: تيقن.

○ قوله: «رحمك الله» سؤال الرحمة من الله تعالى للمتعلم.

○ قوله: «أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً ما صحب الدنيا» أي: أن يصحبه الخوف من أن تحيط به ذنوبه، والخوف من سوء الخاتمة، فعلى الإنسان أن يرجو ما عند الله لكن عليه أن يغلب جانب الخوف؛ حتى يحمله على أداء الفرائض وترك المحارم، فإذا كان الإنسان خائفاً فإن هذا الخوف يحدوه ويحثه على أداء الفرائض وترك المحارم، فعلى العبد دائماً أن يكون بين الرجاء والخوف، لكنه يغلب جانب الخوف في حال الصحة، قال بعض العلماء: الخوف والرجاء للعبد كجناحي الطائر، فالطائر إذا استقام جناحاه استقام طيرانه، وإذا تلف الجناحان صار في عداد الموتى، فكذلك

الإنسان يعبد الله بين الخوف والرجاء، فيخاف خوفاً لا يوصله إلى التشاؤم وسوء الظن بالله، ويرجو ما عند الله رجاءً لا يجعله يستغرق في المعاصي.

فالعبد تصحبه الشفقة والخوف أبداً ما صحب الدنيا؛ لأنه لا يدري علام يموت عليه، فيحمله خوفه على أداء الفرائض وترك المحارم، وإن عمل كل الخير فلابد له من الخوف والرجاء، قال تعالى عن المتقين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السَّجدَة: ١٦] أي: يعبدون الله بالخوف والرجاء، وهذا حال المؤمن أنه يعبد الله بالحب والخوف والرجاء، وهذه هي أركان العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وهذه الأركان موجودة في سورة الفاتحة، فقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] هذه المحبة، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفَاتِحَة: ٣] هذا الرجاء، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤] هذا الخوف.

○ قوله: «**وينبغي للرجل المسرف على نفسه ألا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت، ويحسن ظنه بالله تبارك وتعالى**» فينبغي للرجل المسرف على نفسه ألا يقطع رجاءه من الله عند الموت، وليحسن ظنه بالله، وليخف من ذنوبه، قال النبي ﷺ في الحديث: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**»(١)، فهو يخاف ويرجو، فيخاف خوفاً لا يصل به إلى سوء الظن؛ لأنه يرجو، ويرجو رجاءً لا يجعله يتمادى في المعاصي؛ لأنه يخاف، فإن رَحِمَهُ اللهُ فبفضل، وإن عذبه فبذنب.

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨٧٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٨٩] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة.

الشرح

○ قوله: «والإيمان بأن الله تبارك وتعالى أطلع نبيه على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة» أي: أن الله أخبر نبيه بما يكون في أمته في آخر الزمان، فأخبره بأشراط الساعة، وأخبره بانتشار الإسلام؛ كما قال النبي ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ**»(١)، وقال النبي ﷺ: «**وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٢)، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(٣)، ولما وقت النبي ﷺ المواقيت في الحج قال:

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»، رقم (١٦٩٥٧)، والحاكم في «المستدرك»، رقم (٨٣٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٠٥)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٤): رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٢).

(٣) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٨٨٩).

«**مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَالطَّرِيقُ الْآخَرُ الْجُحْفَةُ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ**»[(١)]، مع أن العراق في ذلك الوقت لم تفتح بعد، وهذا من علامات النبوة، ففيه: دليل على أنهم سيسلمون ويحجون ويعتمرون من هذا الميقات، وهذا مما أطلع الله عليه نبيه ﷺ مما سيكون في أمته إلى يوم القيامة، وأما القول: بأن النبي ﷺ يعلم أعمال أمته، وأن أعمال أمته تعرض عليه، وأن النبي ﷺ يعلم ماذا عمل كل شخص؛ والاستدلال الحديث المروي في هذا: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ**»[(٢)]، حديث ضعيف لا يصح[(٣)].

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الحَجِّ، رقم (١١٨٣).
(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (٥/ ٣٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٨٦)، والحارث في «مسنده» (٢/ ٨٨٤/ ٩٥٣).
(٣) قال البوصيري في «إتحاف المهرة» (٧/ ٧٤): «هذا مرسل ضعيف؛ جسر بن فرقد القصاب أبو جعفر البصري مجمع على ضعفه ولم أرى من وثقه».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٩٠] واعلم أن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»، قيل: يا رسول الله! من هم؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وهكذا كان الدين إلى خلافة عمر، وهكذا كان في زمن عثمان، فلما قُتل عثمان جاء الاختلاف والبدع، وصار الناس أحزاباً وصاروا فرقاً، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به ودعا الناس إليه، فكان الأمر مستقيماً حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة بني فلان انقلب الزمان وتغير الناس جداً، وفشت البدع، وكثرت الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المحن في شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ، ولا أصحابه، ودعوا إلى الفرقة (ونهى) رسول الله ﷺ عن الفرقة، وكفر بعضهم بعضاً، وكل (داعٍ) إلى رأيه، وإلى تكفير من خالفه، فضل [الجهال] والرعاع ومن لا علم له، وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا، فاتبعهم الخلق على خوف [في] دنياهم ورغبة في دنياهم، فصارت السنة وأهلها مكتومين، وظهرت البدع وفشت، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى، ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الرب في آياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم (وآرائهم)، فما وافق عقولهم قبلوه، وما لم يوافق عقولهم

ردوه، فصار الإسلام غريباً، والسنة غريبة، وأهل السنة غرباء في (جوف ديارهم).

الشرح

○ قوله: «واعلم أن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»، قيل: يا رسول الله! من هم؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي» فيه: بيان الاختلاف الذي حصل في الأمة، وهذا الحديث حديث حسن أخرجه الترمذي في الإيمان والآجري في الشريعة والحاكم وغيرهم، يقول النبي ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةًكُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً»، قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[١]، وفي لفظ: «وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»[٢]، وروي هذا الحديث بألفاظ متعددة[٣]، فهذه الفرق كلها من الفرق المبتدعة متوعدة بالنار إلا واحدة وهي الجماعة، وهم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية، وهم أهل الحق، وقد أخرج العلماء الجهميةَ والقدريةَ الأولى والرافضة من الثنتين والسبعين فرقة؛ لكفرهم وضلالهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه

(٣) انظر: «مسند أحمد»، رقم (١٢٢٠٨)، و«مسند البزار» (٤/ ٣٧)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٥٤)، و«البدع» لابن وضاح (٢٥٠)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ٣٥١)، و«حلية الأولياء»، لأبي نعيم (٩/ ٢٣٨).

○ قوله: «وهكذا كان الدين إلى خلافة عمر» أي: كلهم كانوا على الحق مستقيمين.

○ قوله: «وهكذا كان في زمن عثمان، فلما قتل عثمان جاء الاختلاف والبدع، وصار الناس أحزاباً وصاروا فرقاً» والذي أثارها هو عبدالله بن سبأ اليهودي الحميري، وأشاع أن أهل البيت مظلومين، وأن علياً أحق بالخلافة، وجعل يثير هذا في الشام وفي مصر وفي الكوفة، فتبعه السفهاء وصاروا ينشرون مساوئ عثمان رضي الله عنه بين الناس، وصاروا يقولون: عثمان فعل كذا وخفض صوته بالتكبير، وعثمان أتم الصلاة في السفر، وعثمان أخذ الزكاة على الخيل وخالف ما كان عليه الشيخان أبو بكر و عمر وهكذا، فتبعه كثير من الشباب السفهاء، فجاءوا وأحاطوا ببيته وقتلوه.

إذاً فنشرُ الناس مساوئ الحاكم وولي الأمر صار سبباً في الفُرقة، فصار الناس أحزاباً وفرقاً، فظهرت الخوارج والشيعة والقدرية.

○ قوله: «فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به ودعا الناس إليه» وهم أهل السنة والجماعة، الصحابة ومن تبعهم.

○ قوله: «فكان الأمر مستقيماً حتى كانت الطبقة الرابعة» يحتمل أنها خلافة بني العباس أو بني أمية، فهناك اختلاف في بني أمية أيضاً، فقد يكون المراد بالطبقة الرابعة: التي بعد القرون الثلاثة المفضلة الذين قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٦٥١)، ومُسْلِم، كِتَابُ فضائل الصحابة، رقم (٢٥٣٣).

○ قوله: «في خلافة بني فلان انقلب الزمان، وتغير الناس جداً، وفشت البدع، وكثر الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المحن في كل شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أصحابه، ودعوا إلى الفرقة ونهى رسول ﷺ عن الفرقة»، وقد أمر الله تعالى بالاجتماع فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥]، وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البَيِّنَة: ٤].

○ قوله: «وكفّر بعضهم بعضاً، وكل داع إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه، فضل الجهال والرعاع ومن لا علم له، وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا، فاتبعهم الخلق على خوف في دنياهم ورغبة في دنياهم، فصارت السنة وأهلها مكتومين، وظهرت البدع وفشت، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى، ووضعوا القياس» يعني: الآراء في مقابلة النصوص.

○ قوله: «وحملوا قدرة الرب في آياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهمفما وافق عقولهم قبلوه، وما لم يوافق عقولهم ردوه» يعني: فسروا النصوص بآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه وما لم يوافق عقولهم ردوه، وهذا لما انتشرت البدع والخوارج، وكان أصلها في أوائل المائة الثانية وقد ظهرت في أواخر عهد الصحابة، بل بعد قتل عثمان رضي الله عنه ظهرت الخوارج والشيعة، وفي أواخر عهد الصحابة ظهرت القدرية، ثم في أوائل المائة الثالثة ظهرت الجهمية والمعتزلة.

○ قوله: «فصار الإسلام غريباً والسنة غريبة وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم» والمقصود من كلام المؤلف رحمه الله هذا التحذير من

البدع والاختلاف في الدين، وأن على المسلم أن يحذر البدع، وأن يلزم السنة والجماعة، فالبدع بريد الكفر، فهي توصل إلى الكفر، والبدعة أحب إلى الشيطان من الكبيرة؛ فإن صاحب الكبيرة كالزاني والسارق وشارب الخمر والمرابي يعلم أنه عاصٍ على باطل لذلك فقد يفكر في التوبة، وأما المبتدع فيظن أنه على حق.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٩١] واعلم أن المتعة ـ متعة النساء ـ والاستحلال حرام إلى يوم القيامة.

الشرح

○ قوله: «واعلم أن المتعة ـ متعة النساء ـ والاستحلال حرام إلى يوم القيامة» أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الرد على الرافضة الذين يرون شرعية المتعة، والمتعة هي أن يتمتع الرجل بالمرأة مدة معينة، فيتفق معها ويتزوجها شهراً أو شهرين، أو يوماً أو يومين، ويشترط عليها شرطاً كأن يقول: أتزوجك يوماً أو يومين أو خمسة أيام أو عشرة أيام ثم أطلقك، وكانت المتعة في أول الإسلام مباحة، وذلك لما اشتدت العزوبة على الصحابة في بعض الغزوات فأبيحت المتعة(١)، ثم حرم النبي المتعة إلى يوم القيامة فالمتعة حرام، كما **في حديث سبرة بن معبد الجهني** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ، وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا»**(٢)، وعليه فالمتعة تعتبر من الزنى والعياذ بالله، والشيعة يستحلون المتعة ويرون أنها حلال، وسبق في

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب النكاح، رقم (١٤٣٨).
(٢) أخرجه مُسْلِم، كتاب النكاح (١٤٠٦).

الحديث: «**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا**»(١)، فالمتعة: هي يتفق الرجل مع المرأة على أن يتمتع بها أياماً، يعني: ينكحها أياماً، ثم يتركها، وقد قال النبي ﷺ: «**لَا يَحِلُّ نِكَاحٌ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَصَدَاقٍ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ**»(٢)، وفي الحديث: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ**»(٣).

وشروط النكاح أربعة: ولي، وزوج، وشاهدا عدل، ولابد من مهر، وبسبب استحلال الشيعة للمتعة كثر عددهم، فهم يتمتعون بالنساء فيأتيهم من ذلك أولاد كثيرون، ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم (٤٢١٦)، ومُسْلِم، كتاب النكاح، رقم (١٤٠٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٩٢] واعرف لبني هاشم فضلهم؛ لقرابتهم من رسول الله ﷺ وتعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ، فاعرف قدرهم (وحقوقهم) في الإسلام، ومولى القوم منهم، وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام، (وتعرف فضل) الأنصار، ووصية رسول الله ﷺ فيهم، وآل الرسول فلا تنساهم، تعرف فضلهم، وجيرانه من أهل المدينة، فاعرف فضلهم.

الشرح

○ قوله: «**واعرف لبني هاشم فضلهم؛ لقرابتهم من رسول الله ﷺ**»؛ لأن النبي ﷺ من بني هاشم، فهو هاشمي قرشي، ولهذا لا تكون الزكاة لبني هاشم ولا لبني عبدالمطلب؛ لأنهم آل النبي ﷺ، فلابد أن يعرف المسلم لبني هاشم فضلهم، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] أي: المحبة في القربى، ولابد من مودة بني هاشم وهي واجبة لقربهم من النبي ﷺ، ومحبتهم من محبة النبي ﷺ، فهم أشرف الناس نسباً، والنبي ﷺ بعث في أشرف الناس نسباً، وكذلك الأنبياء تبعث في أحساب قومها، فقد جاء في حديث أن النبي ﷺ قال: «**وَاللهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّهُمْ لِلهِ وَلِقَرَابَتِهِمْ مِنِّي**»(١)، والمراد ببني هاشم:

(١) أخرجه ابنُ ماجه: المقدمة، رقم (١٤٠)، وأحمد في المسند، رقم (١٧٧٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٨٢)، والحاكم في المستدرك، رقم (٦٩٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٣٣)، وقال الذهبي في السير (٢/ ٨٨): إسناده منقطع.

قرابة النبي ﷺ المؤمنين، وكذلك بنو عبدالمطلب.

○ قوله: «وتعرف فضل قريش والعرب»؛ لأن النبي ﷺ من قريش، فقريش أفضل العرب نسباً، وكذلك العرب؛ لأن النبي ﷺ من قريش، وقريش من العرب، وكذلك لأنه ﷺ بعث في العرب، فجنس العرب أفضل من جنس العجم، ولكن الجنس لا يفيد إلا مع تقوى الله ﷻ، كما قال النبي ﷺ: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**»(١)، وقد يوجد شخص من العجم خير من ألوف من العرب، وإنما المراد الجنس، فجنس العرب أفضل من جنس العجم(٢).

○ قوله: «وجميع الأفخاذ، فاعرف قدرهم (وحقوقهم) في الإسلام» وهي: جمع فخذ، وهو أقل من الشعب، فيقال: قبيلته ثم شعبه ثم فخذه.

○ قوله: ومولى القوم منهم» أي: عتيقهم، فإذا أعتقوا أحداً صار منهم، ولهذا نجد من يقول: إنه من قريش وهو مولى، وذلك لأنه أصبح عتيقاً، ولكنه لا يكون من نسبهم.

○ قوله: ««وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام» فكل مؤمن له حق في الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»، رقم (٢٣٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٦٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤١٩-٤٢١)، و«منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢٢١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٢).

○ قوله: «**وتعرف فضل الأنصار ووصية رسول الله ﷺ فيهم**»

فقد أوصى النبي ﷺ بالأنصار، وقال: «**فَإِنَّ هَذَا الحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ، يَقِلُّونَ وَيَكْثُرُ النَّاسُ، فَمَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعَ فِيهِ أَحَدًا، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيِّهِمْ**»(٣)، وقال للأنصار: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي وَمَوْعِدُكُمُ الحَوْضُ**»(٤)، يعني: ستجدون بعض الولاة وبعض الأمراء يؤثرون غيركم عليكم، ويمنعونكم حقكم، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فالأنصار هم كثير في الإسلام، وهم الذين آووا النبي والمهاجرين، فلما عتبوا على النبي ﷺ في بعض الشيء جمعهم وقال لهم: «**أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ**»(٥)، وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصَّلَاةِ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (٤٨١)، ومُسْلِم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١١)، ومُسْلِم واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الْجُمُعَةِ، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، رقم (٩٢٧).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، رقم (٤٣٣٠)، ومُسْلِم واللفظ له، كتاب الزكاة، رقم (١٠٦١).

الْأَنْصَارِ»[(١)].

○ قوله: «**وآل الرسول، فلا تنساهم تعرف فضلهم**» وآل الرسول هم أتباعه على دينه، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً قرابته من جهة النسب، كعلي وفاطمة والحسن والحسين والعباس، وزوجاته عليه الصلاة والسلام، وبناته وأعمامه وأقاربه المؤمنين، فلا بد للإنسان أن يعرف حقهم.

○ قوله: «**وجيرانه من أهل المدينة فاعرف فضلهم**» وهم الأنصار، أو جيرانه في المدينة، ومن كانوا حول المدينة من القبائل والقرى والبوادي، فكل هؤلاء لهم حق على المسلم لقربهم من النبي ولجوارهم له.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧]، رقم (٤٩٠٦)، ومُسْلِم واللفظ له، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٠٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٩٣] واعلم ـ رحمك الله ـ أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية حتى كان في خلافة بني فلان تكلم الرويبضة في أمر العامة، وطعنوا على آثار رسول الله، وأخذوا بالقياس والرأي، وكفروا من خالفهم، فدخل في قولهم الجاهل والمغفل والذي لا علم له، حتى كفروا من حيث لا يعلمون، فهلكت الأمة من وجوه، وكفرت من وجوه، وتزندقت من وجوه، وضلت من وجوه، (وتفرقت) وابتدعت من وجوه، إلا من ثبت على قول رسول الله ﷺ وأمره وأمر أصحابه، ولم يخطئ أحداً منهم، ولم (يجاوز) أمرهم، ووسعه ما وسعهم، ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم، وعلم أنهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح، فقلدهم دينه (واستراح)، وعلم أن الدين إنما هو بالتقليد، والتقليد لأصحاب محمد ﷺ.

الشرح

○ قوله: «واعلم رحمك الله أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية» وذلك لكفرهم وضلالهم، والجهمية هم الذين أنكروا أسماء الله وصفاته، وقالوا: إن الله ليس له سمع ولا بصر ولا علم ولا قدرة، فهم ينفون جميع الصفات والأسماء، وهم بهذا يصفون العدم، فالشيء الذي ليس له اسم ولا صفة يكون عدماً، ولهذا كفر العلماء الجهمية وأخرجوهم من الاثنتين والسبعين الفرقة وقالوا: هم كفار؛ لأنهم ما أثبتوا وجوداً لله، ونفوا الأسماء والصفات فأنكروا

بقولهم وجود الله.

○ قوله: «**حتى كان في خلافة بني فلان**» يعني: بني العباس، وبالتحديد خلافة المأمون، فإنه لما كانت خلافة المأمون ترجمت كتب اليونان والرومان، ودخل على المسلمين شر كثير، واعتنق المأمون مذهب المعتزلة وأثّروا عليه، وقرب المعتزلة فصاروا أقرباءه، حتى صار رئيس القضاة في زمن المأمون أحمد بن أبي دؤاد[1] وهو من المعتزلة، وهو الذي امتحن الإمام أحمد إمام أهل السنة، وأراده على القول بخلق القرآن فامتنع، فضُرب الإمام أحمد وسُجن وسُحب حتى أُغمي عليه، ورفض رفضاً قاطعاً أن يقول: إن القرآن مخلوق، مع أنه مجبر ومكره له عذر؛ وبعض العلماء ترخص تحت وطأة الإكراه والإلزام والجبر، فهو معذور، والله تعالى عذر المكره إذا تكلم بكلمة الكفر إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النّحل: ١٠٦]، فتأول بعض العلماء فسلموا من العذاب، حتى قال بعضهم للإمام أحمد: لك رخصة يا إمام! لو تأولت، فامتنع الإمام وثبت، وصبر على الأذى والسجن والضرب والسحب والإيذاء، وخشي أن يتأول فيضل الناس بسببه، وقد قال له

(١) هو أحمد بن دؤاد بن حريز ـ وقيل: جرير ـ، القاضي أبو عبدالله الأيادي البصري ثم البغدادي، الجهمي، الفاتن، الذي حمل السلطان عَلَى امتحان الناس بخلق القرآن، توفي عام ٢٣٩ هـ.

انظر: ترجمته في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٥)، و«المنتظم في أخبار الملوك والأمم» (١١/ ٢٧٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٧/ ٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٣٦٢).

أحدهم: لو تأولت يا إمام! فقال: انظر إلى هؤلاء الكتّاب، وكان هناك مساحة كبيرة من دار الخليفة كلها مملوءة من الكتّاب، وكل واحد معه قلم يريد أن يكتب مقالة الإمام أحمد، أي: أنه ينتظر كلمة يتكلم بها فيكتبها، فقال: أتريد أن أضل هؤلاء؟ كلا، بل أموت ولا أضلهم. فثبت رضي الله عنه وأرضاه في المحنة، كما حصل من الخليفة الراشد أبي بكر رضي الله عنه إذ ثبت يوم الردة، حتى أن عمر رضي الله عنه، وهو من هو أشكل عليه وقال: يا خليفة رسول الله! كيف تقاتلهم وقد صلوا، فقال أبو بكر: «**وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا**»[(١)]، فشرح الله صدر عمر لرأي أبي بكر، وثبت ثبوت الجبال الراسيات رضي الله عنه وأرضاه، فأجمع الصحابة على قوله وأخذوا برأيه وأنه على الحق، فشرحت صدورهم لذلك، حتى قال بعض المسلمين: لولا أن الله ثبت أبا بكر لما عبدالله في الأرض، ولأطبقت العرب على الردة إلا من ثبته الله، وكان علي بن المديني رحمه الله يقول: «إن الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث، أَبُو بَكْر الصديق يوم الردة، وأَحْمَد بْن حَنْبَل يوم المحنة»[(٢)]، وقد اختبر المأمون الإمام أحمد بناءً على رأي المعتزلة الذين أثروا عليه، وألزموا أهل السنة أن يقولوا: إن القرآن مخلوق، وأمر الخليفة بأن يؤتى بالعلماء من أنحاء الخلافة مقيدين بالسلاسل، فمن لم يقل بأن القرآن مخلوق أوذي وسحب وضرب وألقي في

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٤٠٠)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٢٠).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٩٠)، و«تاريخ دمشق» (٥/ ٢٧٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٨/ ٧١)، و«السير» (١١/ ١٩٦).

السجون، فمنهم من تأول، ومنهم من مات في السجن، ومنهم من مات في الطريق، ومنهم الإمام أحمد الذي رفض وامتنع على الرغم من شدة ما لقي من العذاب.

○ قوله: «**تكلم الرويبضة في أمر العامة**» والرويبضة: الجاهل الذي ليس عنده علم فيتكلم في أمر العامة بسبب فساد أمر الناس، وإلا فإن الرويبضة لا يتكلم في وقت قوة الإسلام وظهوره.

○ قوله: «**وطعنوا على آثار رسول الله ﷺ**» يعني: الحديث، وأخذوا بالقياس والرأي، وهو يقصد المعتزلة الذين يأخذون بآرائهم وأهوائهم وشهواتهم ويتركون النصوص.

○ قوله: «**وكفروا من خالفهم**» فكل من لم يقل: القرآن مخلوق كافر عند المعتزلة.

○ قوله: «**فدخل في قولهم الجاهل والمغفل**» فالجاهل لجهله تبع المعتزلة والمغفل كذلك، أما صاحب البصيرة والفطنة فلا يقبل قولهم.

إذاً: دخل في قولهم ثلاثة أصناف من الناس:

الصنف الأول: الجاهل.

الصنف الثاني: المغفل.

الصنف الثالث: الذي لا علم له.

○ قوله: «**حتى كفروا من حيث لا يعلمون**» أي: بهذه المقالة الشديدة.

○ قوله: «**فهلكت الأمة من وجوه**» أي: هلكت الأمة من هذا الوجه حيث إنهم صدقوهم وأخذوا بقولهم .

○ قوله: «**وكفرت من وجوه**» يعني: من تبعهم في القول بخلق القرآن.

○ قوله: «**وتزندقت من وجوه**» الزندقة هي النفاق، أي: أن من الناس من كفر، ومن الناس من تزندق وصار منافقاً، ومن الناس من ضل وصار مبتدعاً، والنتيجة أن الأمة هلكت من هذه الوجوه.

○ قوله: «**إلا من ثبت على قول رسول ﷺ وأمره وأمر أصحابه، ولم يخطئ أحداً منهم، ووسعه ما وسعهم، ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم**» أي: لم يرغب عنها بل رغب فيها.

○ قوله: «**وعلم أنهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح**» أي: تيقن أن الصحابة كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح.

○ قوله: «**فقلدهم دينهم واستراح**» يعني: اتبعهم، وليس معناه التقليد بغير بصيرة.

○ قوله: «**وعلم أن الدين إنما هو بالتقليد، والتقليد دين أصحاب محمد ﷺ**» والمراد بالتقليد الاتباع، وإلا فالتقليد مذموم إذا كان بغير بصيرة.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٩٤] واعلم أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن سكت فلم يقل: مخلوق ولا غير مخلوق، فهو جهمي. هكذا قال أحمد بن حنبل.

وقال رسول الله ﷺ: «من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ».

الشرح

○ قوله: «واعلم أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدعومن سكت فلم يقل: مخلوق ولا غير مخلوق، فهو جهمي. هكذا قال أحمد بن حنبل» الإمام أحمد له عبارة مشهورة قريبة من هذه، وهي قوله: «**من قال لفظي بالقران مخلوق فهوجهمي ومن قال لفظي بالقران غير مخلوق فهومبتدع**»[(١)] ومذهب أهل السنة والجماعة

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٥/ ٣٣٩)، وعبدالله بن أحمد في السُّنَّةِ، رقم (١٨١)، وكذا رواه ابن جرير في «صريح السنَّة"» رقم (٣٢)، وعنه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٣٩٢)، والآجري في «الشريعة» (ص٥٣٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٨٨)، وانظر: ما روي عن السلف بنحو ما قال الإمام أحمد «تاريخ بغداد» (٢/ ٣١ - ٣٢) والسير (١٢/ ٢٨٩)، و«السنة للخلال» (٧/ ٦٣-٨٩)، و«أصول الاعتقاد» (٢/ ٣٦٢/ ٥٤٠)، (٢/ ٣٨٨/ ٥٨٩) و«السنَّة»، لابن الطبري (١/ ١٧٩).

أن كلام الله منزل غير مخلوق، والمقصود بكلام الله: لفظه ومعناه، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع؛ لأنه ابتدع قولاً لم يقله أحد من السلف فقد سكتوا ولم يقولوا: اللفظ مخلوق ولا غير مخلوق، فمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فقد ابتدع؛ لمخالفته طريقة السلف، والقرآن كلام الله أنزله على رسوله ﷺ، وأفعالك وأقوالك مخلوقة، لكن لا يصح أن تخصص اللفظ بالقرآن أنه مخلوق، ولا يصح أيضا أن تشك فتقول: لا مخلوق ولا غير مخلوق، بل اجزم بأن القرآن كلام الله أنزله على رسوله ﷺ، فالشاك مبتدع مثل الجهمية، ولا فرق بين الجهمي وبين الشاك، فالذي يتكلم بالبدعة والذي يسكت ولا ينفي البدعة كلاهما مبتدع(١)، والواجب أن نقول ما عليه اتفاق السلف: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق لفظاً ومعنى(٢).

○ قوله: **«وقال رسول الله ﷺ: «من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، وعليكم بسنتي**

---

(١) انظر: في مسألة «اللفظ»: خلق أفعال العباد للبخاري (ص ٧-١٦)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي (١/ ١٥١- ١٨٥)، و«الشريعة»، للآجري (ص ٧٥- ٨٣)، و«درء التعارض» (١/ ٢٥٦-٢٧١)، و«التسعينية» (ص ٢٣٤- ٢٣٥)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ٧٤-٧٥)،(١٢/ ٢٠٦-٢١٠)، (١٢/ ٣٠٦- ٣٠٧)، (١٢/ ٣٥٩-٣٦٤، ٣٧٤، ٤٠٨-٤٣٣)، (١٢/ ٥٧٣-٥٧٤)، (١٧/ ٣٤- ٣٦)، و«شرح العقيدة الأصفهانية» (ص ٣١-٣٦).

(٢) انظر: «السنة»، لعبدالله بن أحمد (١/ ٢٨١)، و«التوحيد»، لابن خزيمة (١/ ٣٤٨)، و«السنة»، لابن أبي عاصم (١/ ٤١٢-٤١٦)، و«الشريعة»، للآجري ص٧٥، و«أصول اعتقاد أهل السنة»، (١/ ٢٢١-٣٠٦)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ١٤٤)، (٣/ ٤٠١)، (١٢/ ٣٧)، (١٢/ ٥٤)، و«منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٩٦)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٧٧- ٣٣٢)، و«لوامع الأنوار البهية» (١/ ١٣٢- ١٤٣).

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ»» وله ألفاظ، فقد روي بلفظ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١)، وفي هذا الحديث التحذير من البدع ومحدثات الأمور وأنها من الضلال، والحث على لزوم السنة، وسنة الخلفاء الراشدين إذا خفيت السنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أما مع وجود السنة فلا، فإذا لم توجد سنة، ووجد قول للخلفاء الراشدين فهو السنة؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن سنة الخلفاء الراشدين سنة بقوله: «**تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، والنواجذ هي الأسنان التي تلي الأضراس، وفي كل فك أربعة نواجذ، اثنان من اليمين، واثنان من الشمال، والمعنى: تمسكوا به، فالشيء الذي يريد الإنسان أن يمسكه يعض عليه بالنواجذ حتى لا ينفلت.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّةِ، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه، المقدمة، رقم (٤٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم في المستدرك (٣٢٩): هذا حديث صحيح ليس له علة. ا.هـ ووافقه الذهبي.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٩٥] واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية: أنهم فكروا في الرب، فأدخلوا: لم؟ وكيف؟ وتركوا الأثر، ووضعوا القياس، وقاسوا الدين على رأيهم، فجاءوا بالكفر عِياناً، لا يخفى أنه كفر، وأكفروا الخلق، واضطرهم الأمر حتى قالوا بالتعطيل.

وقال بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه: الجهمي كافر، ليس من أهل القبلة، حلال الدم، لا يرث، ولا يورث؛ لأنه قال: لا جمعة ولا جماعة ولا عيدين ولا صدقة، وقالوا: إن من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر، واستحلوا السيف على أمة محمد، وخالفوا من كان قبلهم، وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله ولا أحد من أصحابه، وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع، وأوهنوا الإسلام، وعطلوا الجهاد، وعملوا في الفرقة، وخالفوا الآثار وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا بالمتشابه، فشككوا الناس في آرائهم وأديانهم، واختصموا في ربهم، وقالوا: ليس عذاب قبر ولا حوض ولا شفاعة، والجنة والنار لم يخلقا، وأنكروا كثيراً مما قال رسول الله، فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه؛ لأن من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله، ومن رد أثراً عن رسول الله فقد رد الأثر كله، وهو كافر بالله العظيم، فدامت لهم المدة، ووجدوا من السلطان معونة على ذلك، ووضعوا السيف والسوط دون ذلك، فدرس علم السنة والجماعة وأوهنوهما وصارتا

مكتومين؛ لإظهار البدع والكلام فيها، ولكثرتهم، واتخذوا المجالس وأظهروا رأيهم، ووضعوا فيه الكتب، وأطمعوا الناس، وطلبوا لهم الرياسة، فكانت فتنة عظيمة، لم ينج منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه، أو يتابعهم أو يزعم أنهم على الحق، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل، فصار شاكاً، فهلك الخلق، حتى كان أيام جعفر الذي يقال له: المتوكل، فأطفأ الله به البدع، وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنة، وطالت ألسنتهم، مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا. والرسم وأعلام الضلالة قد بقي قوم يعملون بها، ويدعون إليها، لا مانع يمنعهم، ولا أحد يحجزهم عما يقولون ويعملون

الشرح

○ قوله: «واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية أنهم فكروا في الرب» أي: فكروا في ذاته وأسمائه وصفاته، ثم قاسوا الخالق على المخلوق.

○ قوله: «فأدخلوا: لم؟ وكيف؟» أي قالوا: لم؟ واستفهموا في الأفعال: لم فعل كذا، واستفهموا في الصفات، حيث قالوا: كيف استوى؟ وكيف نزل؟ وهذا من جهلهم وضلالهم، وهذه أسئلة فاسدة، ولا يوجه هذا السؤال لأفعاله جل في علاه، فلا يقال: لم جعل هذا غنياً؟ لم جعل هذا فقيراً؟ لم جعل هذا طويلاً؟ لم جعل هذا قصيراً؟ لأن الله حكيم له الحكمة البالغة، فالجهمية هلكت بذلك، أما الصحابة والتابعون ومن بعدهم فهم في عافية من هذا، حيث أنهم لم يأتوا بمثل هذه الأسئلة.

○ قوله: «وتركوا الأثر ووضعوا القياس وقاسوا الدين على

رأيهم» يعني: تركوا النصوص وقاسوا الخالق على المخلوق، وقاسوا أمور الآخرة على أمور الدنيا[(١)]، وقاسوا الدين على آرائهم وشهواتهم.

○ قوله: «فجاءوا بالكفر عياناً، لا يخفى أنه كفر» العيان: المعاينة، أي: فارتكبوا كفراً واضحاً بيناً، يعاينه كل أحد ولا يخفى عليه.

○ قوله: ««وكفروا الخلق واضطرهم الأمر حتى قالوا بالتعطيل» أي: الجهمية، فقد كفروا من لم يوافقهم، ووصل بهم الحال حتى عطلوا الرب من أسمائه وصفاته، وقالوا: ليس له علم ولا سمع ولا بصر ولا إرادة ولا قدرة، وليس فوق العالم ولا تحت العالم، ولا مبايناً للعالم ولا محايداً للعالم، ولا متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عن العالم، وهذا تعطيل كامل.

○ قوله: «وقال بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه: الجهمي كافر، ليس من أهل القبلة، حلال الدم، لا يرث ولا يورث» وهذا مشهور عن كثير من العلماء أنهم كفروا الجهمية، وقد كفّرهم خمسمائة عالم، قال ابن القيم في الكافية الشافية[(٢)]:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

وقوله: «خَمْسُونَ في عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ»، أي: خمسمائة، ومن العلماء من كفر الغلاة والدعاة وعلماءهم، وفسق عامتهم، ومن العلماء من كفرهم جميعاً ومنهم من بدعهم جميعاً؛ وذلك لخبث

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ١٨٠).
(٢) «الكافية الشافية» (ص٤٢).

معتقدهم وفساد قولهم؛ ولأنهم قالوا: إن الرب ليس له صفات ولا أسماء، حتى إنهم نفوا النقيضين عنه جل وعلا، فقالوا: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا مباين له ولا محايد له، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولهذا كفّرهم العلماء.

ومِن كفرهم ما يعتقده الجهم حيث يقول: الإيمان معرفة الرب بالقلب[١]، فإذا عرفت ربك بقلبك فأنت مؤمن، كما يقول بعض الناس: الإيمان في القلب، فنقول: والكفر والنفاق في القلب أيضاً، وإذا وقر الإيمان في القلب عملت الجوارح، وإذا وقر الكفر في القلب لم تعمل الجوارح.

○ قوله: **«لأنه قال لا جمعة ولا جماعة، ولا عيدين ولا صدقة، وقالوا: إن من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر»** إذاً: الجهمية يكفرون من قال: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

○ قوله: **«واستحلوا السيف على أمة محمد ﷺ وخالفوا من كان قبلهم»** لأنهم يرون أنهم كفار، فاستحلوا دماء المسلمين، وخالفوا من كان قبلهم.

○ قوله: **«وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه»** فالمعتزلة امتحنوا الناس في زمن المأمون، وكانوا يأتون إلى كل عالم يسألونه ماذا يقول في خلق القرآن؛ فمن لم يقل: إن القرآن مخلوق فإنه يزج به في السجون ويؤذى، ومن قال منهم: القرآن مخلوق سكتوا عنه، فهم يكفرون من قال: إن

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢١٤)، و«السنة»، لعبدالله بن أحمد (ص٢٣١)، و«الفصل في الملل والنحل» (٣/ ١٠٥-١٠٦)، و«الفرق بين الفرق» (ص ٢٠٢ - ٢٠٧)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ١٩٥)، (٨/ ٢٣٠).

كلام الله منزل غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق فهذا هو المؤمن عند المعتزلة.

○ قوله: «**وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع وأوهنوا الإسلام**» لأنهم يزعمون أن الإيمان في القلب، فلا حاجة إلى الصلاة ولا حاجة إلى المساجد، فأرادوا تعطيل المساجد والجوامع، وأضعفوا الإسلام.

○ قوله: «**وعطلوا الجهاد وعملوا في الفرقة وخالفوا الآثار**» يعني: حاولوا التفريق بين المسلمين، وخالفوا النصوص.

○ قوله: «**وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا بالمتشابه فشككوا الناس في آرائهم وأديانهم، واختصموا في ربهم**» أي: المتشابه من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ومن ذلك قولهم بأن آيات الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله، وإنما الذي لا يعلم معناه هي الكيفية، كما قرر أهل السنة والجماعة[(١)].

○ قوله: «**وقالوا: ليس عذاب قبر ولا حوض، ولا شفاعة، والجنة والنار لم يخلقا**» وقول المعتزلة: إن الجنة والنار ليستا مخلوقتين، بحجة أن خلقهما الآن عبث، ولا أحد يستفيد منهما، وإنما تخلقان يوم القيامة. وما أعملوا عقولهم أن النصوص دلت على أن الجنة والنار مخلوقتان، قال تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤] هذا الأول.

ثانياً: أن الجنة والنار ليستا معطلتين، فالجنة فيها الحور والولدان، ويفتح للمؤمن باب من الجنة في قبره، فيأتيه من روحها

(١) انظر: «شرح حديث النزول» (ص٢١)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٤٧)، (١٣/ ٢٨٥-٢٨٦)، (٢٩٤-٣٠٥)، (١٧/ ٣٧٩)، (١٧/ ٤٢٩).

وطيبها، والنار تعذب فيها أرواح الكفرة، ويفتح للكافر باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، وبهذا يتبين أنهما ليستا معطلتين. وأنكروا عذاب القبر، مع أن النصوص كثيرة في إثباته. وحديث الحوض من الأحاديث المتواترة. وأنكروا الشفاعة وهي متواترة كذلك.

○ قوله: «**وأنكروا كثيراً مما قال رسول الله، فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه**» أي: من أجل أنهم كفروا وشككوا الناس في آرائهم وأديانهم، واختصموا في ربهم، وأنكروا عذاب القبر والحوض والشفاعة وهي أمور متواترة، وردوا النصوص.

○ قوله: «**لأن من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله، ومن رد أثراً عن رسول فقد رد الأثر كله**» وهذا كفر وضلال، فمن رد آية أو حديثاً فهو كافر.

○ قوله: «**فدامت لهم المدة، ووجدوا من السلطان، معونة على ذلكووضعوا السيف والسوط دون ذلك**» أي: أن الجهمية دامت لهم المدة ووجدوا من السلطة في زمن المأمون، معونة على ذلك، ووضعوا السيف على رقاب المسلمين حتى يوافقوا على آرائهم الباطلة، وكذلك ألهبوا ظهور العلماء بالضرب بالسوط؛ لأنهم لم يوافقوهم.

○ قوله: «**فدرس علم السنة والجماعة وأوهنوهما وصارتا مكتومين**» أي: خفي علم السنة والجماعة بسبب ظهور هؤلاء المبتدعة المعتزلة، وإيذائهم المسلمين وتعذيبهم لهم.

○ قوله: «**لإظهار البدع والكلام فيها ولكثرتهم**» فصار علم الكتاب والسنة مكتومين بسبب إظهار البدع والكلام فيها ولكثرتها.

○ قوله: «**واتخذوا المجالس، وأظهروا رأيهم، ووضعوا فيه الكتب**» أي: أن المعتزلة صنفوا الكتب، فلهم كتب يقررون فيها آراءهم.

○ قوله: «وأطمعوا الناس، وطلبوا الرياسة» أطمعوا الناس في أن من تبعهم يولونه ويعطونه من رفدهم.

○ قوله: «فكانت فتنة عظيمة لم ينج منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه، أو يتابعهم أو يزعم أنهم على الحق، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل، فصار شاكاً، فهلك الخلق» هذا هو أدنى ما يصيب الإنسان من مجالستهم، فإما أن يشك في دينه، وإما أن يتابع أهل البدع على بدعتهم، وإما أن يرى أن ما هم عليه هو الحق، فيرى أن آراءهم الفاسدة على الحق، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل، فصار شاكاً.

○ قوله: «حتى كان أيام جعفر الذي يقال له: المتوكل فأطفأ الله به البدع، وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنة» المتوكل رَحِمَهُ اللَّهُ أوقف البدعة التي انتشرت في زمن المأمون وألزم الناس بقول الحق في القرآن، وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وأذن له بالدرس، فعادت المياه إلى مجاريها فرحمه الله.

○ قوله: «وطالت ألسنتهم» أي: أهل السنة، فصار لهم ظهر يحميهم وهو الخليفة.

○ قوله: «مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذاوالرسم وأعلام الضلالة قد بقي قوم يعملون بها، ويدعون إليها، لا مانع يمنعهم ولا أحد يحجزهم عما يقولون ويعملون» أي: وإن كان المتوكل قد نصر أهل السنة إلا أنه بقي شيء لأهل البدع وهو الرسم والعلم فقط، فبقي لأهل البدع وأعلام الضلالة في زمن جعفر المتوكل قوم يعملون بها ويدعون إليها دون وجود مانع ولا حاجز.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٩٦] واعلم أنه لم تجئ بدعة قط إلا من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧]، وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وهم علماء السوء، أصحاب الطمع والبدع.

الشرح

○ قوله: «واعلم أنه لم تجئ بدعة قط إلا من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح» كبدعة الخوارج، وفتنة الجهمية، وبدعة القدرية، وبدعة المعتزلة، فلم تنشأ هذه إلا من الهمج، أي: الجهال الذين لا علم عندهم، والذين يتبعون كل ناعق، فكلما سمعوا شيئاً تبعوه سواء كان على الحق أو على الباطل فليس عندهم بصيرة ولا تمييز، فهؤلاء هم سبب انتشار البدعة؛ لعدم بصيرتهم.

○ قوله: «فمن كان هكذا فلا دين له، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧]» أي: أهل الكتاب ما اختلفوا إلا بعد العلم، والذي حملهم على اختلافهم

البغي، وهذا ذم لأهل الكتاب، وهو تحذير لنا ـ في نفس الوقت ـ حتى لا نفعل مثل فعلهم فيصيبنا ما أصابهم، وسبب الاختلاف هم علماء السوء وأصحاب الطمع والبدع من أهل الكتاب، ومن هذه الأمة أيضاً.

○ قوله: «**وأصحاب الطمع والبدع**» هم الذين يختارون الدنيا بالدين والذين يبيعون آخرتهم بدنياهم، فهؤلاء هم الذين تظهر بسببهم البدع.

وفيه: التحذير من البدع وتحذير أهل العلم من الزيغ والانحراف.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٩٧] واعلم أنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسنة، يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم، ويحيي بهم السنن، فهم الذين وصفهم الله مع قلتهم عند الاختلاف وقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فاستثناهم فقال: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله».

الشرح

○ قوله: «**اعلم أنه لا يزال الناس في عصابة من الحق والسنة، يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم ويحيي بهم السنن**» أي: أن الأمة لا يزال فيها الخير، لا يرفع من هذه الأمة، وهذه بشارة من النبي ﷺ بقوله: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١)، وهي بشارة في أن الخير لا ينقطع من هذه الأمة ولا يرفع منها، بل لابد أن تثبت طائفة على الحق إلى يوم القيامة، إلى أن تأتي الريح الطيبة فتقبض أرواح

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، رقم (٣٦٤١)، ومُسْلِم، كتاب الْإِمَارَةِ، رقم (١٩٢٠).

المؤمنين والمؤمنات.

فهذه الطائفة «**الذين وصفهم الله مع قلتهم عند الاختلاف وقال:** ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فاستثناهم فقال: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣]» فهداهم الله عند الاختلاف أنهم أقاموا على ما جاءت به الرسل[1].

❊ ❊ ❊

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥١٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[٩٨] واعلم رحمك الله أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب.

الشرح

○ قوله: «**واعلم رحمك الله أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب**» فقد يكون إنسان يروي الأحاديث، ويكون له شيوخ كثيرون، وأتباع، كمن لديه مكتبة كبيرة الحجم مليئة بالكتب، لكنه لا يستفيد منها ولا يعمل بما فيها، كالحمار يحمل الأسفار وهي الكتب، وقد مثل الله تعالى أهل الكتاب بذلك، قال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجُمُعَة: ٥].

○ قوله: «**إنما العالم من اتبع العلم والسنن**» فالعالم هو الذي يتبع العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب، إذاً: المهم في العالم اتباع السنة، فمن اتبع السنة فهو العالم، ولو كانت روايته وكتبه قليلة، ومن خالف السنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[٩٩] واعلم رحمك الله أن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم، فهو من المتكلفين، والحق ما جاء من عند الله، والسنة: سنة رسول الله ﷺ، والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة، فلج على أهل البدع كلها، واستراح بدنه، وسلم له دينه إن شاء الله؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي»، وبين لنا رسول الله ﷺ الناجي منها فقال: «ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي»، فهذا هو الشفاء والبيان، والأمر الواضح، والمنار المستنير، وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والتعمق، وإياكم والتنطع، وعليكم بدينكم العتيق».

الشرح

○ قوله: «**واعلم رحمك الله أن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله**» كأن يفسر كلام الله برأيه وقياسه وتأويله الفاسد، وقد ثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن آية في كتاب الله، فقال: «**أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ**»(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٣٦)، والبزار في مسنده (١٨/ ٢٣٦)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١٥٦١)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٥٤٠).

○ قوله: «من غير حجة من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لا يعلم» فالقول على الله بما لا يعلم مرتبة فوق الشرك، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣] فجعل القول على الله بلا علم فوق الشرك؛ لأنه يشمل الشرك ويشمل غيره، فالشرك قول على الله بلا علم.

○ قوله: «ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين» وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦].

○ قوله: «والحق ما جاء من عند الله» أي: في كتاب الله وسنة رسوله، فالقرآن وحي والسنة وحي، يقول النبي ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[(١)]، والله تعالى يقول عن نبيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: ٣-٤] فالحق ما جاء من عند الله، مما أنزله في كتابه أو على لسان رسوله.

○ قوله: «والسنة: سنة رسول الله ﷺ، والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان» فإن كل حق فهو مأخوذ من كلام الله وكلام رسوله، ومن الكتاب والسنة، وسنة الرسول ﷺ هي: قوله وفعله وتقريره.

○ قوله: «ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة فلج على أهل البدع كلها» أي: ظفر وفاز بالمطلوب، وفلج غيره، أي: غلب غيره بالحجة. والجماعة: هم المؤمنون الذين اجتمعوا على الحق، فإذا اقتصر الإنسان على ما جاء

(١) سبق تخريجه.

في القرآن والسنة، وعلى ما كان عليه الصحابة فإنه يفلج أهل البدع، أي: يغلبهم بالحجة ويظفر ويفوز ببغيته.

○ قوله: «**واستراح بدنه، وسلم له دينه إن شاء الله**» وهكذا حال المؤمن الذي يَلزم الكتاب والسنة والجماعة، فهو يظفر بالمطلوب ويفوز به، ويغلب أهل البدع كلهم، ويستريح بدنه ويسلم له دينه.

○ قوله: «**لأن رسول الله قال: «ستفترق أمتي»، وبين لنا رسول الله الناجي منها فقال: «ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي»**» جاء في الحديث السابق: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً**»، **قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»**[1].

○ قوله: «**فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستنير**» أي: هذا الذي بينته لك من أنه يجب الاقتصار على السنة والجماعة، والحذر من أهل البدعة هو الشفاء، وهذا هو البيان.

○ قوله: «**وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والتعمق، وإياكم والتنطع، وعليكم بدينكم العتيق»**» هذا الأثر نسبه المؤلف إلى النبي، ولكنه من قول ابن مسعود رضي الله عنه[2] وسيأتي، والمعنى: أن يتعمق الإنسان ويريد أن يصل إلى ما لم يصل إليه غيره، فيتعمق في السؤال عن الأشياء التي لا يحتاج إليها، وهو قريب من معنى التنطع، فكون

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن وضاح في «البدع» (١/ ٥٩/ ٦٠)، والدارمي في «سننه» (١/ ٢٥١/ ١٤٤)، والمروزي في «السنة» (٢٩/ ٨٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٩٧/ ١٠٨)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٣٦٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٨).

الإنسان يتنطع بلسانه ويتعمق بفكره، فيسأل عن أشياء لا حاجة له بهاخطأ،ومعنى العتيق أي: القديم، وقد استمر الدين صحيحاً لم تدخله البدع والمحدثات منذ وفاة رسول الله إلى مقتل عثمان رضي الله عنه، ثم افترق الناس وانتشرت الأهواء، ولذا ينبغي أن يحذر المسلم من أهل البدع ولا يجالسهم وأن يتبع أهل السنن والآثار.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٠] واعلم أن العتيق ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان بن عفان، وكان قتله أول الفُرقة، وأول الاختلاف، فتحاربت الأمة وتفرقت واتبعت الطمع والأهواء والميل إلى الدنيا، فليس لأحد رخصة في شيء أحدثه مما لم يكن عليه أصحابُ محمد رسول الله ﷺ، أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله أو من قبل رجل من أهل البدع، فهو كمن أحدثه، فمن زعم ذلك أو قال به، فقد رد السنة وخالف الحق والجماعة، وأباح البدع، وهو أضر على هذه الأمة من إبليس.

ومن عرف ما ترك أصحاب البدع من السنة، وما فارقوا فيه فتمسك به فهو صاحب سنة وصاحب جماعة، وحقيق أن يُتبع وأن يعان وأن يحفظ، وهو ممن أوصى به رسول الله ﷺ.

الشرح

○ قوله: «واعلم أن العتيق»، يعني: الثابت، وأصل معنى العتيق: القديم، الذي لم يحصل فيه بدع ولا اختلاف «ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان بن عفان، وكان قتله أول الفُرقة وأول الاختلاف» لأن الصحابة اجتمعوا على هذا الدين ولم تدخل الفتن والاختلافات، ولم يتمكن أهل البدع من التسلل إليهم وإحداث الفرقة بينهم منذ وفاة النبي ﷺ إلى قتل عثمان، ثم لما قُتل عثمان

فُتح باب الفتن، إذ إن الثوار أحاطوا ببيت أمير المؤمنين عثمان وقتلوه، بعد أن أشاع عبدالله بن سبأ أن أهل البيت مظلومين، وبعد أن أشاعوا عيوباً لعثمان رضي الله عنه، فتجمع عدد من السفهاء في الشام وفي مصر وفي الكوفة، ثم جاءوا وأحاطوا ببيت أمير المؤمنين وقتلوه رضي الله عنه، فحصلت الفتن، وخرجت الخوارج، ووُجدت الشيعة، فكان قتله أول الفرقة وأول الاختلاف، فتحاربت الأمة، وبعد ذلك بايع أكثر أهل الحل والعقد أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه، وامتنع أهل الشام مع معاوية عن البيعة وحصل الخلاف والفرقة، ثم ظهرت الخوارج.

○ قوله: «**وتحاربت الأمة وتفرقت، واتبعت الطمع والأهواء، والميل إلى الدنيا**» والمراد غير الصحابة، فقد اتبع الناس الطمع والأهواء والميل إلى الدنيا ممن دخلوا في الإسلام حديثاً، ومن الشباب الذين نشئوا، أما الصحابة فلهم فضلهم ولهم سابقتهم وجهادهم واجتهادهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

○ قوله: «**فليس لأحد رخصة في شيء أحدثه مما لم يكن عليه أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**» لا يرخص للإنسان في البدع التي أحدثوها في شيء لم يكن عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

○ قوله: «**أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله أو من قبل رجل من أهل البدع فهو كمن أحدثه**» كذلك أن يدعو الإنسان إلى بدعة أحدثها سابق له، لأن الراضي كالفاعل، ولأن الداعي إلى الشيء راضٍ به، فمن أحدث بدعة فهو مبتدع، ومن دعا إلى بدعة سابقة فهو كمن أحدثها.

○ قوله: «**فمن زعم ذلك أو قال به فقد رد السنة وخالف الحق**

والجماعة وأباح البدع» يعني: من دعا إلى البدع التي أحدثها غيره فقد رد السنة والجماعة وهي ما كان عليه رسول الله وأصحابه، حيث إنه دعا إليها أو أحدثها.

○ قوله: «**وهو أضر على هذه الأمة من إبليس»** وهذا الكلام فيه نظر، فكون الذي يدعو إلى البدعة أخطر على الأمة من إبليس فيه نظر؛ لأن البدعة لا تكفر صاحبها فلا يكون أضر من إبليس؛ لأن إبليس يدعو إلى الكفر، فكل كفر وكل زندقة وكل إلحاد وكل شر وفساد يدعو إليه إبليس، فلا يقال: إن من دعا إلى البدعة أضر على هذه الأمة من إبليس، لأن إبليس يدعو كل أحد، ولأنه يدعو إلى الكفر وإلى الإلحاد، وهو فوق البدعة.

○ قوله: «**ومن عرف ما ترك أصحاب البدع من السنة وما فارقوا فيه فتمسك به فهو صاحب سنة وصاحب جماعة»** أي: أن من عرف السنة التي تركها أصحاب البدع، وفارقوا فيها الجماعة، فتمسك بها، فهو صاحب سنة وصاحب جماعة.

○ قوله: «**وحقيق أن يتبع وأن يعان وأن يحفظ، وهو ممن أوصى به رسول الله ﷺ»** أي: جدير وينبغي أن يتبع، وأن يعان ويحفظ؛ لكونه لزم السنة؛ فقد أوصى رسول الله ﷺ بلزوم الجماعة، وأوصى باتباع الحق، وأوصى بقبول الحق ممن جاء به

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠١] واعلموا رحمكم الله أن أصول البدع أربعة أبواب: انشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى، ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب، حتى تصير كلها إلى ألفين وثمانمائة مقالة، وكلها ضلالة، وكلها في النار إلا واحدة، وهو من آمن بما في هذا الكتاب، واعتقده من غير ريبة في قلبه ولا شكوك، فهو صاحب سنة، وهو الناجي إن شاء الله.

الشرح

لم يذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأربعة أبواب، وهذه الأربعة هي: القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج، وقد قال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعَةٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ طَائِفَةً، فَذَلِكَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ، الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هِيَ النَّاجِيَةُ**»(١)، وجاء نحوه عن ابن المبارك ـ كما سيذكره المؤلف لاحقا ـ(٢)، قال شيخ الإسلام: «وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من

(١) أخرجه الآجُرِّيّ في «الشريعة» (١/ ٣٠٣/ ٢٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٧٦/ ٢٧٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٦٣/ ٩٥٣).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٧٦/ ٢٥٧)، وانظر: «المسألة [١٤٨] من هذا الكتاب.

بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط ثم عبدالله بن المبارك وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين»[(١)] وهذه هي أصول البدع، فالقدرية هم الذين أنكروا القدر ونفوا قدر الله، والمرجئة هم الذين نفوا أن الأعمال مطلوبة، وذكر غيره أن أصول البدعة خمسة وزاد الجهمية، ثم تتشعب بقية الفرق، وتكون ثلاثة وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة.

○ قوله: «**انشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى**» أي: تفرع من الفرق الأربع اثنان وسبعون فرقة، وهي التي قال فيها النبي ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً**»، **قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»**[(٢)].

○ قوله: «**«ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب، حتى تصير كلها إلى ألفين وثمانمائة مقالة**» وهذا التحديد فيه نظر، فالمقالات ليس لها حد، والأقوال لا تنحصر، ومعنى الكلام: أن الفرقة تتشعب إلى أقوال متعددة، فقد تكون فرقة واحدة لها عدة أقوال، وكلها ضلالة وكلها في النار إلا واحدة، وهي التي قال فيها النبي ﷺ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»، فلا يصح تحديد الأقوال، أما الفِرق فالرسول حددها وأنها ثلاث وسبعون فرقة.

○ قوله: «**وكلها ضلالة، وكلها في النار إلا واحدة**» والضمير يعود إلى الواحدة التي سلمت من النار.

○ وقوله: «**وهو من آمن بما في هذا الكتاب واعتقده من غير**

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٠).
(٢) سبق تخريجه.

ريبة في قلبه ولا شكوك، فهو صاحب سنة، وهو الناجي إن شاء الله» أي: كتاب المؤلف، وكان أولى بالمؤلف أن يقول: وهو من آمن بالكتاب والسنة، وعمل بالكتاب والسنة، واستقام على الدين؛ لأن هذا الكتاب من وضعه، ووضع البشر معرض للخطأ، وفيه أقوال ضعيفة كما سمعتم، وأقوال مرجوحة، ولكنه استثنى، وكان الأولى بالمؤلف أن يقول: إن شاء الله أن من آمن بما في هذا الكتاب واعتقده من غير ريبة ولا شكوك فهو صاحب سنة، وهو الناجي إن شاء الله، ليجعل بذلك الخيار لله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٢] واعلم رحمك الله لو أن الناس وقفوا عند محدثات الأمور ولم يتجاوزوها بشيء ولم يولدوا كلاماً مما لم يجئ فيه أثر عن رسول الله ولا عن أصحابه لم تكن بدعة.

الشرح

في هذا بيان من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لسبب البدع وهو أن أهل البدع ولدوا وشققوا الكلام، وتكلموا في شيء ليس فيه أثر عن رسول الله ولا عن أصحابه، وقد جاء أن تشقيق الكلام من الشيطان(١).

○ قوله: «**لو أن الناس وقفوا عند محدثات الأمور ولم يتجاوزوها**» أي: وقفوا عند السنة، وهي سنة النبي ﷺ، وعند النصوص، ولم يتجاوزوها إلى محدثات الأمور لم تحصل البدع،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥٦٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧٥)، وابن حبان (٥٧١٨)، وعبدالرزاق (٤٤٨١)، والهروي ذم الكلام وأهله (٣/ ٢٠١)، وقد بوب عليه ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «ذكر الزجر عن تشقيق الكلام في الألفاظ إذا قصد به غير الدين».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٨٧٦) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إن كثرة الكلام في الخطب من شقاشق الشيطان»، وروي مرفوعا عند ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٨٢٠)، وموقوفا على ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في الأدب لابن أبي شيبة (٧١)، وروي لعن من يشقق الكلام، كما عند أحمد (١٦٩٠٠)، ووكيع في «الزهد» (١٦٩) و(٢٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٨).

لكن مقصود المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنهم وقفوا عند محدثات الأمور، أي: قبل أن تحدث البدع، ولم يتجاوزوا النصوص من الكتاب والسنة إلى محدثات الأمور.

○ قوله: «**ولم يولدوا كلام مما لم يجئ فيه أثر عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه لم تكن بدعة**» فهذه هي أسباب البدعة.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٣] واعلم رحمك الله أنه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمناً حتى يصير كافراً إلا أن يجحد شيئاً مما أنزله الله تعالى، أو يزيد في كلام الله، أو ينقص، أو ينكر شيئاً مما قال الله، أو شيئاً مما تكلم به رسول الله ﷺ، فاتق الله رحمك الله وانظر لنفسك، وإياك والغلو في الدين، فإنه ليس من طريق الحق في شيء.

الشرح

○ قوله: «**واعلم رحمك الله أنه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمناً حتى يصير كافراً**» أي: ليس بين العبد وبين الكفر إلا إذا فعل هذه الأمور، وأن المؤمن يحكم عليه بالإيمان إلا أن يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام، أو أن يفعل كفراً أو ردة. ومثل للأشياء التي يرتد بها الإنسان.

○ قوله: «**إلا أن يجحد شيئاً مما أنزله الله تعالى، أو يزيد في كلام الله، أو ينقص، أو ينكر شيئاً مما قال الله، أو شيئاً مما تكلم به رسول الله ﷺ**» أي: يجحد آية من آيات الله، كأن يجحد آية الاستواء، أو يجحد فرضاً من فرائض الإسلام، أو يجحد خبراً أخبر الله به، أو يجحد الجنة أو النار وينكر وجودها، أو يزيد في كلام الله متعمداً، فمن زاد في كلام الله حرفاً ونسبه إلى كلام الله كفر، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ

عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٧٩] أو ينقص شيئاً من كلام الله فيحذف شيئاً من كلام الله متعمداً، أو ينكر شيئاً مما قال الله ﷻ، أو ينكر شيئاً من كلام الرسول ﷺ بعد ثبوته، فيكون كافراً؛ لأن الأصل أن المؤمن يبقى على إيمانه، إلا إذا فعل ناقضاً من نواقض الإسلام أو مكفراً من المكفرات السابقة.

○ قوله: **«فاتق الله رحمك الله»** أي: اجعل بينك وبين غضب الله وسخطه وناره وقاية تقيك، وهذا لا يكون إلا بتوحيد الله وإخلاص العبادة له والعمل بالسنة وترك البدعة، وطريق التقوى أن تعبد الله مخلصاً له الدين، وأن تعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وحينئذ تكون قد اتقيت الله.

○ قوله: **«وانظر لنفسك»** أي: انظر في الشيء الذي يخلصك من عذاب الله وسخطه، وهو لزوم الكتاب والسنة، والبعد عن البدع.

○ قوله: **«وإياك والغلو في الدين فإنه ليس من طريق الحق في شيء»** أي: لا تغل بأن تتجاوز الحد في الأقوال والأفعال، قال الله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النِّسَاء: ١٧١]، فالغلو ليس من طريق الحق.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٤] وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب، فهو عن الله، وعن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه وعن التابعين، وعن القرن الثالث إلى القرن الرابع، فاتق الله يا عبد الله، وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض والرضا بما في هذا الكتاب، ولا تكتم هذا الكتاب أحداً من أهل القبلة، فعسى يردّ الله به حيراناً عن حيرته، أو صاحب بدعة عن بدعته، أو ضالاً عن ضلالته؛ فينجو به.

فاتق الله، وعليك بالأمر الأول العتيق، وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب، فرحم الله عبداً ورحم والديه قرأ هذا الكتاب وبثه وعمل به ودعا إليه، واحتج به، فإنه دين الله ودين رسول الله ﷺ، فإنه من انتحل شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب؛ فإنه ليس يدين لله بدين، وقد رده كله، كما لو أن عبداً آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى إلا أنه شك في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى وهو كافر، كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها، إلا بصدق النية وخالص اليقين، كذلك لا يقبل الله شيئاً من السنة في ترك بعض، ومن ترك من السنة شيئاً فقد ترك السنة كلها.

فعليك بالقبول، ودع عنك المحك واللجاجة؛ فإنه ليس من دين الله في شيء، وزمانك خاصة زمان سوء، فاتق الله.

الشرح

○ قوله: «وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب فهو عن الله،

وعن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه، وعن التابعين، والقرن الثالث، وإلى القرن الرابع» وهذا الكلام فيه مبالغة من المؤلف رحمه الله؛ لأن هناك بعض المسائل ضعيفة كما مر معنا، وليس لها دليل في الكتاب، أو ليس لها دليل في السنة، فالمراد أغلب ما وصفت لك، لأن أغلب ما في هذا الكتاب له دليل من الكتاب، أو من السنة، أو من الصحابة، أو من التابعين.

○ قوله: «**فاتق الله يا عبد الله!**» فكرر الأمر بالتقوى لأهميتها، والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وكلامه عام، فكل مؤمن هو عبد الله.

○ قوله: «**وعليك بالتصديق والتسليم**» أي: التصديق لكلام الله وكلام رسوله، والتسليم لأمر الله وأمر رسوله وعدم الاعتراض.

○ قوله: «**والتفويض**» أن يفوض الإنسان علم ما لا يعلم إلى الله، كتفويض كيفية الصفات وكيفية أمور الآخرة إلى الله.

○ قوله: «**والرضا بما في هذا الكتاب، ولا تكتم هذا الكتاب أحداً من أهل القبلة فعسى يرد الله به حيراناً عن حيرته، أو صاحب بدعة عن بدعته، أو ضالاً عن ضلالته فينجو به**»، المؤلف يأمر ببث هذا الكتاب.

○ قوله: «**فاتق الله وعليك بالأمر الأول العتيق**» وهو ما كان عليه الرسول وأصحابه، وقد جاء ابن مسعود رضي الله عنه: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ سَتُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مُحْدَثَة فَعَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ**»(١)

(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٣/ ٢٠١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إِيَّاكَ وَالْبِدَعَ وَالتَبَدُّعَ وَالتَّنَطُّعَ وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْعَتِيقِ**»[(١)]، وعن أبي العالية: «**إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ فَإِنَّهَا تُورِثُ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَعَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ**»[(٢)]، **وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب**» وهذا أيضاً مبالغة من المؤلف رحمه الله؛ لأن هذا الكتاب فيه بعض الأمور التي ليس لها دليل، والمراد أغلب ما في هذا الكتاب.

○ قوله: «**فرحم الله عبداً ورحم والديه قرأ هذا الكتاب، وبثه وعمل به ودعا إليه واحتج به فإنه دين الله ودين رسوله**» أي: نشره، وهذا غلط من المؤلف رحمه الله، فهذا الكتاب ليس دين الله ودين رسوله، فدين الله ورسوله ما جاء في القرآن العزيز، وسنة رسوله ﷺ، أما هذا فكلام المؤلف رحمه الله، وفهمه من نصوص الكتاب والسنة، وهو من وضع البشر، والبشر يخطئون ويصيبون.

○ قوله: «**فإنه من انتحل شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب فإنه ليس يدين لله بدين**» فيه: مبالغة من المؤلف، فقد مرت معنا أشياء ضعيفة تخالف الصواب، وليس معنى ذلك أن الإنسان لو خالف في مسألة أو مسألتين أو بعض المسائل أنه يخرج من الدين، ولا يدين لله بدين، فلا يكون ذلك إلا إذا أشرك أو فعل ناقضاً من نواقض الإسلام، ومن الخطأ أن يجزم المؤلف بذلك، فقد ذكر في الكتاب مثلاً مسألة تحريم زواج امرأة بغير ولي، والحنفية يرون جواز ذلك،

---

(١) أخرجه المصنف لابن أبي شيبة (٣٦٠٢٤)، والدارمي (١٧٤)، و«الإبانة الكبرى»، لابن بطة (١/ ٣٣٠/ ١٨٢)، و«ذم الكلام وأهله» (٣/ ٢٠٢)، و«الباعث على إنكار البدع والحوادث»، لأبي شامة (ص١٥)، و«إتحاف المهرة» (١٠/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه أبونعيم، الحلية (٢/ ٢١٨)، والهروي، ذم الكلام وأهله (٥/ ١).

فلا يعني هذا كفرهم.

○ قوله: «وقد رده كله» فمن استحل شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب ألزمه المؤلف بأنه ليس يدين لله بدين، وقد رده كله، وهذا ليس بصحيح، بل قد يخالف الإنسان شيئاً من هذا الكتاب مما ليس عليه دليل، أو مستنداً إلى حديث ضعيف، فيخالفه، ولا يلزمه أنه رده كله، فإذا رد الأشياء الضعيفة لا يلزم من هذا أنه رده كله.

ثم شبه ذلك فقال: «كما لو أن عبداً آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى، إلا أنه شك في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى وهو كافر» وهذا صحيح، فمن آمن بجميع ما قال الله ثم شك في حرف متعمداً وليس له شبهة، أو شك في حرف من كلام الله فقد رد القرآن كاملاً.

○ قوله: «كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بالنية، وخالص اليقين»، لا بد أن يقولها الإنسان عن صدق وإخلاص، كما جاء في الحديث: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[(١)]، وفي لفظ: «**مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[(٢)]، وفي لفظ: «**غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(٣)].

○ قوله: «كذلك لا يقبل الله شيئاً من السنة في ترك بعض ومن ترك شيئاً من السنة فقد ترك السنة كلها» هذا ليس بصحيح، بل إذا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، رقم (٢٢٠٦٠)، وابن حبان في صحيحه، رقم (٢٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٢٤٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٢٠٤٥).

(٣) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٢٧).

ترك بعض المسائل الفرعية فلا يلزم من ذلك أن يكون قد ترك الدين، فلا يلزم أنه إذا حلق اللحية أن يكون ترك الدين كله، وترك السنة كلها، بل إنه عاصٍ.

إلا إذا لم يقبله ويؤمن به، كما قال الإمام أحمد في أصول السنة: «**ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها**»(١)، وبنحوه عن علي بن المديني(٢)، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا تجد أحدا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئا من السنة كما جاء في الحديث: «**ما ابتدع قوم بدعة إلا تركوا من السنة مثلها**» رواه الإمام أحمد(٣). وقد قال تعالى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المَائدة: ١٤]»(٤)، وقد قال سفيان بن عيينة: «**السُّنَّةُ عَشَرَةٌ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ السُّنَّةَ، وَمَنْ تَرَكَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ: إِثْبَاتُ الْقَدَرِ، وَتَقْدِيمُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَالْحَوْضُ، وَالشَّفَاعَةُ، وَالْمِيزَانُ، وَالصِّرَاطُ، وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَعَذَابُ الْقَبْرِ،**

---

(١) أصول السنة (ص١٧).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٨٥/ ٣١٨).
(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٧٠) من حديث غضيف بن الحارث الثمالي قال: بَعَثَ إِلَيَّ عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، فَقَالَ: يَا أَبَا أَسْمَاءَ، إِنَّا قَدْ جَمَعْنَا النَّاسَ عَلَى أَمْرَيْنِ، قَالَ: وَمَا هُمَا؟ قَالَ: رَفْعُ الْأَيْدِي عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْقَصَصُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُمَا أَمْثَلُ بِدْعَتِكُمْ عِنْدِي، وَلَسْتُ مُجِيبَكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُمَا قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ**» فَتَمَسُّكٌ بِسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ إِحْدَاثِ بِدْعَةٍ، وقد أخرجه المروزي في «السنة» (ص٢٧)، والبزار (١٣١) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٨).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٣).

وَالْبَعْثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقْطَعُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى مُسْلِمٍ»[(١)].

○ قوله: **«فعليك بالقبول، ودع عنك المحك واللجاجة فإنه ليس من دين الله في شيء»** أي: اترك اللجاجة والخصومة والجدال فإنه ليس من الدين.

○ قوله: **«وزمانك خاصة زمان سوء»** وهذا في زمان المؤلف، في القرن الرابع الهجري، فكيف لو رأى القرن الخامس عشر؟!

○ قوله: **«فاتق الله»**، أي: بالاستقامة على دين الله، وإخلاص العبادة لله، حتى تسلم من غضب الله.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٧٥/ ٣١٦).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٠٥] وإذا وقعت الفتنة، فالزم جوف بيتك، وفر من جوار الفتنة، وإياك والعصبية، وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة، فاتق الله وحده لا شريك له، ولا تخرج فيها، ولا تقاتل فيها، ولا تهو ولا تشايع ولا تمايل، ولا تحب شيئاً من أمورهم، فإنه يقال: من أحب فعال قوم ـ خيراً كان أو شراً ـ كان كمن عمله، وفقنا الله وإياكم لمرضاته، وجنبنا وإياكم معصيته.

الشرح

○ قوله: «**إذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك، وفر من جوار الفتنة**» أي: كالقتال بين المسلمين، فالزم بيتك ولا تخرج مع الفتنة، وهذا مأخوذ من حديث: «**إِيَّاكُمْ وَالْفِتَنَ**»[(١)]، وجاء في الحديث الحسن: «**كَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، يَعْنِي فِي الْفِتْنَةِ، وَالْزَمُوا أَجْوَافَ الْبُيُوتِ، وَكُونُوا فِيهَا كَالْخَيِّرِ مِنْ ابْنَيِ آدَمَ**»[(٢)]، وفي الحديث الآخر: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ**

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، رقم (٣٩٦٨)، ونعيم بن حماد في الفتن، رقم (٣٥١).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتن، رقم (٤٢٥٩)، والترمذي، أَبْوَابُ الْفِتَنِ، باب مَا جَاءَ فِي اتِّخَاذِ سَيْفٍ مِنْ خَشَبٍ فِي الفِتْنَةِ، رقم (٢٢٠٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وابنُ ماجه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتن، رقم (٣٩٦١).

مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ»[(١)]، وفي الحديث الآخر: «فَإِنْ أَدْرَكَكَ ذَاكَ، فَكُنْ عَبْدَاللهِ الْمَقْتُولَ وَلَا تَكُنْ عَبْدَاللهِ الْقَاتِلَ»[(٢)]، ولا تكن مع الناس في القتال؛ فلا تشترك معهم في الفتنة؛ كما جاء في الحديث: «إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ»[(٣)].

○ قوله: «وفر من جوار الفتنة»، فلا تكن بجوارها، سواء كانت هذه الفتنة: فتنة الحروب، أو فتنة الشبهات، أو فتنة الشهوات.

○ قوله: «وإياك والعصبية» أي: لا تتعصب لقبيلتك، ولا لأقاربك.

○ قوله: «وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة» ولو كان قتال العصبية فهذا من الفتن، وهو من الأعمال الكفرية، قال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[(٤)]، والمراد: أن القتال بين المسلمين على

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم (٣٦٠١)، ومُسْلِم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٨٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»، رقم (٢١٠٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٧٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٨٥/ ٣٧٤٣٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٢١٥).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤١)، والترمذي، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٥٨)، وابنُ ماجه، كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المَائدة: ١٠٥]، رقم (٤٠١٤)، وقال الحاكم(٧٩١٢): هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، رقم (١٢١)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٦٥).

الدنيا من الكفر الأصغر.

○ قوله: «**فاتق الله وحده لا شريك له، ولا تخرج فيها**»، أي: في الفتنة «**ولا تقاتل فيها**».

○ قوله: «**ولا تهو**» بأن تحب القتال «**ولا تشايع ولا تمايل، ولا تحب شيئاً من أمورهم، فإنه يقال: من أحب فعال قوم ـ خيراً كان أو شراً ـ كان كمن عمله**» من شايع أهل الفتن وافقهم، ولا تحب شيئاً من أمورهم، ولا من أمور أهل العصبية وأهل الجاهلية وأهل البدع، فإنه يقال: من أحب فعال قوم ـ خيراً كان أو شراً ـ كان كمن عمله.

○ قوله: «**وفقنا الله وإياك لمرضاته**» وهو ما يرضي الله وهو التوحيد، وإخلاص الدين له، ولزوم السنة وترك البدعة والمنكرات «**وجنبنا وإياكم معصيته**».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٦] وأقل النظر في النجوم إلا ما تستعين به على مواقيت الصلاة، واله عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة.

الشرح

○ قوله: «**أقل النظر في النجوم إلا ما تستعين به على مواقيت الصلاة**» أي: لا تنظر في النجوم. **والنظر في النجوم له أحوال ثلاثة:**

الحالة الأولى: النظر في النجوم معتقداً أنها مؤثرة في الحوادث الأرضية، من الحروب، والأمراض، والأمطار، وغلاء الأسعار، وقيام الدول وزوالها، فهذا شرك أكبر في الربوبية، وهو شرك قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذين بعث فيهم وهم الصابئة، فقد كان يعتقد الواحد منهم أن النجوم هي المؤثرة في الحوادث الأرضية.

الحالة الثانية: أن ينظر في النجوم ويدعي بها علم الغيب، ولا يعتقد أنها مؤثرة، بل يعتقد أن المؤثر هو الله، لكن يستدل بها على دعوى الغيب، فإذا اجتمعت النجوم أو افترقت، أو غابت أو طلعت، استدل بذلك على علم الغيب، وقال: إذا طلع النجم الثاني نزل المطر، أو غاب النجم الثاني ارتفعت الأسعار، أو إذا طلع النجم الثاني ولد عظيم أو مات عظيم، وهذه أيضاً دعوى بعلم الغيب، وهي كفر.

الحالة الثالثة: علم التسيير، بأن ينظر في النجوم ليستدل به على معرفة القبلة، فينظر في النجوم لمعرفة فصول السنة، ومعرفة أوقات البذر للفلاحين والمزارعين، ومعرفة أوقات الصلوات،أو ينظر في النجوم ليعرف الطرق يهتدى بها في البر أو في البحر، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦] قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ**»(١)، فهذا لا بأس به في أصح أقوال العلماء، ومع ذلك فإن بعض العلماء منع ذلك؛ سداً للذريعة، قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «**وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا. وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ**»(٢).

والصحيح أن هذا النوع لا بأس به، أما النوع الأول والثاني فيقال له: علم التأثير، وهذا هو مقصود المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ قوله: «**والهُ عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة**»، أي: تشاغل واترك ما سوى ذلك؛ فإنه يدعو إلى الزندقة والنفاق.

---

(١) أَخرَجَهُ البخَارِي معلقاً، كتاب بَدْءِ الخَلْقِ، بَابٌ فِي النُّجُومِ (٤/ ١٠٧).
(٢) «كتاب التوحيد» (١/ ٨٤)، وانظر: «بيان فضل علم السلف على علم الخلف»، لابن رجب (١/ ٢).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٧] وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس.

الشرح

○ قوله: «وإياك والنظر في الكلام» أي: الخوض في الكلام مثل ما خاض الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فقد تكلموا في الصفات وفي الأسماء.

○ قوله: «والجلوس إلى أصحاب الكلام» فلا تجلس معهم؛ لئلا يضروك ويُعدوك.

○ قوله: «وعليك بالآثار وأهل الآثار» أي: النصوص والأحاديث.

○ قوله: «وإياهم فاسأل» أي: اسأل أهل الحديث، فإذا أشكل عليك شيء فاسأل أهل الحديث؛ لأن كل مسألة تحتاج إلى دليل من الحديث.

○ قوله: «ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس» وكما قال الإمام الشافعي: «**لَئِنْ يُبْتَلَى الْمَرْءُ بِكُلِّ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مَا عَدَا الشِّرْكِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْكَلَامِ**»(١)، وقال: «**مَا ارتدى أحد بالْكلام**

(١) أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٣٩/ ١٧٨٩).

فأفلح»[(١)]، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا**»[(٢)]، وقال أيضاً: «**لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ كَلَامٍ، وَإِنْ ذَبَّ عَنِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَؤُولُ أَمْرُهُ إِلَى خَيْرٍ**»[(٣)]، وقال: «**كُلُّ مَنْ كَانَ صَاحِبَ كَلَامٍ، فَلَيْسَ يَنْزِعُ إِلَى خَيْرٍ**»[(٤)]، وكل هذه النصوص فيها تحذير من أهل الكلام.

❁ ❁ ❁

(١) «تحريم النظر في كتب الكلام»، لابن قدامة (ص٤١).

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤١/ ١٧٩٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٣٩/ ٦٧٥)، (٥/ ٣٥٥/ ١٦٤)، (٦/ ١٢٨/ ٤٠٣)، وبنحوه عن أبي حاتم وأبي زرعة، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٢٠١/ ٣٢٢)، وعن معاوية بن قرة، «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥٣٩/ ٦٧٧).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٢٠/ ٦٧٩).

(٤) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥/ ٣٣٨/ ١٤٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٨] واعلم أنه ما عُبِدَ الله بمثل الخوف من الله، وطريق الخوف والحزن والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أنه ما عُبِدَ الله بمثل الخوف من الله**» فالإنسان يعبد الله بالخوف ويعبده أيضاً بالرجاء والحب، وهذه أركان العبادة؛ فالإنسان يخاف من ذنوبه ومعاصيه، إلا أن هذا الخوف يرافقه الرجاء؛ حتى لا يكون سيء الظن بالله؛ لأنه لو لم يكن معه رجاء لصار الخوف يؤدي به إلى القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وسوء الظن بالله، لكن الرجاء يمنعه. وكذلك على الإنسان أن يرجو الله، إلا أن هذا الرجاء يرافقه خوف؛ ولو لم يكن كذلك لاستخف الإنسان إتيان المعاصي، ولهذا يقول العلماء: إنه لا بد من هذه الأركان الثلاثة: حب، وخوف، ورجاء، ومن عبد الله بواحد منها فإنه لم يعبد الله، فمن عبد الله بالحب وحده كان زنديقاً، فإن هذه طريقة الزنادقة الصوفية، كما يذكر في كتب الوعظ عن رابعة العدوية أنها قالت: «**ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباً له وشوقاً إليه**»(١)، وهذا غلط، فالله تعالى قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

(١) أوردها لغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣١٠).

وَرَهَبًاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عن المتقين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] فلا بد من الرجاء والخوف.

○ قوله: «**وطريق الخوف والحزن والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى**» كما سبق أنه لا بد أن يكون مع الخوف رجاء وحب؛ لأن الخوف وحده يوصل إلى التشاؤم، وسوء الظن بالله والقنوط، ولا بد أن يكون مع الرجاء خوف حتى لا يسترسل الإنسان في المعاصي.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٠٩] واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة، ومن يخلو مع النساء وطريق المذهب، فإن هؤلاء كلهم على الضلالة.

الشرح

○ قوله: «**احذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة**» وهم الصوفية، فهم يدعون إلى المحبة فقط، بدون خوف وبدون رجاء، كما تقدم عن رابعة العدوية أنها قالت: «**ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباً له وشوقاً إليه**»[1]، وبعضهم يذكر العشق والعياذ بالله، ولم يأت في وصف المحبة العشق، إنما جاءت المحبة والود والخلة، فالصوفية يزعمون أن عندهم الشوق إلى الله وعشق الله، قبحهم الله.

فالمؤلف يقول: احذر أن تجلس مع من يدعو إلى هذا؛ لأنهم على الباطل.

○ قوله: «**ومن يخلو مع النساء**» لأنها وسيلة للفاحشة، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ الْفِتَنِ، باب مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ، رقم (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب كَرَاهِيَةِ الشَّهَادَةِ لِمَنْ لَمْ يَسْتَشْهِدْ، رقم (٢٣٦٣)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

❍ قوله: «**وطريق المذهب، فإن هؤلاء كلهم على الضلالة**» لعله يقصد مذهب الصوفية، فمن يدعو إلى الشوق وحده، ومن يخلو بالنساء فهو على ضلالة.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٠] واعلم رحمك الله أن الله تبارك وتعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته، ومنَّ بعد ذلك على من شاء بالإسلام تفضلاً منه.

الشرح

○ قوله: «**واعلم**» أي: تيقن، وهو حفظ الذهن الجازم.

○ قوله: «**رحمك الله**» دعاء بالرحمة، أي: أسأل الله أن يرحمك.

○ قوله: «**أن الله تبارك وتعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته**» وهذا لا شك فيه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النِّسَاء: ١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [الحَجّ: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمَان: ٣٣]، فالله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته، فكلهم مأمورون بتقوى الله وعبادته.

○ قوله: «**ومنَّ بعد ذلك على من شاء بالإسلام تفضلاً منه**» فمنهم من أسلم، ومنهم من كفر.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١١] والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير، ومن كان معهم، ولا تخاصم فيهم، وكل أمرهم إلى الله تبارك تعالى، فإن رسول الله ﷺ قال: «إياكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني».

وقوله: «إن الله تبارك تعالى نظر إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم».

الشرح

○ قوله: **«والكف عن حرب علي ومعاوية»** إذاً يجب عليك أن تكف عن الكلام في الحروب التي حصلت بين علي ومعاوية، ولا تتكلم فيهم؛ فإن هذا وقع عن اجتهاد، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر.

○ قوله : **«وعائشة وطلحة والزبير، ومن كان معهم»** وكذلك ما حصل بين عائشة وطلحة والزبير لما جاءوا إلى المطالبة بدم عثمان، ثم وقعت واقعة الجمل، وكذلك من كان معهم، فلا يجوز للإنسان أن يتكلم فيهم.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر الاجتهاد وفاته أجر الصواب، ولهم من الحسنات والسبق إلى الإسلام، وصحبة رسول الله ﷺ، والجهاد في سبيله، ونشر دين الإسلام، ما يغطي ما صدر منهم من الهفوات.

وهذه الأخبار التي تذكر في كتب التاريخ عن الصحابة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: «هذه الآثار المروية في مساويهم؛ منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه. والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون»[(١)].

فهذه أقسام الأخبار التي تروى عن الصحابة:

١- قسم كذب لا أساس له من الصحة.

٢- قسم له أصل، لكن زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه.

٣- قسم صحيح، وهذا الصحيح هم فيه ما بين:

أ- مجتهد مصيب له أجران.

ب- مجتهد مخطئ له أجر واحد.

○ قوله: **«ولا تخاصم، وكِل أمرهم إلى الله تبارك وتعالى»** أي: فوض أمرهم إلى الله، فإن رسول الله ﷺ.

○ قوله: **«فإن رسول الله قال: «إياكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني»»**[(٢)]، هذا الحديث لا يصح.

○ قوله: **«أصحابي»** جمع صاحب، والصحابي أصح ما وقفت عليه من ذلك: أن الصحابي من لقي النبي مؤمنًا به، ومات على الإسلام[(٣)]، من لقي النبي ﷺ مؤمناً ولو لحظة ومات على الإسلام.

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص١٢٠).

(٢) وقفت على رواية للطبراني في معجمه الكبير (٦/ ١٠٤)، بلفظ: «أيها الناس، احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني، لا يطلبنكم الله بمظلمة أحد منهم»، رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٣١٧)؛ وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥٧): «فيه جماعة لم أعرفهم».

(٣) انظر: «نزهة النظر»، لابن حجر (ص١٤٠)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ٦).

○ قوله: «**وأصهاري**» يعني: أنسابه من أقارب زوجاته، أو أزواج بناته وأقاربه، سواء كانوا من أقارب زوجاته، أو أقارب أزواج بناته.

○ قوله: «**وأختاني**» وهم أقارب الزوجة.

وقد وردت أحاديث أخرى في فضل الصحابة، منها ما في الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[(١)]، وجاء في سنن الترمذي: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ**»[(٢)].

○ قوله: «**وقوله: «إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»**» هذا ثابت في الصحيحين[(٣)]، والعلماء يقولون: الخلفاء الراشدون أفضل الصحابة، ثم بقية العشرة، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم أهل بدر.

ومعنى قول الله تعالى: «**اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم**» ليس إذناً بالمعاصي، بل إن المعنى: أن أهل بدر مسددون، وأن الواحد منهم إذا وقعت منه زلة لا بد أن يتوب، أو يطهر بأن يقام عليه الحد، أو يغفر الله له، وإلا فإن الواحد منهم ليس بمعصوماً،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، رقم (٣٦٧٣)، ومُسْلِم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب المناقب، رقم (٣٨٦٢)، وقال: هذا حديث غريب، وصححه ابن حبان (٧٢٥٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب الجاسوس، رقم (٣٠٠٧)، ومُسْلِم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٩٤).

ولهذا لما كتب حاطب بن أبي بلتعة للمشركين بخبر النبي ﷺ متأولاً، وجاء إلى النبي ﷺ وسأله، قال: يا رسول الله! لا تعجل علي، فإني ما فعلت ذلك كفراً وارتداداً عن دين الله، ولا رضاً بالكفر، ولكن أردت أن أتخذ يداً عندهم فيحمون بها عشيرتي وأهلي، فقال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق فإنه قد خان الله ورسوله، فقال النبي ﷺ هذا الحديث: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**»(١)، وقبل النبي ﷺ عذره، ومنع قتله، فلم يقتله وقد تجسس على المسلمين، ومن تجسس على المسلمين يُقتل، وحاطب تجسس على المسلمين، ولم يقتله النبي ﷺ لأمرين:

الأمر الأول: أنه صادق متأول.

الأمر الثاني: لأنه شهد بدراً ؛ لكن لو تجسس رجل على المسلمين وأخبر الكفار بأخبار المسلمين، وقال: إنه متأول مثل حاطب، فلا يكون مثل حاطب، لأن هذا خاص بحاطب، فيقتل من تجسس على المسلمين.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، رقم (٤٢٧٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٢] واعلم رحمك الله أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه، وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه، لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئاً إلا بإذنه؛ فإنه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه، فأخذت حراماً.

الشرح

○ قوله: «**واعلم**» أي: تيقن، «**رحمك الله**»: دعاء بالرحمة.

○ قوله: «**أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه**» وهذا اللفظ جاء في حديث يقول فيه النبي ﷺ: «**لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**»(١)، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾ [البَقَرَة: ١٨٨]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النِّسَاء: ٢٩]، فلا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٢٠٦٩٥)، والدارقطني في سننه، رقم (٢٨٨٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ١٦٦)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٤٠)؛ قال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٢): رواه أبو يعلى، وأبو حرة وثقه أبو داود، وضعفه ابن معين.

○ قوله: «**وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه، لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئاً إلا بإذنه؛ فإنه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حراماً**» أي: إذا كان رجل معه مال حرام فهو ضامن، ولا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئاً إلا بإذنه، كأن يسرق مالاً من شخص، أو يجحد ديناً، فيكون ضامناً، فلا بد أن يؤديه إلى صاحبه، فإذا جئت إلى شخص ووجدت معه مالاً حراماً، فلا يجوز لك أن تأخذ المال، وإذا قال رجل: أريد أن آخذه، فلا يجوز؛ فإنه عسى أن يتوب هذا الرجل الذي أخذ المال الحرام، فيريد أن يرد المال على أربابه أي: أصحابه، فتكون أخذت حراماً لا يحل لك؛ **وذلك كما تقدم لأمرين:**

الأمر الأول: أن هذا الشخص الذي أخذ المال الحرام ضامن له.

الأمر الثاني: أنه عسى أن يتوب فيرده إلى أصحابه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٣] والمكاسب مطلقة، ما بان لك صحته فهو مطلق، إلا ما ظهر فساده، وإن كان فاسداً يأخذ من الفساد مسيكة نفسه، لا تقول: أتركُ المكاسب وآخذُ ما أعطوني، ولم يفعل هذا الصحابة ولا العلماء إلى زماننا هذا. وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس.

الشرح

○ قوله: «**المكاسب مطلقة ما بان لك صحته فهو مطلق، إلا ما ظهر فساده**» أي: أصلها على الحل، فلك أن تأخذه، فالأصل في البيع الحل، إلا ما دل الدليل على تحريمه كالربا والرشوة والغش والخداع، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ٢٩] فالمكاسب مطلقة.

○ قوله: **وإن كان فاسداً يأخذ من الفساد مسيكة نفسه**» أي: إذا لم يجد مالاً حلالاً يأخذ من الحرام، وهو المال الفاسد الضروري، وهو المال الذي يمسك به نفسه ويقيم به أولاده، ولا يأخذ زيادة على ذلك، فلو فرضنا أنه عم الحرام الأرض ولا يوجد مال حلال، فعليه أن يكسب ولكن بقدر ما يأكل ولا يكسب تجارة من المال الفاسد، يعني: يأخذ من المال الفاسد الضروري ليمسك به نفسه.

○ قوله: **لا تقول: أترك المكاسب وآخذ ما أعطوني**» أي: لا

تقول: إذا عم الأرض الكسب الخبيث، فلا أكسب ولكن أتكفف الناس فإذا أعطوني أخذت، فهذا لا يجوز، فكونك تكسب مالاً ولو كان رديئاً بقدر ما تقيم به نفسك، خير لك من أن تسأل الناس.

○ قوله: «**لم يفعل هذا الصحابة، ولا العلماء إلى زماننا هذا**»، أي: يتركون الكسب الرديء ويسألون الناس.

○ قوله: «**وقال عمر رضي الله عنه: كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس**» هذا الأثر أخرجه ابن أبي الدنيا[(١)]، ومعناه: دنيء في طبعه مثل كسب الحجام وغيره، فكونه يكتسب من الحجامة أحسن من كونه يسأل الناس، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا إصلاح المال، رقم (٣٢٣)، وذكر البغوي في «شرح السنة» (٦/ ١١٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، رقم (١٤٧١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٤] والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت خلفه، إلا أن يكون جهمياً، فإنه معطل، وإن صليت خلفه فأعد صلاتك، وإن كان إمامك يوم جمعة جهمياً وهو سلطان فصل خلفه وأعد صلاتك، وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصل خلفه ولا تعد صلاتك.

الشرح

○ قوله: «والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت خلفه»، أي: خلف البر والفاجر، إلا أن يكون مبتدعاً بدعته مكفرة، والصلاة خلف الفاسق والمبتدع فيها تفصيل عند أهل العلم، فقد اختلف العلماء في الصلاة خلف الفاسق والمبتدع الذي لا يصل فسقه ولا بدعته إلى الكفر، قال العلماء: إن كان إمام المسلمين فيصلى خلفه والصلاة صحيحة، أو كان لا يوجد في البلد إلا مسجد واحد وإمامه فاسق أو مبتدع فيُصَلَّىٰ خلفه، ومن لم يصل خلفه فهو مبتدع، أما إذا وجد مسجدا آخر إمامه عدل، ومسجدا آخر فيه إمامه مبتدع أو فاسق، فإن كان يحصل بترك الصلاة خلف المبتدع فتنة أو مفسدة، فيصلىٰ خلف المبتدع درءاً للمفسدة، وإن كانت لا تحصل فتنة أو مفسدة، فيصلىٰ خلف السني.

أما الصلاة خلف الفاسق ـ غير السلطان، ومن لم تكن ثَم فتنة

بترك الصلاة خلفه ـ فالأئمة متفقون على كراهة الصلاة خلفه[١]، واخلفوا في صحتها على قولين:

القول الأول: أنها لا تصح، وهو المذهب ومذهب والمالكية[٢].

القول الثاني: تصح الصلاة خلف الفاسق، وهم الجمهور[٣].

والصواب أنها تصح؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»[٤] يعني: أئمة المسلمين، وقد صلى الصحابة خلف الحجاج بن يوسف الثقفي وكان فاسقاً ظالماً يقتل الكثير؛ فقد قتل الألوف، وصلوا خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر حين كان أمير الكوفة.

أما إذا كانت البدعة والفسق تؤدي بصاحبها إلى الكفر، فلا تصح الصلاة، فالقاعدة تقول: الصلاة خلف الكافر لا تصح بالإجماع، وإذا صليت وجب أن تعيد الصلاة، مثل وثني يدعو غير الله، وهذا يوجد بكثرة في بعض البلدان، كقبوري يدعو غير الله، أو يذبح للأولياء، أو ينذر لغير الله، أو يطوف بغير بيت الله، فهذا لا تصح الصلاة خلفه، وإذا صليت وأنت لا تدري ثم علمت تعيد الصلاة.

---

(١) انظر: «شرح الزرقاني» (٢/ ١٦)، والإنصاف (٤/ ٣٥٥).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٥٨).
(٣) انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ١٥٦)، و«المجموع» (٤/ ٢٥٣)، و«الكافي» (١/ ٢٩٤)، و«كشاف القناع» (١/ ٤٧٥).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه، رقم (٦٩٤).

○ قوله: «**إلا أن يكون جهمياً؛ فإنه معطل**» لأن الجهمي كافر،وهو من يقول: إن الله في كل مكان، فهذا لا تصح الصلاة خلفه، أو قدري يقول: إن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها، أو رافضي، لا تصح الصلاة خلفهم فهم كفرة، فإذا صليت خلف رافضي أو قدري أو جهمي أو قبوري وثني، فلا تصح صلاتك.

○ قوله: «**وإن صليت خلفه فأعد صلاتك، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهمياً، وهو سلطان فصل خلفه وأعد صلاتك**» والفائدة من الصلاة خلفه مع أنك ستعيد الصلاة هي أن تأمن شره، لأنك لو لم تصل خلفه فيعاقبك، أو تحصل فتنة بذلك، فصل خلفه ثم أعدها في البيت، أما إذا لم تحصل فتنة بذلك فصل في البيت ولا تصل خلفه

○ قوله: «**وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصل خلفه ولا تعد الصلاة**» وذلك بالاتفاق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجوز للرجل أن يصلي الصلوات الخمس والجمعة وغير ذلك خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقا باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين»[1].

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٩٨).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٥] والإيمان بأن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ، قد دفنا هناك معه، فإذا أتيت القبر فالتسليم عليهما واجب بعد رسول الله ﷺ.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ، قد دفنا هناك معه**» وهذا ثابت أن حجرة عائشة دفن فيها الرسول، ثم دفن فيها أبو بكر، ثم دفن عمر، وكأن هناك بعض الناس ينكر ذلك.

○ قوله: «**فإذا أتيت القبر فالتسليم عليهما واجب بعد رسول الله ﷺ**» والصواب أنه ليس بواجب بل سنة، فزيارة قبر النبي ﷺ وزيارة قبري أبي بكر وعمر والسلام عليهما سنة، ومن فعلها أثابه الله، ومن ترك فلا حرج، وهذا إذا كان في البلد، أما أن يسافر من بلد إلى بلد لزيارة القبر فهذه بدعة؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**»(١)، فإذا جئت وزرت المسجد وصليت في المسجد النبوي ركعتين، فإنك تزور قبر النبي ﷺ، وقبر صاحبيه، وتسلم عليهما، وتقول: السلام

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٨٩)، ومُسْلِم، كتاب الحَجِّ، رقم (١٣٩٧).

عليك يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، فجزاك الله أفضل ما يجزي نبياً عن أمته، وتصلي على النبي ﷺ، ثم تسلم على أبي بكر قائلاً: السلام عليك يا خليفة رسول الله، رحمك الله ورضي عنك وجزاك عن أمة محمد خيراً، ثم السلام على عمر، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قدم من سفر يأتي ويقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ**»[(١)]، ثم ينصرف ولا يزيد، فالسلام سنة وليس بواجب.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٥/ ٤٠٢)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٥٧٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٦] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، إلا من خفت سيفه أو عصاه.

الشرح

○ قوله: «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب**» فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتغير المنكر باليد إذا استطعت، فإن عجزت فباللسان، فإن عجزت فبالقلب مع البعد عن المعصية؛ لما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

○ قوله: «**إلا من خفت سيفه أو عصاه**» أي: من إذا غيرت منكراً بيدك ضربك بسيفه أو عصاه، فإذا أنكرت عليه باللسان وخفت سيفه أو عصاه فأنكر بالقلب، وابتعد عن المكان.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأيمان، رقم (٤٩).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٧] والتسليم على عباد الله أجمعين.

الشرح

○ قوله: «والتسليم على عباد الله أجمعين» أي: تسلم على كل من لقيت، فبعض الناس لا يسلم إلا على من يعرف، وهذا خطأ، فالسلام من أسباب المحبة، ومن أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[١] رواه مسلم، وسلم على كل مسلم إلا إذا عرفت أنه ليس بمسلم فلا تبدأه بالسلام؛ لقوله ﷺ: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»[٢] فإذا سلم عليك فتقول: وعليك، ولا تكمل، لقوله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأيمان، رقم (٥٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، رقم (٢١٦٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب السلام، رقم (٢١٦٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٨] ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع، والعذر كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد، أو خوف من سلطان ظالم، وما سوى ذلك فلا عذر له.

الشرح

○ قوله: «ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع» لأن صلاة الجماعة واجبة، قال: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البَقَرَة: ٤٣] والنبي ﷺ لم يرخص لابن أم مكتوم وهو أعمى وكان رجلاً ضعيفاً شاسع الدار، وذلك لما قال له النبي ﷺ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ»[(١)]، وأمر الله بصلاة الجماعة، فمن ترك الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع.

○ قوله: «والعذر كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد أو خوف من سلطان ظالم» يعني: خاف أن يقتله هذا السلطان، وأهل السنة لا يردهم جور السلطان عن إقامة الجمعة معه والجماعة، ولا يحملهم ذلك على ترك السنة.

○ قوله: «وما سوى ذلك فلا عذر له» والصواب أن هناك

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٥٣).

أعذاراً أخرى غير هذه منها: المطر الذي يبل الثياب، وخوف الإنسان على ماله، وأن يدافعه الأخبثان، ومن أكل كراثاً أو ثوماً أو بصلاً؛ فقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا**»(١)، ولا يحل له أن يأكله ليكون له عذر في ترك صلاة الجماعة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث (٨٥٣)، ومُسْلِم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٦١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١١٩] ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له.

الشرح

○ قوله: «ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له»، يجب على المصلي أن ينوي الاقتداء بالإمام، ولا تصح الصلاة ممن لم يفعل ذلك.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٢٠] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب بلا سيف.

الشرح

○ قوله: «**والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب**» كما سبق في حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١) وهو درجات، فتنكر باليد ثم باللسان ثم بالقلب، والبدع كلها رديئة، فعلى المسلم أن يحذر منها ويتمسك بالقرآن والسنة على ما كان عليه سلف الأمة.

○ قوله: «**بلا سيف**» هذا منهج أهل السنة والجماعة، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بلا سيف ولا خروج على الإمام، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ لَيْسَ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ»(٢) وقال ابن شبرمة:

الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا بِالسَّيْفِ يُشْهِرُهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ إِنَّ الْقَتْلَ إِضْرَارُ(٣)

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، للخلال (١/ ٢٣).

(٣) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنك»ر، لابن أبي الدنيا (١/ ١٣٠/ ١٠٦)، و«أخبار القضاة»، لوكيع (٣/ ٩٢)، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، للخلال (١/ ٢١).

فإن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب، ولتضمنه وخلع اليد من طاعتهم، ومفارقة جماعة المسلمين[١]، لا يجوز الخروج على الولاة بالسيف بل يجب السمع والطاعة لهم في طاعة الله وفي الأمور المباحة.

وإنما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف هو مذهب المعتزلة والخوارج[٢].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٧٢)، و«الآداب الشرعية» (١/ ١٦٢)، وطريق الهجرتين (١/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٩٨)، (١٣/ ٣٨٧)، و«منهاج أهل السنة» (٤/ ٥٣٦)، و«إغاثة اللهفان» (٢/ ٨١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٢١] والمستور من المسلمين من لم تظهر له ريبة.

الشرح

○ قوله: «**والمستور من المسلمين من لم تظهر له ريبة**» أي: المستور هو الذي يظهر منه الخير، والمحافظة على الواجبات وترك المحرمات وظاهره الخير، ولا يظهر منه بدعة ولا فجور ولافسق ولا ريبة ولا يشك فيه، فيقال له: مستور الحال، ومن ذلك قول العلماء: الإمام مستور الحال يُصلى خلفه، والإمام المبتدع لا يصلى خلفه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٢٢] وكل علم ادعاه العباد من علم الباطن لم يوجد في الكتاب والسنة فهو بدعة وضلالة، ولا ينبغي لأحد أن يعمل به ولا يدعو إليه.

الشرح

وهذا ما تدعيه بعض الفرق كالباطنية، والذين يدعون أن للشريعة ظاهراً وباطناً، ويدعون أن عندهم علم الباطن، وأن الناس عندهم علم الظاهر، وهذا كفر وضلال، فالصلوات الخمس ـ مثلاً ـ لها ظاهر وباطن، فظاهرها الصلوات الخمس التي يصليها الناس، وباطنها تعداد أسماء خمسة من وعلي وفاطمة والحسن والحسين ومحسن، والصيام له ظاهر وباطن، فظاهره: الإمساك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والباطن: كتمان سر المشايخ، والحج له ظاهر وباطن، فظاهره: الحج إلى بيت الله الحرام، والباطن: زيارة مشايخ الصوفية... وما أشبه ذلك.

فادَّعاء أن هناك أحداً تسقط عنه التكاليف ولا يكلف بالعبادة وعقله ثابت معه، وليس مخوَّفًا ولا مجنونًا ـ إلا الحائض والنفساء يسقط عنهم الصلاة والصوم في حال الحيض والنفاس ـ باطل، وهم يستدلون بمثل قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحِجر: ٩٩]، وفَسَّرُوا اليقين بالعلم، أي: اعبد ربك حتى يأتيك العلم[١]،

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٩٥).

فإذا جاء العلم انتهت العبادة[١]، والذين يعتقدون هذا الاعتقاد لا شك في كفرهم؛ وقد أجمع المسلمون على من أن اعتقد أن أحدًا يسقط عنه التكليف وعقله حاضر أنه كافر يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِلَ كافرًا، كما قررذلك أهل العلم كشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] وغيره، فليس هناك أحد يسقط عنه التكليف إلا إذا فقد العقل، فإذا فقد العقل زال عنه التكليف، أما إذاكان العقل موجودًا فالتكليف موجود.

ولهذا جعل الله العبودية لازمة لرسوله حتى الموت، مع أنه ﷺ أكمل الناس ولكن الله جعل العبادة لازمة له، فقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: ٩٩]؛ واليقين هو الموت[٣]، يعني: استمر على عبادة ربك والزمها حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك.

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين»، لأبي الحسن الأشعري (ص ٢٨٩)، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم (٤/ ١٧٠).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٣٩).

(٣) جاء هذا التفسير عن ابن عباس، كما في «تفسير ابن الجوزي» (٤/ ٤٢٣)، الفخر الرازي (١٩/ ٢١٦)، «تنوير المقباس» ص (٢٨١). وجاء عن مجاهد «تفسير مجاهد» ص (٤١٩)، وورد في «معاني القرآن»، للنحاس (٤/ ٤٧) وابن الجوزي (٤/ ٤٢٣)، وورد في «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٠) أ، وأخرجه عبدالرزاق (٢/ ٣٥٢) عن قتادة، وأورده البخاري في «الفتح» (٨/ ٣٨٣) معلقًا بصيغة الجزم عن سالم بن عبدالله، وهو تفسير الجميع كما عبر الواحدي في «التفسير البسيط» (١٢/ ٦٧٥)، وانظر: و«الطبري» (١٤/ ٧٤) و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٢٦)، و«الثعلبي» (٢/ ١٥٣)، و«الماوردي» (٣/ ١٧٦)، و«الطوسي» (٦/ ٣٥٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٩٧)، و«الزمخشري» (٢/ ٣٢٠)، و«ابن العربي» (٣/ ١١٣٩)، و«ابن عطية» (٨/ ٣٦٢)، «تفسير القرطبي» (١٠/ ٦٤)، «الخازن» (٣/ ١٠٥)، و«ابن كثير» (٢/ ٦١٦ - ٦١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٠٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٢٣] وأيما امرأة وهبت نفسها لرجل، فإنها لا تحل له، يعاقبان إن نال منها شيئاً، إلا بولي وشاهدي عدل وصداق.

الشرح

○ قوله: «**وأيما امرأة وهبت نفسها لرجل فإنها لا تحل له**»

أي: إذا فعل بها تكون زانية؛ لأن هبة المرأة نفسها خاص بالنبي ﷺ، قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠] خالصة أي: خاصة، والأصل أن الشريعة عامة إلا ما دل الدليل على التخصيص، فالرسول ﷺ له خصوصية أن تهب المرأة له نفسها، ويزوجه الله إياها، أما غيره فلا، وأراد المؤلف بذلك الرد على الشيعة والرافضة الذين يحلون نكاح المتعة؛ لأن نكاح المتعة أن تهب المرأة نفسها له أياماً أو شهراً أو سنة بدون ولي وبدون شهود، وكذلك الأحناف الذين يقولون: يصح النكاح بلا ولي، وهذا باطل، فقد جاء في الحديث: «**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا**»(١)، ولا بد من رضا الزوجة حتى يكون زواجاً شرعياً، وفي الحديث: «**لَا يَحِلُّ نِكَاحٌ إِلَّا**

(١) سبق تخريجه.

بِوَلِيٍّ وَصَدَاقٍ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ»[(١)] وفي الحديث الآخر: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**»[(٢)]

* * *

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٢٤] وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى؛ لقول رسول ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»، قد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيراً، وقوله: «ذروا أصحابي لا تقولوا فيهم إلا خيراً»، ولا تحدث بشيء من زللهم ولا حربهم، ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يحدث به؛ فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت.

الشرح

○ قوله: «وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى» أي: من يطعن على أصحاب الرسول ﷺ، أو يسبهم، أو يكفرهم ويفسقهم، فاعلم أنه رافضي خبيث زنديق، مكذب لله ولرسوله؛ لأن الله تعالى زكاهم وعدلهم ووعدهم بالجنة، وهو يكفرهم ويفسقهم، فيكون مكذباً لله، وتكذيب الله كفر وضلال.

○ قوله: «لقول رسول الله ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»(١)، قد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته،

(١) سبق تخريجه.

فلم يقل فيهم إلا خيراً» ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(١)، وفي حديث آخر: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ**»(٢) - يعني: هدفاً للطعن والنيل منهم -، والله تعالى يقول: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

○ قوله: «**وقوله ﷺ: «ذروا أصحابي لا تقولوا فيهم إلا خيراً»**»(٣) أي: اتركوا أصحابي، أخرجه الإمام أحمد والنسائي والبزار بإسناد حسن بلفظ: «**دَعُوا لِي أَصْحَابِي**»(٤)، ولفظ: «**لا تقولوا فيهم إلا خيراً**» أخرجه خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة، كما في جزء طرق حديث: «**لا تسبوا أصحابي**» وإسناده ضعيف.

○ قوله: **ولا تحدث بشيء من زللهم ولا حربهم**» أي: لا تحدث بشيء مما حصل من خلاف الصحابة وقتالهم وزللهم؛ فإنهم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لفظ: «ذروا أصحابي» أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٦/ ٢٣٤): بلفظ: «ذروا لي أصحابي» عن محمد بن عمر الواقدي ثني عبد الله بن يزيد عن إياس بن سلمة عن أبيه عن النبي ﷺ به، والواقدي: متروك. وذكره الواقدي مرة دون تسمية عبدالله بن يزيد، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٧٠).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٣٨١٢)، والنسائي في «الكبرى» (٩/ ٤٠٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢٠٤٦) والبزار في «مسنده» (١٦/ ١٦)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٤٦٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، وكذلك الحروب التي جرت بينهم، وكما قال بعض السلف: «**تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ أَيْدِينَا مِنْهَا فَلَا نُلَوِّثُ أَلْسِنَتَنَا بِهَا**»(١).

○ قوله: «**ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يحدث به؛ فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت**» أي: الذي لا تعلمه لا تتكلم به، ولا تسمعه من أحد يحدث به، بل إذا سمعت أحداً يحدث به فأنكر عليه؛ فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت الطعن في أصحاب النبي ﷺ فلا بد أن يقع في قلبك شيء، فإذا أردت أن يسلم لك قلبك فلا تسمع أحداً يطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا سمعت أحداً يطعن فأنكر عليه.

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ١٣٧/ ٣٩٣٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٢٥] وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، [أو يرد الآثار]، أو يريد غير الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا [تشك] أنه صاحب هوى مبتدع.

الشرح

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الحكم فيمن يطعن على الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار ـ فيعتمد على عقله ولا يريد الآثار ـ وذلك بأن تتهمه على الإسلام ففي إسلامه دَخن، وأن لا تشك أنه مبتدع صاحب هوى، وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»[١]، وقال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[٢].

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي (٧/ ١٣٢٦)، وانظر: «الصارم المسلول» (ص٥٦٨).

(٢) رواه الخطيب في «الكفاية» (ص٤٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٢٦] واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله ﷻ التي افترضها على لسان نبيه، جوره على نفسه، وتطوعك وبِرُّكَ معه تام لك إن شاء الله، يعني: الجماعة والجمعة معهم، والجهاد معهم، وكل شيء من الطاعات، فشارك فيه، فلك نيتك.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله ﷻ التي افترضها على لسان نبيه، جوره على نفسه، وتطوعك وبرك معه تام لك إن شاء الله، يعني: الجماعة والجمعة معهم، والجهاد معهم، وكل شيء من الطاعات فشارك فيه فلك نيتك**» أي: أن جور السلطان لا يضر الرعية، ولا ينقص من أجورهم، فالفرائض التي افترضها الله والصلاة التي أمروا بها خلف أئمة الجور تامة والأجر تام إذا صليت الجمعة أو العيدين أو جاهدت معهم أو غزوت معهم، والسلطان جوره على نفسه، ولا يضرك جوره، أجرك تام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأئمة لا يقاتلون بمجرد الفسق وإن كان الواحد المقدور قد يقتل لبعض أنواع الفسق: كالزنا وغيره. فليس كل ما جاز فيه القتل جاز أن يقاتل الأئمة لفعلهم إياه؛ إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر»(١) وإذا زنى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٦١).

أحدمن الرعية فيرجم أو يجلد، وإذا سرق فتقطع يده، وإذا شرب الخمر فيجلد، لكن لو وقع فيه السلطان فشرب الخمر مثلاً فلا يوجد أحد يجلده، فما عليك إلا الصبر، فليس كل ما جاز على الرعية يجوز على السلطان، وعليك أن تجاهد معه ولو كان فاسقاً، وتحج معه،وتصلي خلفه الجمعة، ففسوقه على نفسه وفجوره على نفسه ما دام أنه مسلم، ولا تخرج عليه بمجرد المعصية، ولكن النصيحة مبذولة بقدر الاستطاعة، فإن استجاب فالحمد لله، وإلا فقد أديت ما عليك، ولا تخرج عليه؛ لأن خروجك فساد وشر؛ يسبب إراقة الدماء واختلال الأمن، وضياع الأمة، وما يسبب من تسلط وتدخل الأعداء.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١٢٧] وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

لقول فضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان.

أنا أحمد بن كامل قال: نا الحسين بن محمد الطبري، نا مردويه الصائغ، قال: سمعت فضيلاً يقول: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان.

قيل له: يا أبا علي! فسر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين.

الشرح

○ قوله: «وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله» أي: إذا رأيت شخصاً يدعو على السلطان

أو على الإمام: اللهم سلط عليه، اللهم أهلكه، فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيت رجلاً يدعو للسلطان بالصلاح والمعافاة فاعلم أنه صاحب سنة.

○ قوله: «**لقول فضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان**»(١) أي: لو كانت لي دعوة مستجابة سأجعلها للسلطان.

○ قوله: «**قيل له: يا أبا علي! فسر لنا هذا؟**» وأبو علي كنية الفضيل بن عياض، الإمام الورع الزاهد(٢) «**قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد**» أي: لو دعوت بها لنفسي لم تتعدني وكان صلاحي مقصوراً على نفسي، لكن إذا دعوتها للسلطان عم الصلاح فصلح السلطان وصلح العباد والبلاد، فصار النفع متعدياً.

○ قوله: «**فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح**» كما قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ فَرِيضَة، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَة، وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاة»(٣) أي: ولاة الأمور.

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩١)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٤١).

(٢) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، الإمام القدوة الثبت، سكن مكة وتوفي بها، مات سنة ١٨٧.

انظر: «طبقات الصوفية» (١/ ٢٢)، و«تهذيب الكمال» (٢٣/ ٢٨١)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١)، و«الوافي بالوفيات» (٢٤/ ٥٩)، و«تهذيب التهذيب» (٨/ ٢٩٤).

(٣) شرح «العقيدة الطحاوية» (١/ ٣٧١).

❍ قوله: «**ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين**» إذاً: ندعو لهم بالصلاح ولو جاروا، لأنهم إذا ظلموا وجاروا فوزرهم لا يتعداهم ولا يمس الناس منه شيء، أما إذا صلحوا فإن الصلاح سيكون لهم وللمسلمين.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٢٨] ولا تذكر أحداً من أمهات المؤمنين إلا بخير.

الشرح

○ قوله: «ولا تذكر أحداً من أمهات المؤمنين إلا بخير» لأنهن أمهات المؤمنين، وهن زوجات النبي ﷺ في الآخرة رضي الله عنهن وأرضاهن، فمن ذكر أمهات المؤمنين بشر فلا يكون هذا إلا لفسقه، ومن رمى عائشة بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٢٩] وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة، وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى.

الشرح

○ قوله: «**وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله**»أي: إذا رأيت رجلاً يتعاهد الفرائض ويصلي الصلوات الخمس في جماعة خلف الإمام سواء كان الإمام السلطان أو غيره فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

○ قوله: «**وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة، وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى**» أي: الذي يتهاون بالجماعة صاحب بدعة وهوى.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣٠] والحلال ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال، وكذلك الحرام، وما حاك في صدرك فهو شبهة.

الشرح

○ قوله: «**والحلال ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال**» ومثال ذلك: ما يحصل لك من المكسب في الزارعة، فهذا تجزم بأنه حلال، بل تحلف أنه حلال، وكذا ما يحصل لك من البيع والشراء، وما يحصل لك من الإرث حلال، وما يحصل لك من كسب الإجارة وغيرها، فالحلال ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال.

○ قوله: «**وكذلك الحرام**» فالحرام هو الذي تجزم بأنه حرام ولا يكون عندك شبهة، مثل الكسب من الربا، والكسب عن طريق السرقة، أو عن طريق الغش، أو عن طريق القمار، فهذا تجزم بأنه حرام.

○ قوله: «**وما حاك في صدرك فهو شبهة**» فالشيء الذي لا تدري أهو حلال أم حرام؛ وعندك فيه إشكال، فاتركه فهذا شبهة، ومن فعل المشتبه أوصله إلى الحرام، ومن ترك المشتبه صار حاجزاً بينه وبين الحرام، يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى**

الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الْأَيْمَانِ، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)، ومُسْلِم، كتاب المساقاة، رقم (١٥٩٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣١] والمستور من بان ستره، والمهتوك من بان هتكه.

الشرح

○ قوله: «**والمستور من بان ستره**» وهو الذي لم يظهر منه بدعة ولا فجور ولا فسق قوله: «**والمهتوك من بان هتكه**» وهذا من فضح نفسه، كأن يشرب الخمر في الشارع، أو يحلق لحيته أمام الناس، أويسبل ثيابه، أو يتعامل بالربا جهاراً نهاراً، فهذا مهتوك مفضوح فضح نفسه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣٢] وإن سمعت الرجل يقول: فلان مشِّبه، وفلان يتكلم في التشبيه، فاتهمه واعلم أنه جهمي.

وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي.

وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد، واشرح لي التوحيد، فاعلم أنه خارجي معتزلي.

أو يقول: فلان مجبر، أو يتكلم بالإجبار، أو يتكلم بالعدل فاعلم أنه قدري؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء.

قال عبدالله بن المبارك: لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً ولا عن أهل الشام في السيف شيئاً، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئاً، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً.

الشرح

○ قوله: «وإن سمعت الرجل يقول: فلان مشبه، وفلان يتكلم في التشبيه، فاتهمه واعلم أنه جهمي» لأن الجهمية ينكرون الأسماء والصفات، ويقولون: ليس لله علم ولا سمع ولا بصر، ويقولون: إن من أثبت العلم والسمع والبصر لله فهو مشبه، فإذا رأيت الرجل يقول لمن أثبت الصفات مشبه، فاعلم أنه جهمي أو معتزلي.

○ قوله: «وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي» لأن النواصب ضد الروافض، فالروافض هم الذين يحبون آل البيت ويغلون فيهم حتى يعبدونهم، والنواصبهم الذين ينصبون العداوة لأهل البيت ويسبونهم، فالروافض يقولون إن أهل السنة نواصب؛ لأنهم لا يحبون أهل البيت، ولأنهم نصبوا العداوة لأهل البيت، فإذا رأيت شخصاً يقول لك: أنت ناصبي فاعلم أنه رافضي؛ لأن الناصبي يقابل الرافضي.

○ قوله: «وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد، واشرح لي التوحيد، فاعلم أنه خارجي معتزلي» يقصد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتوحيد توحيد المعتزلة؛ لأن المعتزلة عندهم أصول خمسة، وكل أصل ستروه تحت معنى باطل، وستروا تحت التوحيد: القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة.

وقصد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل البدع في زمانه، وقصد أيضا من ينكر ما وصف الله به نفسه؛ لأن المعتزلة يسمون التوحيد العدل ويدخلون تحته نفي الصفات، ونفي الرؤية، والقول بخلق القرآن، فإذا قال اشرح لي التوحيد فهو مبتدع يعني: أن تفصل التوحيد على ما يعتقده المعتزلة.

○ قوله: «أو يقول: فلان مجبر يتكلم بالإجبار أو يتكلم بالعدل فاعلم أنه قدري» والقدري هو الذي ينفي خلق الله لأفعال العباد حتى لا يعذبهم عليها، وهو الذي يتكلم بالعدل زوراً وبهتاناً.

○ قوله: ««لأن هذه الأسماء أحدثها أهل الأهواء» يعني: لأن هذه الأصول محدثة أحدثها أهل البدع، فالرافضي يسمي من يوالي الصحابة ناصبياً، والمعتزلي والخارجي يتكلم بالتوحيد، ويزعم أن نفي الصفات هو التوحيد، وكذلك الذي يتكلم بالعدل فهذا قدري.

○ قوله: «**قال عبدالله بن المبارك**» وهو الإمام الورع الزاهد المشهور «**لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً**» أي: فيما يتعلق برفض الصحابة؛ لأن مذهب الرافضة منتشر في الكوفة، ولكن خذوا عن غيرهم من أهل الحق مع الاستقامة.

○ قوله: «**ولا عن أهل الشام في السيف شيئاً**» أي: فيما يتعلق بالسيف والقصاص والقتل والقود لا تأخذوا عنهم؛ لأنهم أهل قتال، فلا تأخذوا عنهم فيما يتعلق بالسيف شيئاً؛ لأنهم يستعملون السيف، فهم متهمون فلا يؤخذ عنهم أحكام القتل والقتال.

○ قوله: «**ولا عن أهل البصرة في القدر شيئاً**» لأن الكلام في القدر اشتهر في البصرة، فلا يؤخذ عن أهل البصرة، وإنما يؤخذ عن غيرهم.

قوله: «**ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً**» ظهر الإرجاء في خراسان قديما[(١)]، والمشهور أن الكوفة هي أول ما ظهر فيها الإرجاء، وكان أول من قاله حماد بن أبي سليمان[(٢)].

○ قوله: «**ولا عن أهل مكة في الصرف**» أي: المصارفة وهي صرف النقود؛ لأنهم يبيحون شيئاً من المصارفة، فلا يؤخذ عنهم.

○ قوله: «**ولا عن أهل المدينة في الغناء لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً**» لأن أهل المدينة كانوا يبيحون نوعاً من الغناء فلا يؤخذ عنهم، وقال ابن القيم ﵀: «مَنْ تَتَبَّعَ مَا اخْتَلَفَ فِيْهِ العُلَمَاءُ وَأَخَذَ بِالرُّخَصِ مِنْ أَقَاوِيْلِهِم تَزَنْدَقَ»[(٣)] فالذي يتتبع الرخص ويأخذ

(١) «السنة»، للخلال (٤/ ٥٤)، و«الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٢٠٤ - ٢٠٥).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩٧)، (٧/ ٣١١).
(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٨).

من كل مذهب المسألة الشاذة ويجمعها ينسلخ من الدين، فتجد المتزندق هو الذي يتبع الأهواء، فيأخذ عن أهل الكوفة الرفض؛ لأنهم يبيحون القدح في الصحابة، ويأخذ عن أهل الشام أحكام القتال، وأنه يجوز قتل الإنسان ولو لم توجد الشروط الموجبة لذلك، ويأخذ من أهل البصرة مذهبهم في القدر، ويأخذ عن أهل خراسان مذهبهم في الإرجاء، ويأخذ عن أهل مكة طريقة تعاملهم في الصرف، ويأخذ عن أهل المدينة مذهبهم في الغناء، فهو بذلك ينسلخ من الدين. فيأتي ويقول: الغناء حلال؛ لأن أهل المدينة يبيحونه، والربا حلال؛ لأن أهل مكة يبيحون الصرف، والإرجاء كذلك جائز؛ لأن أهل خراسان يبيحون الإرجاء، والقدر ليس هناك شيء مقدر؛ لأن أهل البصرة ينفون القدر، وكذلك ما يتعلق بالسيف والقتال لا بأس به؛ لأن أهل الشام يبيحون هذا، فيصبح زنديقاً وينسلخ من الدين.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٣٣] وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة، وأنس بن مالك، وأسيد بن حضير فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

وإذا رأيت الرجل يحب أيوب، وابن عون، ويونس بن عبيد، وعبدالله بن إدريس الأودي، والشعبي، ومالك بن مغول، ويزيد بن زريع، ومعاذ بن معاذ، ووهب بن جرير، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وزائدة بن قدامة، فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت الرجل يحب الحجاج بن المنهال وأحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله إذا ذكرهم بخير، وقال بقولهم.

الشرح

○ قوله: «وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة، وأنس بن مالك، وأسيد بن حضير فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله» أي: إذا رأيت الرجل يحب الصحابة: كأبي هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن حضير فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت الرجل يسب الصحابة فاعلم أنه رافضي خبيث من أهل البدع.

○ قوله: «وإذا رأيته الرجل يحب أيوب» أي: أيوب السختياني، «وابن عون» أي: عبدالله بن عون البصري، «ويونس بن عبيد» البصري «وعبدالله بن إدريس الأودي والشعبي» أي: عامر

الشعبي «**ومالك بن مغول، ويزيد بن زريع، ومعاذ بن معاذ، ووهب ابن جرير، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وزائدة بن قدامة فاعلم أنه صاحب سنة**» لأن هؤلاء أئمة وعلماء من أهل السنة، فإذا رأيت الرجل يحبهم فاعلم أنه صاحب سنة.

○ قوله: «**وإذا رأيت الرجل يحب الحجاج بن المنهال وأحمد ابن حنبل، وأحمد بن نصر، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله إذا ذكرهم بخير، وقال بقولهم**» لأن هؤلاء أيضا من أئمة أهل السنة، فالواجب محبتهم وذكرهم بالخير والقول بقولهم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣٤] وإذا رأيت الرجل جالساً مع رجل من أهل الأهواء فحذِّره وعرَّفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه فإنه صاحب هوى.

الشرح

○ قوله: «**إذا رأيت الرجل جالساً مع رجل من أهل الأهواء فحذِّره وعرَّفه**» أي: إذا رأيت رجلاً يصاحب أهل البدع فانصحه وحذره، فإن استجاب فالحمد لله، وإن استمر في الجلوس معهم «**بعد ما علم فاتقه فإنه صاحب هوى**» فاحذره واعلم أنه صاحب هوى وصاحب بدعة، فينبغي للإنسان أن يبتعد عن أهل البدع، ويحذر مجالستهم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣٥] وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن، فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه.

الشرح

○ قوله: «**وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن، فلا شك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه**» لأنه أنكر السنة، ولا يريد السنة، مع أن السنة وحي ثانٍ لأنه مكذب لله، فقم من عنده ودعه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣٦] واعلم أن الأهواء كلها ردية تدعو كلها إلى السيف، وأرداها وأكفرها: الروافض، والمعتزلة، والجهمية، فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة.

الشرح

○ **قوله: «واعلم أن الأهواء كلها ردية تدعو كلها إلى السيف»** **أي: البدع توصل إلى القتال والحروب بين المسلمين.**

○ قوله: **«وأرداها وأكفرها: الروافض، والمعتزلة، والجهمية، فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة»** يعني: أردى البدع وأكفرها بدعة الروافض، لأن الروافض ـ كما سبق ـ يكفرون الصحابة ويفسقونهم، ويعبدون آل البيت، ويزعمون أن القرآن ما بقي منه إلا الثلث، والمعتزلة يثبتون الأسماء وينكرون الصفات، وهذا كفر وضلال، والجهمية ينكرون الأسماء والصفات فهم عطلوا الله وجعلوه معدوماً.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٣٧] واعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب محمد ، فاعلم أنه إنما أراد محمداً، وقد آذاه في قبره.

الشرح

○ قوله: «**واعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب محمد، فاعلم أنه إنما أراد محمداً، وقد آذاه في قبره**» أي: من تناولهم بالعيب والثلب والسب والشتم، فاعلم أنه يريد سب الرسول ﷺ، فهو أراد سب الرسول ﷺ لكنه لم يستطع لنفاقه؛ ولأنه لو سب الرسول كفر في الحال ولكفّره الناس، فلما لم يستطع أن يسب الرسول سب الصحابة وسب الصاحب سب لصاحبه، فهل يصلح أن تمدح شخصاً وتسب أصحابه؟! فالإنسان على دين صاحبه، ولذلك يقول القحطاني في نونيته:

إن الروافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطق أو جان
مدحوا النبي وخونوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوان(١)

○ قوله: «**وقد آذاه في قبره**» لايلزم من الأذى الضرر؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وكما في الصحيحين عن أبي

(١) انظر: «نونية القحطاني» (١/ ٢٦).

هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ قال الله ﷻ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[(١)]، فلا يضر اللهَ أحدٌ من خلقه، وفي الحديث القدسي الذي خرجه مسلم في صحيحه من حديث عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، رقم (٤٨٢٦)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٧٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٣٨] وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع، فاحذره ؛ فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر.

الشرح

○ قوله: «**وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع، فاحذره ؛فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر**» كما قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رءوسهم وأبدانهم في التراب، ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس، فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون»[١].

(١) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٣٩] وإذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء الطريق والمذهب، فاسقاً فاجراً، صاحب معاصٍ ضالاً وهو على السنة فاصحبه، واجلس معه، فإنه ليس تضرك معصيته. وإذا رأيت الرجل مجتهداً ـ وإن بدا متقشفاً محترقاً بالعبادة ـ صاحب هوى، فلا تجالسه ولا تقعد معه ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق؛ فإني لا آمن أن تستحلي طريقته فتهلك معه.

ورأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى فقال: يا بني! من أين جئت؟ قال: من عند فلان. قال: يا بني لأن أراك تخرج من بيت خنثى أحب إلي من أن أراك تخرج من بيت فلان، ولأن تلقى الله يا بني زانياً سارقاً فاسقاً خائناً أحب إلي من أن تلقاه بقول فلان وفلان.

ألا ترى أن يونس بن عبيد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره.

الشرح

○ قوله: «وإذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء الطريق والمذهب، فاسقاً فاجراً، صاحب معاصٍ ضالاً وهو على السنة فاصحبه، واجلس معه، فإنه ليس تضرك معصيته» أي: إذا رأيت الرجل من أهل السنة ملتزماً بالسنة لكنه يفعل المعاصي فاصحبه

واجلس معه؛ فإنه ليس يضرك معصيته، وليس معنى ذلك التهوين من خطر المعاصي، بل المؤلف يريد أن يبين أن البدعة أشد من المعصية، فإذا رأيت الرجل من أهل السنة فهو خير من أهل البدعة ولو فعل المعاصي، فإذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء الطريق والمذهب فاسقاً فاجراً فاصحبه؛ لأنه صاحب سنة، فالفسق يمكن معالجته، لكن المصيبة في صاحب البدعة الذي يظن أنه على الحق فلا يفكر في التوبة.

○ قوله: **«وإذا رأيت الرجل مجتهداً ـ وإن بدا متقشفاً محترقاً بالعبادة ـ صاحب هوى، فلا تجالسه ولا تقعد معه ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق؛ فإني لا آمن أن تستحلي طريقته فتهلك معه»** أي: إذا رأيت الرجل زاهداً متعبداً متقشفاً ولكنه صاحب بدعة فلا تجالسه، فعبادته لا تنفعه، وليس القصد من هذا التهوين من شأن المعاصي، بل يريد أن يقارن بين السني العاصي وبين المبتدع، فيقول: إن السني العاصي خير من المبتدع؛ لأن المعصية أقل من البدعة.

○ قوله: **«ورأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى»** أي: صاحب بدعة **«فقال: يا بني! من أين جئت؟ قال: من عند فلان»** يعني: المبتدع **«قال: يا بني لأن أراك خرجت من بيت خنثى»** وذلك أن خروجه من هذا البيت معصية، وخروجه من بيت صاحب البدعة قد يوصله إلى البدعة.

○ قوله: **«أحب إلي من أن أراك تخرج من بيت فلان، ولأن تلقى الله يا بني! زانياً سارقاً فاسقاً خائناً أحب إلي من أن تلقاه بقول فلان وفلان»** أي: بقول واعتقاد أصحاب الأهواء، وليس مقصود

يونس بن عبيد التهوين من شأن المعاصي، فالمعاصي والكبائر شأنها عظيم، لكن قصده أن يبين أن البدعة أشد من المعصية.

○ قوله: «**ألا ترى أن يونس بن عبيد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره**» فدل على أن البدعة أشد من المعصية، وخروجه من بيت العاصي أهون من خروجه من بيت المبتدع.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٤٠] واحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالس، وممن تسمع، ومن تصحب، فإن الخلق كأنهم في ردة إلا من عصمه الله منهم.

الشرح

○ قوله: «**واحذر**» هذا تحذير من المؤلف ودليل على نصحه «**ثم احذر**» تكرار للأهمية «**أهل زمانك خاصة**» وهذا قد قاله في القرن الرابع الهجري، فكيف لو رأى القرن الخامس عشر؟!

○ قوله: «**وانظر من تجالس، وممن تسمع، ومن تصحب**» فعليك مجالسة الأخيار والصالحين والعلماء والاستفادة منهم، وقد أمر الله نبيه بمجالسة الأخيار والصالحين الذاكرين الله، فقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

○ قوله: «**فإن الخلق كأنهم في ردة إلا من عصمه الله منهم**» لكثرة الجرائم والمعاصي.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٤١] وانظر إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد، وبشراً المريسي، وثمامة، أو أبا الهذيل، أو هشاماً الفوطي أو أحداً من أتباعهم وأشياعهم فاحذره فإنه صاحب بدعة، فإن هؤلاء كانوا على الردة، واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير ومن ذكر منهم بمنزلتهم.

الشرح

○ قوله: «**وانظر إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد، وبشراً المريسي، وثمامة، أو أبا الهذيل، أو هشاماً الفوطي**» ابن أبي دؤاد: هو رئيس المعتزلة، وكان قاضياً في زمن المأمون، واسمه أحمد بن أبي دؤاد وهو معتزلي؛ وذلك لأن المعتزلة أثّروا على المأمون حتى اعتنق مذهب الاعتزال، ومعنى كلامه: أنك إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد بخير فإنه صاحب بدعة، فلو كان صاحب سنة ما ذكر ابن أبي دؤاد المعتزلي بخير، وكذلك بشر المريسي، وهو جهمي تنسب إليه المريسية، فإذا رأيت الرجل يذكره بخير فاتهمه، وثمامة اسمه: ثمامة بن أشرف البصري وهو من رءوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وأبو هذيل هو محمد بن الهذيل العلاف البصري من رؤوس المبتدعة، وهشام الفوطي وهو من أصحاب أبي الهذيل العلاف، وقد تقدم ذكر المؤلف له وبيان بطلان قوله.

○ قوله: «أو أحداً من أتباعهم وأشياعهم فاحذره، فإنه صاحب بدعة فإن هؤلاء كانوا على الردة» أي: الذي يثني على واحداً من أتباعهم وأشياعهم فاحذره فإنه صاحب بدعة.

○ قوله: «واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير ومن ذكر منهم بمنزلتهم» فإذا رأيته يذكر هؤلاء المبتدعة بخير فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيته يذكر الأخيار بخير فاعلم أنه صاحب سنة، وخلاصة القول: أنك إذا سمعت الرجل يثني على ابن أبي دؤاد أو على المبتدعة وأهل البدع فهو صاحب بدعة؛ لأنهم كانوا على الردة، وأما الذي يذكرهم بخير فاترك هذا الرجل ولا تتكلم معه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٤٢] والمحنة في الإسلام بدعة، وأما اليوم فيمتحن بالسنة؛ لقوله: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته، فتنظر فإن كان صاحب سنة له معرفة، صدوق، كتبت عنه، وإلا تركته.

الشرح

○ قوله: «**والمحنة في الإسلام بدعة**» مثل المأمون عندما امتحن الناس وقال لهم: قولوا بخلق القرآن ومن لم يقل بخلق القرآن سجنه أو قتله، فهذه محنة، وهذه بدعة.

○ قوله: «**وأما اليوم فيمتحن بالسنة**» وتنظر فإذا كان هذا الرجل سنياً تأخذ العلم عنه وتستفيد منه، وإذا كان بدعياً فلا تأخذ عنه شيئاً.

○ قوله: «**لقوله: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»**» وهذا أخرجه ابن عدي في الكامل وعنه السهمي في تاريخ جرجان(١).

○ قوله: «**ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته**» فلا يقبل

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٥٢)، و«تاريخ جرجان» (١/ ٤٧٣) مرفوعا، ولم يثبت، وهو مشهور عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ من قوله، كما رواه مُسْلِم في المقدمة (١/ ١٣).

الحديث إلا ممن تقبل شهادته وهو أن يكون عدلاً ضابطاً.

○ قوله: «**فتنظر فإن كان صاحب سنة له معرفة، صدوق، كتبت عنه وإلا تركته**» وهكذا ينبغي ألا يقبل الحديث إلا ممن تقبل شهادته، فينظر إن كان صاحب سنة وله معرفة بالحديث وهو صدوق فيكتب عنه وإلا ترك.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٤٣] وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك، فاحذر الكلام، وأصحاب الكلام، والجدال والمراء، والقياس، والمناظرة في الدين، فإن استماعك منهم وإن لم تقبل منهم يقدح الشك في القلب، وكفى به قبولاً فتهلك، وما كانت زندقة قط، ولا بدعة، ولا هوى، ولا ضلالة، إلا من الكلام، والجدال، والمراء والقياس، وهي أبواب البدعة، والشكوك والزندقة.

الشرح

○ قوله: «وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك فاحذر الكلام، وأصحاب الكلام، والجدال والمراء، والقياس، والمناظرة في الدين، فإن استماعك منهم وإن لم تقبل منهم يقدح الشك في القلب» أي: في الأسماء والصفات والقدر وغيره، وهذا فيه تحذير من البدع وأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والجهمية، وأصحاب الكلام والجدال والمراء والقياس والمناظرة في الدين، فإن استماعك منهم وإن لم تقبل منهم يقدح الشك في قلبك، وهذا أقل الأحوال.

○ قوله: «وكفى به قبولاً فتهلك وما كانت زندقة قط ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة إلا من الكلام والجدال، والمراء والقياس،

وهي أبواب البدعة، والشكوك والزندقة» فبهذا الكلام والجدال والمراء والقياس وغيره يفتح باب الزندقة والنفاق والبدعة والهوى والضلالة، وهذه هي أبواب البدع والشكوك والزندقة، فأول من قاس قياساً فاسداً إبليس، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: ١٢] والقياس الفاسد هو: القياس الذي يصادم النص، وهو فاسد الاعتبار.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٤٤] فالله الله في نفسك، وعليك بالأثر، وأصحاب الأثر، والتقليد؛ فإن الدين إنما هو بالتقليد يعني: للنبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، ومن قبلنا لم يدعونا في لبس، فقلدهم واسترح، ولا تجاوز الأثر، وأهل الأثر، وقف عند المتشابه، ولا تقس شيئاً، ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع، فإنك أمرت بالسكوت عنهم، ولا تمكنهم من نفسك.

أما علمت أن محمد بن سيرين في فضله لم يُجب رجلاً من أهل البدع في مسألة واحدة، ولا سمع منه آية من كتاب الله، فقيل له، فقال: أخاف أن يحرفها فيقع في قلبي شيء.

الشرح

○ قوله: «فالله الله في نفسك»، أي: اعتن بنفسك «وعليك بالأثر وأصحاب الأثر» أي: أصحاب الحديث.

○ قوله: «والتقليد فإن الدين إنما هو بالتقليد» أي: وعليك بالتقليد للنبي ﷺ فإن الدين إنما هو بذلك، والمراد: الاتباع.

والتقليد مذموم لكن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عبر بالتقليد، ولو قال: بالاتباع لكان أحسن.

○ قوله: «ومن قبلنا لم يدعونا في لبس» أي: العلماء الذي سبقونا ما جعلونا في حيرة فقد أوضحوا لنا الأمر.

○ قوله: «فقلدهم واسترح ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر» أي: اتبعهم ولا تتجاوز النصوص من الكتاب أو من السنة، فإذا فعلت شيئاً يجب أن تستدل بالنص، وسؤال أهل العلم.

○ قوله: «وقف عند المتشابه» أي: تأمل وانظر فلعله يتضح لك، «ولا تقس شيئاً» برأيك وفهمك وعقلك، والمعنى: أنه يجب على الإنسان أن يقف عند المتشابه من القرآن والسنة، ولا يتكلم فيه حتى يسأل أهل العلم، **فالمتشابه نوعان:**

١- المتشابه الإضافي الذي يكون أن يكون متشابهاً عند البعض، فالمتشابه يرد إلى المحكم، ويفسر ويضم إليه حتى يتضح المعنى، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ٧].

٢- المتشابه على كل أحد، ككيفية الصفات وحقائق الآخرة، فهذا يُوْكل أمره إلى الله ﷻ، ولا يفسر، ولهذا قال المؤلف ﵀: «وقف عند المتشابه ولا تقس شيئاً» أي: لا تقس شيئاً من أمور وحقائق الآخرة على أمور الدنيا، فالله تعالى أخبر أن لنا في الآخرة خمراً ولبناً وعسلاً وفاكهة، فهذه ليست مثل التي عندنا في الدنيا، وإن كان بينهما نوع تشابه يكون في الأسماء ولكن الحقائق تختلف، ولهذا قال ابن عباس ﵄: «**ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء**»(١).

○ قوله: «ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع؛

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٢).

فإنك أمرت بالسكوت عنهم» أي: لا ترد على أهل البدع إذا كان الرد لا يفيد معهم، بأن كانوا أهل عناد ولا يقبلون الحق، أما إذا كان يرجى أن ينتفعوا به، فإنه يرد عليهم ويبين لهم الحق لعل الله أن يهديهم، ويناظرون إذا غلب على الظن أن المناظرة تفيد، لكن هذا الكلام محمول على أهل البدع الذين لا تفيد المناظرة معهم، ولا يفيد الكلام معهم.

○ قوله: **«ولا تمكنهم من نفسك»** لأنك إذا مكنتهم من نفسك طمعوا فيك وقد يؤثرون عليك.

○ قوله: **«أما علمت أن محمد بن سيرين في فضله لم يُجب رجلاً من أهل البدع في مسألة واحدة، ولا سمع منه آية من كتاب الله، فقيل له، فقال: أخاف أن يحرفها فيقع في قلبي شيء»** وهذا الأثر أخرجه الدارمي وغيره[1]، فلما كان يسأله رجل من أهل البدع لم يكن يجبه محمد بن سيرين رحمه الله ولا يسمع منه آية، فلما سئل، قال: أخاف أن يحرفها فيقع هذا التحريف في قلبي، فإذا كان هذا التابعي الجليل يخاف أن يقع في قلبه شيء من التحريف، فكيف بغيره؟!

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٣٨٩)، وابن وضاح في «البدع» (١/ ١٠٦)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٤٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٤٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٨٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٤٥] وإذا سمعت الرجل يقول: إنا نحن نعظم الله إذا سمع آثار رسول الله ﷺ، فاعلم أنه جهمي، يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ، ويدفع بهذه الكلمة آثار رسول الله ﷺ، وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه إذا سمع حديث الرؤية، وحديث النزول وغيره، أفليس يرد أثر رسول الله ﷺ؟ وإذا قال: إنا نعظم الله أن يزول من موضع إلى موضع، فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره، فاحذر هؤلاء؛ فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذا الحال، وحذر الناس منهم.

الشرح

○ قوله: «وإذا سمعت الرجل يقول: إنا نحن نعظم الله إذا سمع آثار رسول الله ﷺ، فاعلم أنه جهمي يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ ويدفع بهذه الكلمة آثار رسول الله ﷺ، وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه إذا سمع حديث الرؤية، وحديث النزول وغيره، أفليس يرد أثر رسول الله ﷺ؟» هناك اصطلاح عند الجهمية، أنه إذا سمع الجهمي أو صاحب البدعة حديثاً، كحديث النزول أو حديث الرؤية، قال: إنا نعظم الله، وقصده بذلك: لا نقبل إلا ما في القرآن، وقصده كذلك رد السنة، ورد الأحاديث التي ذكرتها، وكذلك إذا قرأت عليه الأحاديث التي فيها إثبات السمع والبصر، قال: إنا نعظم الله، فإذا سمعت هذه الكلمة فاعلم أنه جهمي؛ لأنه يريد أن يرد الأثر والحديث، فكأنه يقول: لا أقبل الحديث وإنما أكتفي بالقرآن،

وإنما جهمي يريد أن يرد النصوص بهذه الكلمة، وفي الظاهر يزعم أنه يعظم الله وينزهه، ويوهم بذلك.

❍ قوله: «**وإذا قال: إنا نعظم الله أن يزول من موضع إلى موضع**» من قال هذا فقد أراد أن يرد حديث النزول، فإذا تلوت أحاديث النزول قال: إنا نعظم الله أن يزول من موضع إلى موضع، وقصده بذلك إنكار حديث النزول.

❍ قوله: «**فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره**» وإنما أنبياء الله ورسله عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ هم أعلم به ﷻ، وهم أخشى الناس وأتقاهم له ﷻ، فقد اصطفاهم الله تعالى واجتباهم على غيرهم برسالته.

❍ قوله: «**فاحذر هؤلاء، فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذا الحال، وحذر الناس منهم**» فاحذر هؤلاء؛ لأن كثيراً من الناس ينطلي عليهم هذا التمويه، وحذر الناس منهم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٤٦] وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب، وهو مسترشد فكلمه، وأرشده، وإذا جاءك يناظرك، فاحذره، فإن في المناظرة: المراء، والجدال، والمغالبة، والخصومة، والغضب، وقد نُهِيْتَ عن هذا جداً، يخرجان جميعاً من طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا، وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم.

الشرح

○ قوله: «**وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب**» فانظر هل «**هو مسترشد**» فكلمه وبين له «**أو مجادل**» فلا تجبه واحذره «**وإذا جاءك يناظرك، فاحذره**» والمقصود: أن الذي يسألك عن مسألة في هذا الكتاب فهو بين أمرين:

أحدهما: إما أنه مسترشد يريد الفائدة،فإن كان مسترشداً فأرشده ووضح له،لأنه يريد الحق.

ثانيهما: إما أنه مجادل ؛ فإن كان مجادلاً مناظراً فلا تجبه واحذره.

○ قوله: «**فإن في المناظرة: المراء، والجدال، والمغالبة، والخصومة، والغضب**» أي: أن الجدال يبعد الإنسان عن طريق الحق، وهذا محمول على ما إذا كان الجدال لا يفيد، أما إذا غلب على الظن أنه يفيد فإنه يناظر ويبين له الحق لعل الله أن يهديه. أما

إذا وجد علامات تدل على أن هذا الشخص لا يريد الحق وأنه معاند فهذا لا يناظر بل يترك، وقد جادل عثمان بن سعيد الدارمي بشر المريسي، وهناك مناظرات حدثت بين العلماء.

○ قوله: «**وقد نُهِيْتَ عن هذا جداً، يخرجان جميعاً من طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا، وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم**» وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النّحل: ١٢٥]، وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العَنكبوت: ٤٦]، فلا بأس بالجدال إذا تعين طريقاً لقبول الحق.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٤٧] قال الحسن: الحكيم لا يماري ولا يداري، حكمته ينشرها، إن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله.

وجاء رجل إلى الحسن فقال له: أنا أناظرك في الدين؟ فقال الحسن: أنا عرفت ديني، فإن ضل دينك فاذهب فاطلبه.

وسمع رسول الله ﷺ قوماً على باب حجرته، يقول أحدهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ فخرج مغضباً، فقال: «أبهذا أمرتم؟! أم بهذا بعثت إليكم؛ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟!» فنهى عن الجدال.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يكره المناظرة، ومالك بن أنس، ومن فوقه، ومن دونه، إلى يومنا هذا. وقول الله أكبر من قول الخلق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

وسأل رجل عمر رضي الله عنه فقال: ما النَّاشِطَاتِ نَشْطًا؟ فقال: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك.

وقال النبي ﷺ: «المؤمن لا يماري، ولا أشفع للمماري يوم القيامة، فدعوا المراء لقلة خيره».

الشرح

○ قوله: «قال الحسن: الحكيم لا يماري ولا يداري، حكمته

ينشرها، إن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله»[(١)] أي: يترك المراء والجدال، وهذا محمول على ما إذا كان الجدال لا يفيد.

○ قوله: **«وجاء رجل إلى الحسن فقال له: أنا أناظرك في الدين؟ فقال الحسن: أنا عرفت ديني، فإن ضل دينك فاذهب فاطلبه»**[(٢)] وهو صحيح، والمعنى: أني لا حاجة لي في مناظرتك، فإن كان دينك قد ضاع منك فاذهب فاطلبه وابحث عنه، أما أنا فإني لا إشكال عندي، وليس عندي شك في ديني.

○ قوله: **«وسمع رسول الله ﷺ قوماً على باب حجرته يقول أحدهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ فخرج مغضباً فقال: أبهذا أمرتم؟! أم بهذا بعثت إليكم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟! فنهى عن الجدال»** جاء في الحديث: عن أبي سعيد قال كنا جلوسا على باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وهذا بآية قال: فقال: «**ما هؤلاء ألهذا بعثتم؟ أم بهذا أمرتم؟**»[(٣)]، وجاء في بعضها: نفي القدر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي القَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: «**أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ**»[(٤)]، وفي رواية: «**فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ**

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٦١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٨٣)، إسناده ضعيف، فيه راوٍ مبهم.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢١٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥٨٦).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٨/ ٧٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٧٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، رقم (٢١٣٣)، وابنُ ماجه، المقدمة، (٨٥)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ، فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ»[(١)] فيه النهي عن الجدال.

○ قوله: «**وكان ابن عمر يكره المناظرة ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا**» أي: إذا كانت المناظرة تؤدي إلى النزاع والشقاق والبغضاء، أما إذا كانت المناظرة تؤدي إلى قبول الحق ومعرفة الحق فإنها مطلوبة، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النّحل: ١٢٥].

○ قوله: «**وقول الله أكبر من قول الخلق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾** [غافر: ٤]» أي: أن قول الله أبلغ من الآثار، وأقوى دليلاً، وفي الآية بيان أن الكفار هم الذين يجادلون في آيات الله.

○ قوله: «**وسأل رجل عمر** رضي الله عنه» عن هذه الآية: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ [النّازعات: ٢]؟ قال له: «**ما الناشطات نشطاً؟ فقال: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك**»[(٢)] أي: محلوق الرأس؛ لأن الخوارج يحلقون رءوسهم ويتدينون بحلق الرأس ويشددون، فقال عمر له: لو كنت محلوقاً، أي: لو كنت محلوق الرأس لعرفت أنك من الخوارج الذين يجادلون بالباطل، وحينئذ ضربت عنقك، وفي الحديث يقول النبي ﷺ عنهم: «**سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ**»[(٣)] أي: علامة الخوارج حلق

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٦٧٤١)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٦٣)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٦٧)، «المعجم الأوسط»، للطبراني (٣/ ٢٢٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٧٩٤)، و«شعب الإيمان» (٣/ ٥٢٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٥٥٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى (٣٢٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، رقم (٧٥٦٢).

الرأس، والخوارج يتشددون في حلق الرأس، وقصة الرجل الذي سأل عمر رضي الله عنه صحيحة مشهورة(١).

○ قوله: «**وقال النبي ﷺ: «المؤمن لا يماري، ولا أشفع للمماري يوم القيامة، فدعوا المراء؛ لقلة خيره»**(٢) أي: لا يجادل، والجدال فيه تفصيل: فإذا كان بالباطل فقد نهي عن ذلك، وإذا كان يفيد فلا بأس بالجدال لإيضاح الحق.

(١) أخرجه الدارمي، رقم (١٥٠)، وابن وضاح في «البدع» (١/ ١١١)، والبزار في مسنده، رقم (٢٩٩)، والرجل اسمه: صبيغ بن عسلٍ الشامي، وقيل: العراقي.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٥٢)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥٣٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٥٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٦): فيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً، وقال: وفيه كثير بن مروان كذبه يحيى.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٤٨] ولا يحل لرجل مسلم أن يقول: فلان صاحب سنة، حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، لا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها.

وقال عبدالله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة أهواء انشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج[1].

فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على جميع أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله خيرها وشرها، يضل من يشاء

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٧٦/ ٢٥٧)، وانظر: المسألة [١٤٨] من هذا الكتاب.

ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سنة.

الشرح

○ قوله: «**ولا يحل لرجل مسلم أن يقول: فلان صاحب سنة، حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، لا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها**» أي: أنه لا يطلق وصف: صاحب سنة، إلا على من سلم من البدع، أما إذا كان متلبساً ببعض البدع فلا يقال له: صاحب سنة، حتى تجتمع فيه السنة كلها، وحتى يسلم من الجدال، أما من كان عنده بعض البدع ويعمل بالسنة فلا يقال له: صاحب سنة بإطلاق، قل: إنه صاحب سنة فيما وافق فيه السنة، وصاحب بدعة فيما وافق فيه البدع، وهذا يفسر الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةًكُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً**»، **قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ**: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[(١)].

○ قوله: «**وقال عبدالله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة أهواء انشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج**» والمعنى: إن أصل اثنين وسبعين هوى ـ أي: بدعة وفرقة ضالة ـ أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء انشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى، وفيه التحذير من القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج؛ لأنهم أصل البدع.

---

(١) سبق تخريجه.

○ قوله: «**فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على جميع أصحاب رسول الله ﷺ**» أي: قدمهم في الفضيلة والخلافة، فهذا من أهل السنة وخرج من التشيع؛ لأن الشيعة والرافضة يرون أن أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوا الخلافة، وأن الخليفة الأول هو علي، وأن النبي ﷺ نص على اثني عشر إماماً أولهم علي وآخرهم محمد بن الحسن الذي دخل في سرداب سامراء في العراق سنة مائتين وستين هجرية، وأن الصحابة كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وأخفوا النصوص التي فيها النص على الأئمة، وولوا أبا بكر زوراً وظلماً وعدواناً، ثم ولوا عمر زوراً وظلماً وبهتاناً، ثم ولوا عثمان زوراً وبهتاناً، ثم وصلت إلى الخليفة الأول وهو علي.

○ قوله: «**ولم يتكلم في الباقين**» من الصحابة «**إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره**» أي: من تكلم في الصحابة وسب الصحابة أو سب أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فهو رافضي، وهذه علامة السني الذي يخرج من التشيع، وهي أن يقدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على جميع أصحاب النبي ﷺ، ولا يتكلم في الباقين من الصحابة إلا بخير، ويدعو لهم، فهذا يخرج من التشيع أوله وآخره.

○ قوله: «**ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره**» أي: من قال: الإيمان قول القلب وهو التصديق والإقرار، وقول اللسان وهو النطق، وعمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة، وعمل الجوارح، ومن قال: إن الإيمان يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره، وقد جاء نحو هذا عن الإمام أحمد رحمه الله فقد سئل عمَّن قال: الإيمان يزيد

وينقص؟ قال: «**هذا بريء من الإرجاء**»[١] والمرجئة أربع طوائف:

الطائفة الأولى: مذهب الجهم وهو أفسدها: أن الإيمان معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب؛ هذا أفسد المذاهب، ويلزم على هذا المذهب أن يكون إبليس مؤمنا وفرعون مؤمنا واليهود مؤمنين وأبو طالب مؤمنا.

الطائفة الثانية: مذهب الكرامية يليه في الفساد: أن الإيمان النطق باللسان فقط، وإذا كان مكذبا في القلب خلد في النار، فإذا نطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان وهو مخلد في النار إذا كان مكذبا، قال شيخ الإسلام: «والكرامية يقولون: المنافق مؤمن وهو مخلد في النار لأنه آمن ظاهرا لا باطنا وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا»[٢].

الطائفة الثالثة: مذهب الماتريدية والأشاعرة، أن الإيمان: تصديق بالقلب فقط، وهو مروي عن الإمام أبي حنيفة.

الطائفة الرابعة: مذهب مرجئة الفقهاء، أن الإيمان شيئان: تصديق بالقلب وإقرار باللسان،فمن قال: إن تصديق القلب، والأعمال ليست من الإيمان، فهو من المرجئة.

○ قوله: «**ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره**» لأن الخوارج لا يرون الصلاة خلف أئمة الجور، بل يرون أن الإمام إذا فعل كبيرة

---

(١) «السنة»، للخلال (٣/ ٥٨٢/ ١٠٠٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٤٠).

كفر وحل دمه وماله ووجب قتله. ولا يصلون خلف الإمام الفاجر الفاسق ولا يجاهدون معه، ويخرجون عليه بالسيف ولا يدعون له .

❍ قوله: «**ومن قال: المقادير كلها من الله خيرها وشرها؛ يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة**» لأن القدرية يقولون: الخير من الله والشر من العبد، بل يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة من العبد غير مخلوقة من الله، فالعبد هو الذي يخلق فعل نفسه، خيرها وشرها، طاعة أو معصية، كفراً أو إيماناً، ولهذا يقولون: يجب على الله أن يثيب المطيع وهو يستحق الأجر من الله، كما يستحق الأجير أجرته؛ لأنه هو الذي خلقه فعلاً، وأن الله يجب عليه أن يعذب العاصي؛ لأن الله توعده والله لا يخلف الميعاد.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٤٩] وبدعة ظهرت هي كفر بالله العظيم، ومن قال بها فهو كافر، لا شك فيه: من يؤمن بالرجعة، ويقول: علي بن أبي طالب حي، وسيرجع قبل يوم القيامة، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وتكلموا في الإمامة، وأنهم يعلمون الغيب، فاحذرهم؛ فإنهم كفار بالله العظيم، ومن قال بهذا القول.

قال طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يعدل، ولا يكلم، ولا يجالس.

ومن قدم علياً على عثمان فهو رافضي، قد رفض أمر أصحاب رسول الله ﷺ.

ومن قدم الأربعة على جماعتهم، وترحم على الباقين وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب.

الشرح

○ قوله: «وبدعة ظهرت هي كفر بالله العظيم، ومن قال بها فهو كافر، لا شك فيه: من يؤمن بالرجعة، ويقول: علي بن أبي طالب حي، وسيرجع قبل يوم القيامة» المراد بالرجعة: هو القول بأن علياً لم يمت، وأنه في السحاب، وسيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

○ قوله: «ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وتكلموا في الإمامة» يقول الرافضة: قد نصَّ الرسول ﷺ

على الأئمة بعده، وأنهم الأئمة الاثني عشر المعصومون، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الثاني الحسن بن علي الإمام، ثم الثالث الحسين بن علي، ثم بقية التسعة كلهم من نسل الحسين، الرابع علي بن حسين زين العابدين، ثم الخامس جعفر بن محمد الصادق، ثم السادس موسى بن جعفر الكاظم، ثم السابع علي بن موسى الرضا، ثم الثامن محمد بن علي الجواد، ثم التاسع علي بن محمد الهادي، ثم الحادي عشر الحسن بن علي العسكري، ثم الثاني عشر محمد بن الحسن الخلف الحجة المهدي المنتظر الذي دخل سرداب سامراء في العراق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنهم يدَّعون أنه الغائب المنتظر محمد بن الحسن الذي دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين أو نحوها ولم يميز بعد، بل كان عمره إما سنتين أو ثلاثًا أو خمسًا أو نحو ذلك، وله الآن على قولهم أكثر من أربعمائة وخمسين سنة ولم يُرَ له عين ولا أثر ولا سُمِعَ له حسٌّ ولا خبر!»[(١)].

فالرافضة يقولون: إن هؤلاء الأئمة معصومون، وإن النبي ﷺ نص عليهم وإنهم الخلفاء من بعده، إلا أن الصحابة ارتدوا وكفروا بعد وفاة النبي ﷺ، وحرفوا النصوص وولوا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان؛ لأنهم كفار، نسأل الله السلامة، فإذا كان الصحابة كفاراً، وهم الذين حملوا السيف؛ فكيف يوثق بدين حمله الكفار؟! وهذا يدل على كفر الرافضة وضلالهم.

○ قوله: «**وأنهم يعلمون الغيب، فاحذرهم؛ فإنهم كفار بالله العظيم، ومن قال بهذا القول**» يعني: يزعمون أن أئمتهم يعلمون

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (١/ ١١٣، ١١٤).

الغيب، وهذا كفر وضلال، فمن زعم أن أحداً يعلم الغيب فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النَّمل: ٦٥].

○ قوله: «**قال طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يعدل، ولا يكلم، ولا يجالس.**

ومن قدم علياً على عثمان فهو رافضي، قد رفض أمر أصحاب رسول الله ﷺ» هذه المسألة فيها تفصيل، وهي تقديم علي على عثمان فإن قدم علياً على عثمان في الخلافة، فهذا رافضي، وكما قال الإمام أحمد رحمه الله: «مَنْ لَمْ يُرَبِّعْ بِعَلِيٍّ فِي الْخِلَافَةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ»(١)، وقال شيخ الإسلام بن تيمية «**وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ**»(٢)؛ لأن الصحابة أجمعوا على مبايعة عثمان، أما من قدم علياً على عثمان في الفضيلة فهذا لا يكون رافضياً؛ لأنها مسألة سهلة. وروي عن الإمام أبي حنيفة تفضيل علي على عثمان في الفضيلة دون التفضيل بالخلافة(٣)، وروي أنه رجع ووافق الجمهور(٤)، أما من قدم علياً في الخلافة على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، كما جاء عن الإمام أحمد(٥)؛ لأن المهاجرين والأنصار أجمعوا على تقديم عثمان على علي.

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (١/ ٥٣٧)، و«المسائل والأجوبة» (١/ ٨٤).
(٢) انظر: «العقيدة الواسطية» (١/ ١١٨).
(٣) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٤٩٦).
(٤) قال رحمه الله: «وَأفضل النَّاس بعد النَّبِيين عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام أَبُو بكر الصّديق ثمَّ عمر بن الْخطاب الْفَارُوق ثمَّ عُثْمَان بن عَفَّان ذُو النورين ثمَّ عَليّ بن أبي طَالب المرتضى رضوَان الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ». «الفقه الأكبر» (١/ ٤١).
(٥) كما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله: «من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار» السنة للخلال (٥٥٨).

إذاً: تقديم علي على عثمان في الخلافة ضلال، وتقديم علي على عثمان في الفضيلة ليس بضلال وهي ليست من المسائل التي يضلل فيها الإنسان أو يبدع، واستقر الإجماع على تقديم عثمان على علي، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في الواسطية: «وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة»[1]، والمؤلف ﵀ شدد في هذا ولم يفصل.

○ قوله: **«ومن قدم الأربعة على جماعتهم، وترحم على الباقين وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب»** أي: من قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلي على جميع الصحابة، وترحم على بقية الصحابة، وكف عن زللهم وخطئهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب، يعني: في باب الصحابة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (١/ ١١٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٥٠] والسنة أن تشهد أن العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة أنهم في الجنة لا شك فيه.

الشرح

○ قوله: «**والسنة أن تشهد أن العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة أنهم في الجنة لا شك فيه**» أي: أن على المؤمن أن يشهد بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ بذلك، ومنهم العشرة المبشرون بالجنة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، كما في الحديث: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(١)، وكذلك غيرهم ممن شهد لهم النبي ﷺ مثل الحسن والحسين فإن النبي ﷺ قال: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٢)، وممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة ثابت بن

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب المناقب، باب مَنَاقِبِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٧٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي، المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم (٣٧٦٨)، وابنُ ماجَهْ: المقدمة، رقم (١١٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا الحديث صح من أوجه كثيرة.

قيس بن شماس، فقد قال عنه النبي ﷺ: "**هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**"، قال أنس بن مالك ـ راوي الحديث ـ: «**فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١)، وعكاشة بن محصن، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»... **فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ**: «**ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ**: «**أَنْتَ مِنْهُمْ؟**»(٢)، وابن عمر رضي الله عنهما كما جاء عنه، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ، وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ إِلَيْهِ، قَالَ فَقَصَصْتُهُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَرَى عَبْدَ اللهِ رَجُلًا صَالِحًا**»(٣)، وعبدالله بن سلام رضي الله عنه، لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «**مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِاللهِ بْنِ سَلَامٍ**» قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠] الآيَةَ(٤) وجماعة.

---

(١) أخرجه مُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (١١٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، رقم (٥٧٥٢)، ومُسْلِم، كتاب الْأَيْمَانِ، رقم (٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى، رقم (١١٥٦)، ومُسْلِم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٧٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبدالله بن سلام رضي الله عنه (٣٨١٢)، ومُسْلِم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٨٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٥١] ولا تفرد بالصلاة على أحد إلا لرسول الله ﷺ وعلى آله فقط.

الشرح

○ قوله: «**ولا تفرد بالصلاة على أحد إلا لرسول الله ﷺ وعلى آله فقط**» أي: لا تخص بالصلاة إلا رسول الله ﷺ، وآله فقط، وآل النبي ﷺ هم أقاربه من أهل بيته وزوجاته مثل علي وفاطمة والحسن والحسين، وقيل: كل من تبع دينه، تقول: اللهم صل على محمد؛ اللهم صل على علي؛ اللهم صل على الحسن؛ اللهم صل على الحسين، وهذا ليس بصواب، والسنة أن يفرد النبي ﷺ وحده بالصلاة، ولا يفرد آله، والشيعة هم الذين إذا مر ذكر علي يقولون: عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، والحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ والحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي عليه علماء السنة: أن الأنبياء يصلى عليهم، والصحابة يترضى عنهم، ومن بعدهم يترحم عليهم، فإذا مر ذكر نبي من الأنبياء تقول: ﷺ، وإذا مر ذكر الصحابي تقول: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإذا مر ذكر من بعده تقول: رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن لو صليت على غير الأنبياء في بعض الأحيان ولم يكن هذا باستمرار فلا بأس لما جاء أن عبدالله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا جاء بصدقة إلى النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ**

عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»[(١)]، فإذا صليت في بعض الأحيان فلا بأس، لكن كونك تجعله ديدنك وشعارك كلما جاء ذكر الصحابي تصلي عليه فهذه كطريقة الروافض في تخصيصهم الآل بالصلاة.

فلا يفرد بالصلاة إلا على النبي ﷺ، أما آل النبي ﷺ فكغيره، وآله يشمل المستقيمين على دينه، وأهل بيته وزوجاته.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، رقم (١٤٩٧)، ومُسْلِم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٧٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٥٢] وتعلم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قتل مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً.

الشرح

○ قوله: «**وتعلم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قتل مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً**» هذا حق، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة، أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً ومن قتله كان ظالماً، وذلك باتفاق المسلمين[١].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٧٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[١٥٣] فمن أقر بما في هذا الكتاب، وآمن به، واتخذه إماماً، ولم يشك في حرف منه، ولم يجحد حرفاً واحداً، فهو صاحب سنة وجماعة، كامل، قد كملت فيه السنة، ومن جحد حرفاً مما في هذا الكتاب، أو شك في حرف منه أو شك فيه أو وقف، فهو صاحب هوى. ومن جحد أو شك في حرف من القرآن، أو في شيء جاء عن رسول الله ﷺ لقي الله تعالى مكذباً، فاتق الله واحذر وتعاهد إيمانك.

الشرح

○ قوله: «**فمن أقر بما في هذا الكتاب، وآمن به، واتخذه إماماً، ولم يشك في حرف منه، ولم يجحد حرفاً واحداً، فهو صاحب سنة وجماعة، كامل، قد كملت فيه السنة**» يقصد المؤلف كتابه هذا «شرح السنة» والمعنى: من آمن به وأقر بما فيه فقد اكتملت فيه السنة.

○ قوله: «**ومن جحد حرفاً مما في هذا الكتاب، أو شك في حرف منه أو شك فيه أو وقف، فهو صاحب هوى**» وهذا ليس بصحيح، فإن هذه الأوصاف التي ذكرها عن كتابه لا تكون إلا في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما ما كتبه البشر فهم يخطئون فيه ويصيبون، والبربهاري رَحِمَهُ اللهُ غلط في أشياء وأخطأ، وأتى بأحاديث ضعيفة، وأشياء قد وهم فيها، ففي كتاب

المصنف بعض الحروف والجمل والكلمات التي ذكرها خلاف الصواب، ولا ينبغي أن يلزم الناس إلا بالكتاب والسنة، ويجب على المسلم أن يستدل بكتاب الله وسنة رسوله، أما أن يلزم الناس بغيرهما فهذا ليس بسديد.

○ قوله: «**ومن جحد أو شك في حرف من القرآن، أو في شيء جاء عن رسول الله لقي الله تعالى مكذباً**» أي: من جحد حرفاً من القرآن أو شك فيه فهذا كافر،وكذلك إذا جحد شيئاً مما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من غير تأويل، وهناك فرق بين المتأول وبين الجاحد، فلو جحد أحدهم قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فهذا كافر.

ولو قال متأول: أنا أومن بها وأنها آية، لكن معنى استوى: استولى، لأنه لا يليق بالله، والذي يستوي هو الشيء المحسوس والجسم المحدث، والله ليس بجسم ولا بمتحيز، فلا يمكن أن يستوي، فهذا له شبهة، فلا يكفر.

○ قوله: «**فاتق الله واحذر وتعاهد إيمانك**» أي: احذر من الجحود والشك والتأويل وتعاهد إيمانك، واحذر مما ينقصه أو يزيله كالجحود والتكذيب والرد في كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٥٤] ومن السنة أن لا تعين أحداً على معصية الله، ولا أولي الخير ولا الخلق أجمعين، لا طاعة لبشر في معصية الله، ولا تحب عليه أحداً، واكره ذلك كله لله تبارك وتعالى.

الشرح

○ قوله: «**من السنة أن لا تعين أحداً على معصية الله ولا أولي الخير ولا الخلق أجمعين، لا طاعة لبشر في معصية الله**» المراد السنة الواجبة لا المستحبة، فليس للإنسان أن يعين أحداً على المعصية، وليس لأحد أن يطيع أحداً في المعصية ولا أولي الخير، في بعض النسخ: «**ولا الوالدين**» ولعله أصوب، فإذا أمراك بمعصية فلا تطعهما، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المَائدة: ٢]، وقال في حق الوالدين الكافرين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ﴾ [لقمَان: ١٥] ثم قال سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمَان: ١٥]، فلا يطاع أحد في المعصية، ولا يعان أحد على المعصية لا الوالد ولا غيره، فالوالد إذا أمرك بمعصية فلا تطعه، والزوجة إذا أمرها زوجها بمعصية فلا تطعه، والعبد إذا أمره سيده بالمعصية فلا يطعه؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

○ قوله: «**ولا تحب عليه أحداً**» أي: لا يحب على المعصية أحداً.

○ قوله: «**واكره ذلك كله لله تبارك وتعالى**» أي: اكره الإعانة على المعصية واكره طاعة البشر في معصية الله امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٥٥] والإيمان بأن التوبة فريضة على العباد أن يتوبوا إلى الله عز وجل من كبير المعاصي وصغيرها.

الشرح

○ قوله: «**والإيمان بأن التوبة فريضة على العباد أن يتوبوا إلى الله عز وجل من كبير المعاصي وصغيرها**» أي: أن التوبة واجبة على العباد في كل وقت من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النُّور: ٣١] وهذا أمر والأمر للوجوب، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التّحْريم: ٨].

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١٥٦] ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، فهو صاحب بدعة وضلالة، شاك فيما قال رسول الله ﷺ.

الشرح

○ قوله: «**ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، فهو صاحب بدعة وضلالة، شاك فيما قال رسول الله ﷺ**» يعني: الواجب على المسلم أن يشهد بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة والحسن والحسين، فمن لم يشهد فهو صاحب بدعة وضلالة، شاك فيما قال رسول الله ﷺ، إلا إذا لم يبلغه ذلك فهو معذور، فإذا بلغه النص فيجب عليه أن يشهد بالجنة لمن شهدت له النصوص بذلك.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مالك بن أنس: من لزم السنة، وسلم منه أصحاب رسول الله ثم مات، كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن كان له تقصير في العمل.

وقال بشر بن الحارث: الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام.

وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت رجلاً من أهل السنة، فكأنما أرى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا رأيت رجلاً من أهل البدع، فكأنما أرى رجلاً من المنافقين.

وقال يونس بن عبيد: العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة، وأعجب منه من يجيب إلى السنة فيقبل.

وكان ابن عون يقول عند الموت: السنة السنة، وإياكم والبدع. حتى مات.

وقال أحمد بن حنبل: ومات رجل من أصحابي فرئي في المنام، فقال: قولوا لأبي عبدالله: عليك بالسنة؛ فإن أول ما سألني الله سألني عن السنة.

وقال أبو العالية: من مات على السنة مستوراً، فهو صديق.

ويقال: الاعتصام بالسنة نجاة[١].

---

(١) إلى هنا انتهى الموضع انتهى الأصل المخطوط، وما بعده فهو مما نقله ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢-٤٣).

وقال سفيان الثوري: من أصغى بإذنه إلى صاحب بدعة، خرج من عصمة الله، ووكل إليها - يعني إلى البدع -.

وقال داود بن أبي هند: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران: لا تجالس أهل البدع، فإن جالستهم، فحاك في صدرك شيء مما يقولون، أكببتك في نار جهنم.

وقال الفضيل بن عياض: من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

وقال الفضيل بن عياض: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة.

وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.

وقال الفضيل بن عياض: من جلس مع صاحب بدعة، ورثه العمى.

وقال الفضيل بن عياض: إذا رأيت صاحب بدعة في طريق فجز في طريق غيره.

وقال الفضيل بن عياض: من عظم صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله ﷻ على محمد، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط من الله حتى يرجع.

وقال الفضيل بن عياض: آكل مع يهودي ونصراني، ولا آكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد.

وقال الفضيل بن عياض: إذا علم الله من الرجل أنه مبغض

لصاحب بدعة غفر له، وإن قل عمله.

ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا نفاقا.

ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانا، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة.

فلا تكن تحب صاحب بدعة في الله أبدا.

الشرح

○ قوله: «وقال مالك بن أنس: من لزم السنة، وسلم منه أصحاب رسول الله ثم مات، كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن كان له تقصير في العمل» أي: أن من لزم السنة وعمل بالكتاب، وسلم منه أصحاب رسول الله ﷺ واستقر على الدين فهو مع النبيين والصديقين، وإن كان عمله لا يلحق بهم لكن تجبره المحبة، فمحبته لهم تلحقه بهم، ولهذا لما جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله! المرء يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال النبي ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»(١)، فإذا اجتهد الإنسان في العمل الصالح، وكان موحداً، واستقام على الدين مع بذل الجهد فإن محبته لهم تجبر هذا النقص ويكون معهم.

○ قوله: « وقال بشر بن الحارث: الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام» يعني: أن الإسلام هو أن تعمل بالسنة، والسنة فيها أوامر ونواه، فإذا عملت بها فهذا هو الإسلام، فالسنة هي الإسلام،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله ﷻ، رقم (٦١٦٨)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٦٤٠).

فمن عمل بالسنة فهو على الإسلام.

○ قوله : «وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت رجلاً من أهل السنة، فكأنما أرى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ» يعني: لأنه تابع لآثارهم، ومتخلق بأخلاقهم، فكأنه منهم.

○ قوله: «وإذا رأيت رجلاً من أهل البدع، فكأنما أرى رجلاً من المنافقين» لأن النفاق يكثر في أهل البدع.

○ قوله : «وقال يونس بن عبيد: العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة» يعني: لقلتهم بسبب كثرة البدع، وكيف أن الله تعالى سلمهم من الفتن والبدع .

○ قوله: «وأعجب منه من يجيب إلى السنة فيقبل»(١) يعني: أعجب ممن يهتدي؛ لأن الله تعالى وفقه مع كثرة البدع وكثرة الداعين إلى البدع، وهذا معناه يشبه معنى الأثر: «**لَا تَعْجَبْ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ، وَلَكِنِ اعْجَبْ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا**»(٢).

○ قوله: «وكان ابن عون يقول عند الموت: السنة السنة، وإياكم والبدع؛ حتى مات» وهذا من نصحه رَحِمَهُ اللهُ، فعندما حضره الموت كان يقول: السُّنَّة... السُّنَّة! يعني: الزموا سنة النبي ﷺ، وإياكم والبدع حتى مات، جعل يكرر هذه الكلمة ويوصي الناس بلزوم السنة والحذر من البدع، والأنبياء أنصح الناس إلى الناس، والعلماء ورثة الأنبياء ينصحون الناس ويبينون لهم الحق، ويحذرونهم من البدع، ويأمرونهم بلزوم السنة، ويدلونهم إلى طريق

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٦٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٧١).

السعادة، ومنهم ابن عون رضي الله عنه، كان يقول عند الموت من شدة نصحه: السُّنَّة... السُّنَّة، أي: الزموا السنة، وإياكم والبدع، ويكرر ذلك حتى مات رضي الله عنه وأرضاه.

○ قوله: «**وقال أحمد بن حنبل: ومات رجل من أصحابي فرئي في المنام، فقال: قولوا لأبي عبدالله: عليك بالسنة؛ فإن أول ما سألني الله سألني عن السنة**» هذه الرؤيا من باب البشارة، فهذا لما مات رئي في المنام يوصي الإمام أحمد بلزوم السنة.

○ قوله: «**وقال أبو العالية: من مات على السنة مستوراً فهو صديق**» أي: من مات على الكتاب والسنة، ومات على التوحيد، وحذر البدع والمعاصي فهو صِدّيق، فبقوة تصديقه يحذر من الشبهات والشهوات.

○ قوله: «**ويقال: الاعتصام بالسنة نجاة**»، وهذا الأثر عن الزهري رحمه الله[(١)] أي: نجاة من الهلاك ونجاة من النار، فمن اعتصم بالسنة نجا وسلم من البدع.

○ قوله: «**وقال سفيان الثوري: من أصغى بإذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها، يعني: إلى البدع**»[(٢)] وهذه من العقوبة العاجلة، فإذا أصغى إلى صاحب بدعة فإنه يعاقب بأن يخرج من العصمة ويوكل إليها إذا كان ذلك عن عمد، ولكن من بادر

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (٩٦)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٥، ١٣٦، ١٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٦)، والبيهقي في «المدخل» (٨٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٣٥٩) عن الزهري، به.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٤٤).

بالتوبة وجاهد واستغفر الله وتاب فإن الله يتوب عليه.

○ قوله: «**وقال داود بن أبي هند: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران: لا تجالس أهل البدع؛ فإن جالستهم فحاك في صدرك شيء مما يقولون أكببتك في نار جهنم**» هذا من آثار بني إسرائيل وأخبارهم لا يعول عليه؛ فإن داود بن أبي هند القشيري بينه وبين موسى عليه السلام دهور وأزمنة طويلة تنقطع دونها أعناق المطي، ومثل هذا لا يؤخذ إلا عن المعصوم ﷺ، وهل بني إسرائيل عندهم بدع؟ أم عندهم كفر أو معاص؟

على كل حال أخبار بني إسرائيل لا حاجة إليها، والمؤلف رحمه الله نقله من باب الاستئناس، وإلا فإن الآثار التي ذكرها كافية.

○ قوله: «**وقال الفضيل بن عياض: من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة**»[(١)] يعني: إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه. والمراد بالحكمة: العلم.

وهذه الآثار كلها إلى آخر الرسالة عن الفضيل بن عياض العابد الورع الزاهد الإمام المعروف، كان في أول حياته من قطاع الطريق، ثم هداه الله وصار إماماً واعظاً مشهوراً وعالماً ورعاً زاهداً[(٢)] وهو الذي فسر قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هُود: ٧]. قَالَ: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا ولَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٤٨٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٩٨) عن الفضيل، به. وانظر: «السير» (٨/ ٤٣٥)، و«التذكرة» (١/ ٢٤٦).

(٢) تقدم ترجمته.

كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ»[(١)].

○ قوله: **«وقال الفضيل بن عياض: لا تجلس مع صاحب بدعة؛ فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة»**[(٢)] لأن أهل الكبائر والبدع ملعونين، فقد لعن الله السارق يسرق البيضة[(٣)]، وشارب الخمر[(٤)]، وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه[(٥)]؛ فإذا كان العصاة ملعونين، وهم قد فعلوا الكبائر التي ليست بدعًا؛ فصاحب البدعة من باب أولى أنه ملعون؛ لأن ذنبه أعظم من ذنب صاحب الكبيرة.

○ قوله: **«وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه»** هذا الأثر أخرجه اللالكائي وابن بطة وأبو نعيم[(٦)] وإسناده صحيح، والحكم بحبوط

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٥).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٤٧٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٩٨) عن الفضيل بن عياض.

(٣) أخرجه البخاري في الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسم، رقم (٦٧٨٣)، ومسلم في الحدود، باب حد السرقة ونصابها، رقم (١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي في البيوع، باب النهي أن يتخذ الخمر خلا، رقم (١٢٩٥)، وابن ماجه في الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، رقم (٣٣٨١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من حديث أنس».

(٥) أخرجه مسلم في الطلاق، باب لعن آكل الربا ومؤكله، رقم (١٥٩٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه و(١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه. وأخرج البخاري (٥٩٦٢) بعضه من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٤٠)، واللالكائي في «السنة» (١/ ١٥٥).

العمل وخروج نور الإسلام من قلبه إذا كانت البدعة مكفرة، أما إذا كانت البدعة غير مكفرة فإيمانه يكون ضعيفاً، ويخرج كمال النور ويبقى أصله، وهذا فيه التحذير من البدع.

○ قوله: «وقال الفضيل بن عياض: من جلس مع صاحب بدعة، ورثه العمى»[(١)] أي: أورثه الله العمى في بصيرته، لأن المعاصي والبدع نوع من العمى، والعمى الكامل هو الكفر ـ والعياذ بالله ـ.

○ قوله: «وقال الفضيل بن عياض: إذا رأيت صاحب بدعة في طريق، فجز في طريق غيره» هذا الأثر أخرجه أبو نعيم وابن بطة وابن الجوزي[(٢)]، ومعناه: إذا رأيت صاحب بدعة جالساً في طريق فاذهب من طريق آخر لئلا يؤثر عليك، وهذا فيه التحذير من أهل البدع، إلا إذا أردت نصيحته وتحذيره، وغلب على ظنك أنه يستفيد فهذا مطلوب.

○ قوله: «وقال الفضيل بن عياض: من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» وهذا الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية وأورده ابن الجوزي[(٣)]، وإسناده صحيح، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الكلام معروف عن الفضيل بن عياض»[(٤)]، فالبدع تهدم شيئاً من الإسلام؛ فالكفر يهدم الإسلام، والبدع تضعف الإسلام،

---

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١٣) عن الفضيل، به.
(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٩٣)، و«تلبيس إبليس» (١/ ١٥).
(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، و«تلبيس إبليس» (١/ ١٥).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٤٦)، وأخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٧٣) من قول إبراهيم بن ميسرة.

ومن عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، لأنه أعانه على الباطل.

○ قوله: «ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ» وذلك أنه ينبغي للإنسان أن يعبس في وجه المبتدع ولا يتبسم في وجهه، يكون كما قال ابن عبد القوي في منظومته:

وَهُجْرَانُ مَنْ أَبْدَى الْمَعَاصِيَ سُنَّةً ... وَقِيلَ إِذَا يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّدِ
وَقِيلَ عَلَى الإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلِناً ... وَلَاقِهْ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ مُرَبَّدِ[(١)]

يعني: أهل البدع لا تلقهم بوجه منبسط ولا تتبسم في وجوههم بل تعبس في وجوههم، وتظهر لهم الكراهة وتهجرهم حتى يتوبوا من بدعتهم.

○ قوله: «ومن زوج كريمته بمبتدع فقد قطع رحمها» أي: من زوج ابنته أو أخته من مبتدع فهذا فيه قطع للرحم؛ لأن الرحم هم الأقارب من جهة الأب أو الأم، وأولى الأرحام أبوك ثم أمك، ثم بناتك وأبناؤك من الرحم، وأولادك وإخوتك وأخواتك وأعمامك وعماتك وأخوالك وخالاتك، فمن زوج بنته أو أخته من مبتدع فقد قطع رحمها، فإن كانت أخته قد قطع الرحم بينه وبين أخته، وإن كانت بنته فكذلك.

والسلف يمنعون من تزويج المبتدعة، كما قال الإمام مالك في القدرية: ولا أرى أن يناكحوا[(٢)].

○ قوله: «من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط من الله حتى

---

(١) انظر: «منظومة الآداب»، لابن عبدالقوي (١/ ٢).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٨٤٧)، وأورده القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ٩١).

يرجع»[1]؛ لأن في هذا نشر لبدعته، ولهذا نهى العلماء عن اتباع جنازة المبتدع وعن زيارة المريض المبتدع، وكان سفيان بن عيينة إذا رأى من يتبع جنازة مبتدع أو يزور المبتدع هجره[2].

○ قوله: «**وقال الفضيل بن عياض: آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد**» أخرجه اللالكائي وأبو نعيم وأخرج ابن بطة الشطر الثاني منه[3]، **ووجهه** ـ والله أعلم ـ: أن اليهودي والنصراني معروف كفره وضلاله، وهو من أهل الكتاب؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [المُمتحنَة: ٨]، فقد تأكل مع اليهودي أو النصراني أكلاً حلالاً تألفا لقلبه، أما صاحب البدعة فلا تجالسه فضلا أن تأكل معه، لأنه يبث سمومه وشبهاته، فإن لم تستجب له فقد يقع كلامه في قلبك فيُحدث لك زيغ أو انحراف في معتقدك أو شك أو غير ذلك؛ فعليك أن لا تعطي فرصة لصاحب هوى وبدعة أن يبث سمومه لك، أو يلقي عليك شبهاته فيزيغ قلبك فتهلك، كما سمعنا قول ابن سيرين: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي»[4] يعني: يحرفها المبتدع، ولهذا قال الله تعالى:

(١) ذكره ابن مفلح في «المقصد الأرشد» (ص٣٣٠) عن الفضيل بن عياض. وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٩٥٣) من قول ابن عيينة.
(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة»، رقم (٢٨١٦) عن سفيان بن عيينة.
(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٧٠٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٧٠).
(٤) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٣٨٩/ ٤١١)، وابن بطه في «الإبانة» (٢/ ٤٤٥/ ٣٩٨)، واللالكائي في «السنة» (١/ ١٥٠/ ٢٤٢).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، فنهانا الله أن نجالس من يخوض في آيات الله من أهل الكفر ومن أهل البدع والزيغ والأهواء.

وقد أحب الفضيل أن يكون بينه وبين صاحب البدعة حصن من حديد؛ وذلك حتى لا يتسلل، ويلقي شبهاته؛ وهذا يدل على خطره على المسلمين.

○ قوله: «**وقال الفضيل بن عياض: إذا علم الله من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له، وإن قل عمله، ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا نفاقا**» هذا الأثر رواه ابن بطة ثم عقب عليه فقال: صَدَقَ الْفُضَيْلُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّا نَرَى ذَلِكَ عِيَانًا[(١)].

○ قوله: «**ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانا، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة**» هذا روي مرفوعا ولا يصح[(٢)]، ومعناه صحيح.

○ قوله: «**فلا تكن تحب صاحب بدعة في الله أبداً**»، بل النصوص وأقوال السلف آمرة ببغضهم في الله ـ كما تقدم ـ.

---

(١) «الإبانة» (٢/ ٣/ ٤٥٦/ ٤٢٩)، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٥٦/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠٠)، والهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٤٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٦٤)، وقال: تفرد بروايةِ هذا الحديث الحسينُ بن خالد، وهو أبو الجنيد، وغيرُه أوثق منه.

الخاتمة

أسأل الله أن يوفقنا للاعتصام بسنته، والاهتداء بهديه، والسير على طريقته، وأن يثبتنا على دينه، وأن يعافينا من البدع والزيغ، وأن يتوفانا على التوحيد غير مبدلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة